رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الدكتور أحمد عبد الرحمن حماد

عوامل التطوّر اللغوي

دراسة في نموّ وتطوّر الثروة اللغوية

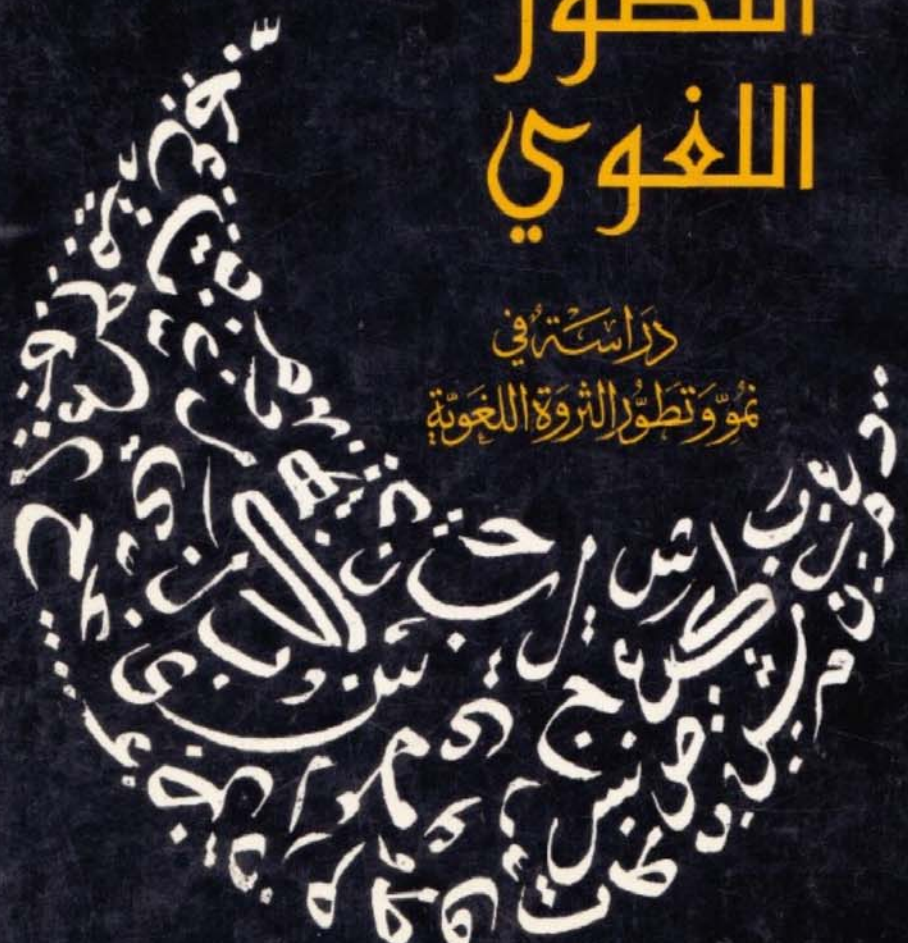

دار الأندلس

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عوامل التطور اللغوي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الدكتور أحمد عبد الرحمن حماد
مدرّس علم اللغة في جامعة الإمارات العربيّة المتحدة

عوامل التطوّر اللغوي

دراسة في نموّ وتطوّر الثروة اللغويّة

دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٠٣ هـ ./ ١٩٨٣م.

جميع الحقوق محفوظة

دار الأندلس - بيروت، لبنان
هاتف: ٣١٧١٦٢ - ٣١٦٤٠١ - ص.ب: ٤٥٥٣ ١١ - تلكس ٢٣٦٨٣

الاهـــداء

إلى أبي وأمي،
إلى زوجتي
إلى أشقائي وشقيقتي تقديراً ووفاءً
إلى فلذات كبدي خالد وعلاء نوراً وإرشاداً
إلى كل من أعطاني من وقته ورعايته
ومدّ لي يد العون

المؤلف

اللغة العربية
ما عجزت يوماً عن تلبية حاجة المتلاغين بها
وما وقفت جامدة في وجه التقدم والتطور

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

هذا البحث دراسة في نمو وتطور اللغة والعوامل الخارجية المؤثرة في التغير والتطور في الألفاظ ودلالاتها وما تحدثه هذه العوامل من تغيُّر وتطوُّر في اللفظ والدلالة على مرِّ العصور .

ولقد دفعني حرصي على لغتنا العربية لدراسة فقه اللغة نظراً لما لهذه الدراسة من فائدة تعود على لغتنا خاصة أن اللغة العربية من اللغات الحية التي تؤثر وتتأثر بغيرها من اللغات ، فلا بد أن تأخذ وتعطي وتتطور لتساير ركب الحضارة .

وأثناء دراستي لكتب فقه اللغة وجدت أن هناك عوامل تؤثر في اللغة من حيث التطور والدلالة وأن هناك عاملين أحدهما في بنية اللفظة والآخر خارجي ولم أجد من كتب في هذا الموضوع ، ولهذا وجدت نفسي أمام دراسة هامة توضح لنا عاملاً رئيسيًّا من عوامل التوسّع اللغوي وأن قضية العوامل الخارجية المؤثرة في اللغة تستحق الدرس والبحث لما لها من أثرٍ على الألفاظ ودلالتها .

حقاً أن هذه الدراسة ستواجه بعض الصعوبات نظراً لاتساع وتشعب العوامل المؤثرة في اللغة ولأن اللغة كائن حي يتأثر ويؤثر بما حوله . إلا أنني سأعمل جهدي على استقصاء هذه العوامل واضعاً إياها في إطارها الصحيح مناقشاً هذه العوامل مناقشة تخدم بحثي هذا بقدر المستطاع بعون الله .

وبعد :

فإن الصراع على الحياة كما هو قائم بين الكائنات الحية يقوم أيضاً بين اللغات بل بين

الألفاظ العربية عبر المؤثرات الحضارية والاجتماعية المؤثرة في عالمنا العربي .

ولقد تعرضت لغتنا العربية إلى موجات الغزو من الداخل والخارج وأثّرت وتأثّرت بغيرها من اللغات . ومن أبرز مراحل كفاحها أنها غدت لغة الفكر والحضارة حيث أشرقت شمس الحضارة العباسية وواجه العرب بعض الصعوبات في نقل التراث الحضاري من حولهم إلى لغتهم العربية ، متمثلاً في ألوان الفنون والآداب والعلوم .

ولقد كانت محصلة ذلك كله أن دخلت إلى اللغة ألفاظ اقترضتها من اللغات الأخرى كالفارسية والتركية وغيرها، فرضت عليهم أن يجدوا مكاناً لها في لغتهم العربية كتابةً وحديثاً.

ولم تقف العربية عاجزة أمام هذه السيول من الألفاظ وإنما وجد علماؤها منافذ للألفاظ الوافدة بين صيغ العربية وتصاريفها ، وكانت تحكمهم في ذلك ضوابط محددة ، أما عامة الشعب فكانوا يحكمون سليقتهم في نطق الألفاظ الوافدة التي كانت تلقى على مسامعهم ورأينا بعضها يصل إلى اللغة الفصحى بالصورة التي كان ينطق بها.

وفي عصرنا الحاضر تواجه لغتنا العربية من جديد نفس الإمتحان الذي لا بد أن تجتازه في مواجهة الألفاظ الأجنبية الوافدة لكي تثبت أنها دائماً لغة فكر وحضارة ، والحق أن اللغة العربية تحقق ذلك الآن من خلال طريقين متباعدين :

الأول : هو طريق النقل الذي تقوم به المجامع اللغوية العربية شأن ما كان يحدث في الماضي وهو نقل يراعي الأصول اللغوية المقررة في معاملة الألفاظ الأعجمية والأجنبية .

أما **الطريق الثاني** : فيقوم عليه جهاز الإعلام الذي ينهج في الغالب الأعم إلى لغة عربية ميسرة يغلب عليها الاجتهاد الشخصي وهو الذي يجعل هذا المنهج يتخذ مساراً غير المسار المحدد والمضبوط بالضوابط المقررة التي تلتزم بها المجامع اللغوية في النقل .

إذن نحن بحاجة إلى التقارب بين الاتجاهين خاصة أن سيل الألفاظ المهاجرة يتدفق تدفقاً غزيراً بسبب التّقدم الحضاري في عالمنا اليوم . حقاً لم تستطع الكلمات الدخيلة أن تؤثر في لغتنا قديماً ولن تؤثّر فيها حديثاً ، فلم يكن علماء العربية يعمدون دائماً إلى استعارة الأسماء الأجنبية لمدلولاتها التي لم يكونوا يعرفونها بل كانوا يحاولون في أحوال كثيرة أن يجدوا لتلك المدلولات أسماء عربية خالصة أما عن طريق الاشتقاق أو عن طريق التوسع المجازي في مدلولاتها ومعانيها القديمة ساعدهم في ذلك أن العربية تمتاز بوفرة في دلالات

ألفاظها وما يمكن أن يشتق منها من صيغ متعددة لما يقابلها من ألفاظ أجنبية فهي لغة غنية في الاشتقاق والمجاز ، وكذلك هي غنية بما فيها من طرق متعددة للقلب والإبدال . فنحن نستطيع أن نعبر بهذه اللغة عن أدق الفروق بين المعاني مما حقّق لها المرونة لتصبح بحق لغة الدين والحضارة والفكر .

ولعلنا الآن نستطيع أن نقف إلى جانب لغتنا العربية في معركتها الجديدة مع سيول الألفاظ المتدفقة بحيث أننا نجد وسيلة لتعريب هذه الألفاظ بشكل موحد بين لغة الكتابة ولغة الحديث في كل أرجاء وطننا العربي ، لكي تبقى لليوم والغد كما كانت بالأمس لغة الفكر والحضارة ، إذ إننا لا نستطيع أن نمنع التطور والتقدم الذي يحدث في العالم من حولنا ، وبالتالي لا بد من تطور وتغير يصيب الألفاظ والدلالات نظراً لأن اللغة كائن حي يتأثر ويؤثر بغيره حسب ما يلاقيه من تطور وتغير في المجتمع والحضارة وتقدم العلوم والفنون وغيرها من الصناعات الحديثة .

إذن لا بد لكل لغة في كل أمة أو مجتمع أن تساير هذا التطور والتقدم كي تسعف المتحدثين بها على إيجاد ألفاظ لتدل على هذه المخترعات الجديدة وكي تسهل على المتلاغين بها التفاهم فيما بينهم ولا تعجز عن تلبية حاجاتهم .

وبعد . . . فهذا البحث هو محاولة لسد النقص في دراسة العوامل الخارجية المؤثرة في تطور الألفاظ وأثر ذلك على الدلالات وذلك في ضوء ما توصل إليه علم اللغة الحديث من نتائج وقوانين تحكم الصلة بين اللغة والمجتمع ، ولما كان من العسير على باحث واحد أن يتتبع الجوانب المختلفة والظواهر المتعددة على مستويات الدرس اللغوي صوتاً ولفظاً وتركيباً ودلالة في إطار هذا التغير اللغوي الذي أصاب اللغة العربية منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم . لهذا اخترت العوامل الخارجية المؤثرة في تطور الألفاظ ودلالاتها لما لهذه العوامل من أثر مباشر على تطور وتغير الألفاظ من حيث علاقة اللفظ بالمعنى . ولذلك سأحاول ما وسعتني المحاولة جمع هذه العوامل موضحاً أثرها المباشر في اللغة .

ومن ثم فان هذا البحث يقوم على دراسة العوامل الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والبيئية ، والتقدم الحضاري والتقني وكذلك الإشتقاق اللغوي والتوسع المجازي باعتبارهما من عوامل التوسع اللغوي وما لهذه العوامل موضحاً أثرها المباشر في اللغة .

ومن ثم فإن هذا البحث يقوم على دراسة العوامل الإجتماعية والسياسية

والإقتصادية والبيئية ، والتقدم الحضاري والتقني وكذلك الإشتقاق اللغـوي والتوسـع المجازي باعتبارهما من عوامل التوسع اللغوي وما لهذه العوامـل من أثـر على الألفـاظ وتطورها وتغيرها وأثر ذلك كله في الدلالات وما لهذا من أثر في نمو اللغة وإثرائها.

وإن المنهج الصالح في دراسة فقه اللغة هو المنهج الاستقرائي الوصفي الذي يعترف بأن اللغة ظاهرة إنسانية إجتماعية كالعادات والتقاليد والأزياء ومرافق العيش ، بل هي عين الظواهر الاجتماعية كلها ، دليل نشاطها ووعاء تجاربها وبها تستقصى الملامح المميزة لكل مجتمع ، ولا شيء في الحياة يؤكد خصائص المجتمع ويبرزها على وجهها الحقيقي كاللغة المرنة المطواع التي تعبر بألفاظها الدقيقة الموحية عن حاجات البشر مهما تشعبت ، حتى تصبح الرمز الذي يعرفونه والنسب الذي إليه ينتسبون ، وهذا المسلك الاجتماعي الذي لا تزال اللغة الإنسانية تسلكه في أرقى المجتمعات وأبسطها يسمح لنا بتوسيع المجال أمام العرف لتحديد مقياس اللغة ومعايير استعمالها ، فلا قيمـة للأصـوات والـكلمات والصيغ والتراكيب إلا بمقدار ما يتعارف عليها المجتمع كرموز للدلالة .

وبعد : فقد جاء البحث في ثلاثة أبواب تضمنتها فصول .

ففي الباب الأول تناولت التوسع الاشتقاقي في اللغـة وكذلك التوسـع المجـازي باعتبارهما من عوامل التوسع اللغوي وما يحدثه الاشتقاق من تطور في الألفاظ والمعاني وما للإشتقاق من أثر كبير في استحداث ألفاظ جديدة ومعان جديدة ذات دلالات جديدة تعطى للمتكلم في اللغة مجالاً أرحب في استعمال الألفاظ المناسبة الدالة على المعنى الذي يريد .

وأوضحت أثر المجاز في اللغة واستعمال المجاز يعطي المتحدث باللغة سهولة ويسراً في استعمال ما يريد من الألفاظ دالاً على معان في نفسه ، فاستعمال كلمة البحر في الغنى أو سعة الصدر أو العلم أو غير ذلك له أثر كبير في إثراء اللغة بألفاظ جديدة دون أن تحدث أي تغير في الكلمة أو أصواتها أو حركاتها وإنما استعملنا كلمة مجازية تعارف المجتمع عليها.

وفي الفصل الثاني تناولت الترادف في اللغة وأثره في التوسـع اللغـوي . وهـو ما يسمى باتساع اللفظ بالنسبة للمعنى أو وجود أكثر من لفظة واحدة تدل على معنى واحد ، كالسكين والمدية ، والخبز والعيش ، وبحثـت الآراء المختلفـة فيه . ومـن ثم عرضـت للمشترك اللفظي ، وهو ما يسمى باتساع المعنى بالنسبة للفظ . وهو وجود لفظ واحد يدل

على أكثر من معنى مثل: العين تدل على العين المبصرة، وعين الماء والعين الجاسوس ، والعين المال الخ . وأوضحت أثر ذلك على اتساع اللغة . ومن ثم عرضت للأضداد وهو وجود لفظة تستعمل على وجهين مختلفين فالجلل العظيم والجلل الهين ، والسليم الملدوغ ، والسليم المعافى . وبيّنت أثر هذا كله في نمو اللغة وتطورها وإثرائها بالألفاظ والمعاني ، وجاء في نهاية هذا الباب المستعار من اللغات الأخرى كالمعرب والدخيل ، فناقشت الآراء المختلفة حول المعرب وأوضحت ما هو المعرب وما هو الدخيل ، وأثر ذلك كله في اللغة إذا ما ترك الباب مفتوحاً على مصراعيه لهذه السيول المتدفقة من اللغات الأخرى وناديت بأن نتبع ما اتبعه الأوائل في معالجة هذه الألفاظ وأن نخضعها للقوانين والصيغ العربية وقمت بجمع الألفاظ الدخيلة والمعربة .

وفي الباب الثاني من هذا البحث تناولت بالدراسة والبحث تطور الألفاظ مع تطور العصر ، وأثر تطور الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية والتقدم الحضاري والتقني في الألفاظ ودلالتها وما يحدثه هذا التطور في اللغة من تطور مسايرة لهذا التقدم وهناك ألفاظ كثيرة سايرت هذا التقدم مثل: الراديو ، الطائرة، القمر الصناعي ، العقل الإلكتروني ، الحاسب الإلكتروني ، التليفزيون ، الصاروخ، الدبابة ، المدفعية ، الثلاجة ، الفريزر ، المكيّف وغيرها كثير أثبته في موضعه . وعرضت لعلم الدلالة ونشأته وقوانين التغير الدلالي وبيّنت أثر البيئة كذلك في حياة الألفاظ وتطورها ونموها ومعانيها ، وبيّنت أهمية البحث في الدلالة .

أما الباب الثالث والأخير من هذا البحث فعرضت فيه إختلاف اللهجات العربية وأثرها في تغير وتطور الألفاظ ودلالتها وأوضحت أن استعمال اللهجات وتعددها كان له الأثر في تطور الألفاظ ومعانيها . فنجد أن قبيلة تستعمل كلمة القمح وهناك قبيلة أخرى تقول البر وثالثة تقول الحنطة وهكذا .

ومن ثم عرضت بإيجاز لجمع اللغة وأثر ذلك في إضافة ألفاظ جديدة ذات دلالات جديدة نتيجة لتصحيف أو تحريف طرأ على اللفظ فمثلاً يقرأ بعض الناس كلمة أحص أخص واضعاً نقطة فوق الحاء المهملة .

وقمت بدراسة أثر اختلاف النظم والعلاقات السياسية والإقتصادية السّائدة في المجتمع ، وأثر هذا على تطوّر الألفاظ وتغيّرها وبحثت أثر الدين في استعمال الألفاظ والعبارات المختلفة وأوضحت الأثر المباشر لهذا كله في نمو وتطور وإثراء لغتنا وما

يصاحب هذا من نموّ وتطوّر في المعاني .

وجاء في نهاية البحث خاتمة أجملت فيها أهم النتائج التي انتهت إليها هذه الدراسة من نتائج وصفيّة عامة ومن مقترحات أرجو أن تكون ذات فائدة لمن يريد البحث في هذا الميدان .

وبالله وحده التوفيق

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البَابُ الأول

أ ـ التوسع الإشتقاقي في اللغة والنحت والتركيب
ب ـ التوسع المجاز في اللغة ـ قوانين التجوز ، أثر المجاز في اللغة
جـ ـ اتساع اللفظ بالنسبة للمعنى (الترادف)
د ـ اتساع المعنى بالنسبة للفظ (المشترك والأضداد)
هـ ـ المستعار من اللغات الأخرى (المعرب ـ الدخيل ـ شروط التعريب)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التوسّــع اللغــوي

اللغة العربية كسائر اللغات عرضة للتطور أصابها ما أصاب اللغات الأخرى من تطور ونمو وعملت فيها تلك العوامل التي تتأثر بها كل لغة حية ، وتفاعلت لغتنا العربية مع كل تطور وتقدم فكانت لغة حضارة استجابت لكل متطلبات العصر فأسعفت المتحدثين بها وسايرت ركب التقدم والتطور منذ القدم وحتى يومنا هذا ، فما الوسائل والطرق التي ساعدت العربية في تاريخها الطويل على هذا النمو والتطور؟

إن العوامل المؤثرة في اللغة أياً كانت هي عين العوامل المؤثرة في لغتنا العربية ، وهناك عاملان رئيسيان :

الأول: عامل في اللغة نفسها أي في بنية الألفاظ وهذا يكون في بنية الكلمة من حيث الصرف ، والنحو والتركيب . وأثر ذلك كله من تغير وتطور في الألفاظ والدلالات .

الثاني: عامل خارجي يتعلق بالنواحي الحضارية والسياسية والإقتصادية والتّقدم العلمي والتقني في المجتمع ، وهذا هو موضوع بحثي . وفي الصفحات التالية سوف أعرّض لأهم أنواع وطرق التوسع اللغوي الذي لجأت إليه العربية لتنمي ثروتها اللغوية حتى تستطيع مسايرة ركب الحضارة والتّقدم العلمي وحتى تسعف المتحدثين بها لإيجاد الألفاظ المناسبة للدلالة على معان ومخترعات جديدة حديثة . وما عجزت لغتنا العربية عن ذلك ، بل أنها تسير مع ركب الحضارة والتقدم العلمي تمد المتلاغين بها بكل ما يحتاجونه من ألفاظ وعبارات دون أن يكون ذلك على حسابها . بل مسايرة لهذا التقدم الحضاري مع المحافظة على سلامة اللغة من كل الأعراض التي تصيب اللغات الأخرى .

وسوف نبدأ البحث في الصفحات التالية عن أثر التوسع الإشتقاقي والتوسع المجازي باعتبارهما من عوامل التوسع اللغوي التي تؤثر على تطور اللغة ونموّها .

وسوف أبحث كذلك أثر المترادف والمشترك والأضداد وأثر هذه الظواهر اللغوية في تطور ونمو اللغة .

وفي نهاية هذا الباب سيكون حديثا عن المستعار من اللغات الأخرى وأثر الدخيل والمعرب في اللغة من حيث النمو والتطور والاثراء ولهذا أثر مباشر وفعّال في تطور اللغة لأن اللغة هي الوسيلة الوحيدة المعبرة عن هذا الإنسان في هذا العصر فلا بد بالتالي من أن تساير العصر بما فيه من التقدم الحضاري والصناعي والتقني حتى تكون قادرة على الإستجابة الفورية للمتلاغين بها ، ومن المعروف أن اللغة تحمل خصائص المتحدثين بها على امتداد الزمان والمكان .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

التوسع في المعنى

التوسع الإشتقاقي في اللغة :

نحن نعلم أن إثراء اللغة يكون عن طريق الإشتقاق وأن معظم اللغات تثرى عن هذا الطريق ، وكذلك في استعمال الألفاظ مجازاً . وفي هذا الفصل سندرس الإشتقاق من جميع نواحيه وأنواعه وسيكون البحث أيضاً في المجاز اللفظي لما له من أثر مباشر في إثراء اللغة ، ومدى ارتباط وعلاقة الألفاظ بالمعاني .

الإشتقـاق :

ما هو الإشتقاق؟ : الإشتقاق كما عرّفه علماء اللغة : هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنى وتركيباً وتغايرهما في الصيغة[1] .

والإشتقاق أيضاً أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة كضارب من ضَرَب ، وطريق معرفته تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة إطراء أو حروفاً غالباً كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط[2] . أو يقال هو تحويل الأصل الواحد إلى صيغ مختلفة لتفيد ما لم يستفد بذلك الأصل . فمصدر (ضرب) يتحول إلى (ضرب) فيفيد حصول الحدث في الزمن الماضي[3] ، وإلى (يضرب) فيفيد حصوله في المستقبل وهكذا .

---

(١) انظر الخصائص لابن جني ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ .
(٢) انظر : الإشتقاق والتعريب ، عبد القادر المغربي ، ص ٢ وما بعدها .
(٣) انظر : المزهر في علوم اللغة ، السيوطي جـ ١ ص ٣٤٥ وما بعدها .

وهذا التحول والإشتقاق إنما يلحق بالأصول الدالة على الأفعال والأحداث لأن هذه تتغير وتستحيل من طور إلى طور لما يتنابها من العوارض فالضرب مثلاً يختلف باختلاف زمن حدوثه وباختلاف الفاعلية والمفعولية إلى غير ذلك من الإعتبارات[1] .

أما الأصول الدالة على المواد والأعيان وهو ما يسمّونه بالجواهر والأسماء الجامدة ، فليس بهذه المثابة ولا تلامسها هذه العوارض[2] . فكلمة أرض تدل على هذا الجسم الكروي الذي نعيش عليه ولا يطرأ عليه من العوارض ما يطرأ على الأفعال والأحداث فلا يتغير لفظه ولا يشتق منه غيره . إلا ما سمع عن أهل اللغة أنفسهم وما حولوه هم بألسنتهم لمادة (حجر) التي اشتقوا منها (استحجر الطين) ومن ناقة (استنوق الجمل) ومن سيف (سافه) أي ضربه بالسيف[3] .

وقد يقال أن الإشتقاق في الجواهر والأعيان سماعي بالجملة أي يرجع فيه إلى ما ورد عن العرب أنفسهم فالاسم الجامد الذي سمع أنهم حوّلوه واشتقوا منه نتابعهم فيه ، والمصدر الذي سمع أنهم اشتقوا منه صيغاً معدودة لنا أن نستعملها وننطق بها وما لا فلا ، فليس لك أن تشتق من كلمة (الحصا) الجامدة فعلاً (كاستحجر) ولا من كلمة (سهم) (سهمه) و(رجل) (رجله) تعني رماه بالسهم وأصاب رجله ، كما قالوا في السيف سافه ، هذا ما يقال بالنسبة للجواهر ومثل ذلك يقال في المصادر وأسماء الأحداث ، فإننا نقتصر في المشتقات منها على ما سمع منهم ونقل الينا عنهم فلا نشتق من (النحافة) (ناحف) (كضامر) وقد قالوا هم (نحيف) ومن الكشح (كشيح) بمعنى مضمر العداوة ، وقد قالوا هم (كاشح). ولا من (السخط) (سخطه) بتشديد الخاء (كهيجه) إذا أغضبه وقد قالوا هم (أسخطه) بالهمزة واشتقوا من (الحب) (محبوب) ولم يشتقوا (حاب) فلا نستعمله . ومن أحب (محب) بصيغة اسم الفاعل[4] .

ونتيجة القول أن اشتقاق كلمة من أخرى مما يقصد إليه العرب وله عندهم قياس يعرفونه ، وأسلوب يجرون عليه ولا يجوز لمن جاء بعدهم أن يشتق ما لم يشتقوه هم .

---

(١) الاشتقاق والتعريب ، عبد القادر المغربي ص ٨ .
(٢) نفس المرجع السابق .
(٣) المزهر في علوم اللغة ، السيوطي جـ ١ ص ٣٤٥ .
(٤) انظر المزهر في علوم اللغة ، السيوطي جـ ١ ص ٣٤٥ وما بعدها .

قال ابن فارس[1] : . . . «أجمع أهل اللغة ـ إلا من شذّ منهم ـ أن للغة العرب قياساً وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الإجتنان، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر: تقول العرب للدرس جنة واجنة الليل، وهذا جنين في بطن أمه. وأن الأنس الظهور، يقولون آنست الشيء أبصرته وعلى هذا سائر كلام العرب، علم ذلك من علم وجهله من جهل[2].

فمواد اللغة العربية إذن أشبه بأمات ولّد منها أهل اللغة أولاداً وذراريّ هي المشتقات .

والإشتقاق هو من وسائل نمو اللغة وتوالد موادها وتكاثر كلماتها ، فلو أخذنا الفعل ضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط ، أما ضارب ومضروب ويضرب وأضرب فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفاً وكلها مشتركة في (ض ر ب) وفي هيئة تركيبها وهذا هو الإشتقاق الأصغر المحتج به ، وأما الأكبر فيحفظ فيه المادة دون الهيئة فيجعل (ق و ل) و(و ل ق) ، و(و ق ل) و(ل ق و) وتقاليبها الستة بمعنى الخفّة والسرعة ، وهذا ما ابتدعه الامام أبو الفتح بن جني[3] . وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً ، وليس معتمداً في اللغة ، ولا يصح أن يستنبط به إشتقاق في لغة العرب ، وإنما جعله أبو الفتح بياناً لقوة ساعده ورده المختلفات إلى قدر مشترك مع اعترافه وعلمه بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ وأن تراكيبها تفيد معان مغايرة للقدر المشترك . وسبب إهمال العرب وعدم التفات المتقدمين إلى معانيه أن الحروف قليلة وأنواع المعاني المتفاهمة لا تكاد تتناهى ، فخصوا كل تركيب بنوع منها ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعاً كثيرة ولو اقتصروا على تغاير المواد حتى لا يدلوا على معنى الإكرام والتعظيم إلا بما ليس فيه من حروف الإيلام والضرب لمنافاتهما لهما ، لضاق الأمر جداً ،ولاحتاجوا إلى ألوف حروف لا يجدونها بل فرّقوا بين معتق ومعتق بحركة واحدة حصل بها تمييز بين ضدّين هذا وما فعلوه أخصر وأنسب وأخف ، ولسنا نقول[4] : « إن اللغة أيضاً إصطلاحية بل المراد بيان أنها وقعت بالحكمة كيف فرضت ، ففي اعتبار المادة دون هيئة التركيب من فساد اللغة ما بيّنت لك ، ولا ينكر مع ذلك أن يكون بين التراكيب المتحدة المادة معنى مشترك بينها هو جنس لأنواع

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة : احمد بن فارس ص ٣٣.
(٢) انظر المزهر في علوم اللغة جـ ١ ص ٣٤٦.
(٣) الخصائص لابن جني جـ ٢ ص ١٣٤.
(٤) المزهر في علوم اللغة ، جلال الدين السيوطي ، جـ ١ ص ٣٤٧.

موضوعاتها ، ولكن التحيّل على ذلك في جميع مواد التركيبات كطلب لعنقاء معرّب ، ولم تحمل الأوضاع البشرية إلا على فهوم غريبة غير غامضة على البديهة ، فلذلك أن الإشتقاقات البعيدة جداً لا يقبلها المحققون .

ولقد اختلفوا في الإشتقاق الأصغر ، فقال سيبويه[1] والخليل ، وأبو عمرو وأبو الخطاب ، وعيسى بن عمر ، والأصمعي ، وأبو زيد ، وابن الأعرابي ، والشيباني وطائفة : بعض الكلم مشتق وبعضه غير مشتقّ .

وقالت طائفة من المتأخرين اللغويين : كل الكلم مشتق ونسب ذلك إلى سيبويه والزجاج ، وقالت طائفة من النظار : الكلم كله أصل ، والقول الأوسط تخليط لا يعد قولاً ، لأنه لو كان كل منها فرعاً للآخر لدار أو تسلسل وكلاهما محال ، بل يلزم الدّور عينا لأنه يثبت لكل منها أنه فرع ، وبعض ما هو فرع لا بد أنه أصل ، ضرورة أن المشتق كله راجع إليه أيضاً لا يقال (هو أصل وفرع بوجهين ، لأن الشرط اتحاد المعنى ، والمادة وهيئة التركيب مع أن كلاً منها حينئذ مفرّع عن الآخر بذلك المعنى) .

ثم التغييرات بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق خمسة عشر:

الأول : زيادة حركة : كعلم ، وعلم
الثاني : زيادة مادة : كطالب، وطلب
الثالث: زيادتهما : كضارب، وضرب
الرابع : نقصان حركة : كالفرس من الفرس
الخامس : نقصان مادة : كثبت وثبات
السادس : نقصانهما : كنزا ونزوان
السابع : نقصان حركة وزيادة مادة : كغضبي وغضب
الثامن : نقص مادة وزيادة حركة : كحرم وحرمان
التاسع : زيادتهما مع نقصانهما : كاستنوق من الناقة
العاشر: تغاير الحركتين: كبطر بطراً
الحادي عشر: نقصان حركة وزيادة أخرى وحرف . كأضرب من الضرب
الثاني عشر : نقصان مادة وزيادة أخرى ، كراضع من الرضاعة .

---

(١) المرجع السابق جـ ص ٣٤٨.

الثالث عشر : نقص مادة بزيادة أخرى وحركة . كخاف من الخوف ، لأن الفاء ساكنة في خوف لعدم التركيب.

الرابع عشر : نقصان حركة وحرف وزيادة حركة فقط كعد من الوعد ، فيه نقصان الواو وحركتها وزيادة كسرة.

الخامس عشر: نقصان حركة وحرف وزيادة حرف، كفاخر من الفخار نقصت ألف، وزادت ألف وفتحة.

وإذا ترددت الكلمة بين أصلين في الإشتقاق طلب الترجيح ، وله وجوه:

أحدها: الأمكنية كممهدد علماً[1] من الهد أو المهد فيرد إلى المهد ، لأن باب كرم أمكن وأوسع وأفصح وأخفّ من باب كرم فيرجح بالأمكنية .

الثاني: كون أحد الأصلين أشرف ، لأنه أحق بالوضع له والنفوس أذكر له وأقبل كدوران كلمة «الله» فيمن اشتقها بين الإشتقاق من أله[2] ، أو وله[3] فيقال : من إله أشرف وأقرب[4].

الثالث: كونه أظهر وأوضح ، كالإقبال والقبل[5].

الرابع : كونه أخص فيرجح على الأعم ، كالفضل والفضيلة ، وقيل عكسه.

الخامس: كونه أسهل وأحسن تصرفاً ، كاشتقاق المعارضة من العرض بمعنى الظهور أو من العرض وهو الناحية فمن الظهور أولى.

السادس: كونه أقرب ، والآخر أبعد، كالعقار يرد إلى عقر الفهم لا إلى أنها تسكر فتعقر صاحبها.

السابع : كونه أليق ، كالهداية بمعنى الدلالة لا بمعنى التقدم من الهوادي بمعنى المتقدّمات.

---

(١) في اللسان علم على امرأة . قال ابن سيده: وإنما قضيت على ميم مهدد أنها أصل، لأنها لو كانت زائدة لم تكن الكلمة مفكوكة ، وكانت مدعمة كمسد ومرد . قال سيبويه : الميم من نفس الكلمة ، ولو كانت زائدة لادغم الحرف .

(٢) المزهر، السيوطي جـ ١ ص ٣٤٩

(٣) اله : تحير لان العقول تأله في عظمته أو من إله الى كذا لجأ اليه.

(٤) في القاموس : لاه الله الخلق : خلقهم ثم قال : لاه يليه ليها : تستر ، وجوز سيبويه إشتقاق لفظ الجلالة منها .

(٥) المزهر في علوم اللغة ، جلال الدين السيوطي ص ٣٥٠

الثامن : كونه مطلقاً فيرجح على المقيد ، كالقرب والمقاربة .

التاسع : كونه جوهراً والآخر عرضاً لا يصلح للمصدرية ولا شأنه أن يشتقّ منه فإن الردّ إلى الجوهر حينئذ أولى ، لأنه الأسبق ، فإن كان مصدراً تعيّن الرد إليه ، لأن اشتقاق العرب من الجواهر قليل جداً ، والأكثر من المصادر ، ومن الإشتقاق من الجواهر قولهم : استحجر الطين ، واستنوق الجمل .

وقال في شرح التسهيل[٢] : الأعلام غالبها منقول بخلاف أسماء الأجناس . فلذلك قلّ أن يشتقّ اسم جنس لأنه أصل مرتجل .

قال بعضهم : فإن صحّ فيه اشتقاق حمل عليه ، قيل ومنه غراب من الاغتراب ، وجراد من الجرد .

قال وفي الإرتشاف : الأصل في الإشتقاق أن يكون من المصادر وأصدق ما يكون في الأفعال المزيدة والصفات منها ، وأسماء المصادر والزمان ، والمكان ويغلب في العلم ويقل في أسماء الأجناس ، كغراب يمكن أن يشتق منه الإغتراب وجراد من الجرد .

الثانية : قال في شرح التسهيل أيضاً : التصريف أعمّ من الإشتقاق لأن بناء مثل قردد من الضرب يسمى تصريفاً ولا يسمى اشتقاقاً ، لأنه خاص بما بنته العرب .

الثالثة : أفرد الإشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدمين منهم الأصمعي وقطرب ، وأبو الحسن الأخفش وأبو نصر الباهلي ، والمفضل بن سلمه والمبرد وابن دريد والزجاج ، وابن السراج ، والرماني ، والنحاس وابن خالويه .

الرابعة : قال الجواليقي في « المعرب » قال ابن السراج في رسالته في الإشتقاق مما ينبغي أن يحذر كل الحذر أن يشتقّ من لغة العرب لشيء من لغة العجم . قال : فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت .

الخامسة : في مثال من الإشتقاق الأكبر : مما ذكره الزجاج في كتابه[٢] قال : قولهم : شجرت فلاناً بالرمح ، تأويله جعلته فيه كالغصن في الشجرة .
وقولهم : للحلقوم وما يتصل به شجر ، لأنه مع ما يتّصل به كأغصان الشجرة

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٥٠ .
(٢) المزهر في علوم اللغة ، جلال الدين السيوطي ص ٣٥١ ، وانظر المعرب للجواليقي ص ٥١ وما بعدها .

وكل ما تفرّع من هذا الباب فأصله الشجرة .

ويروى عن شيبة بن عثمان قال: أتيت النبيﷺ يوم حنين فإذا العباس آخذ بلجام بغلته قد شجرها[1] .

قال أبو نصر صاحب الأصمعي : معنى قوله « قد شجرها » أي رفع رأسها إلى فوق يقال شجرت أغصان الشجرة إذا تدلت فرفعتها ، والشجار مركب يتخذ للشيخ الكبير . ومن منعته العلة من الحركة ولم يؤمن عليه السقوط تشبيهاً بالشجرة الملتفة والنخل يسمى الشجر قال الشاعر :

وأخبث طلع طلعكن لأهله وأنكر ما خبرت من شجرات

والمرعى يقال له الشجر لاختلاف نبته ، وشجر الأمر إذا اختلط، وشجرني عن الأمر كذا وكذا ، معناه صرفني ، وتأويله انه اختلف رأي كاختلاف الشجر ، والباب واحد ، وكذلك شجر بينهم فلان أي اختلف بينهم ، وقد شجر بينهم أمر أي وقع بينهم .

وفي قوله :[2] النخل يسمى الشجر فائدة لطيفة ، فإني رأيت في كتاب « عمل من طب لمن حب » للشيخ بدر الدين الزركشي بخطه : إن النخلة لا تسمى شجرة ، وأن قوله (ﷺ) فيها :

«إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها» . . الحديث على سبيل الإستعارة، لإرادة الألغاز، وما ذكره الزجاجي يرده. ويمشي الحديث على الحقيقة. قال ابن فارس في المجمل: اشتبه عليّ اشتقاق قولهم : «لا أبالي به» غاية الإشتباه غير أني قرأت في سفر ليلى الأخيلية :

تبالي[3] رواياهم هبالة بعدما وردن وحول الماء بالجم يرتمي

وقالوا في تفسير التبالي : المبادرة بالإستقاء ، يقال تبالي القوم :
إذا تبادروا الماء فاستقوه ، وذلك عند قلة الماء ، وقال بعضهم تبالي القوم ، وذلك

---

(١) شجر الدابة : جذب لجامها ليكفها ، قال في اللسان . وفي حديث العباس قال : كنت آخذاً بحكمه بغلة رسول الله (ﷺ) يوم حنين وقد شجرتها بها أي جذبتها بلجامها أكفها فتحت فاها.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٥٢.
(٣) طبقات النحويين ، أبو بكر الزبيدي ، ص ٢٩
الروايا: الابل التي يستقون عليها ، والروايا كذلك سادة القوم.

إذا قل الماء ونزح ، استقى هذا شيئاً . وينتظر الآخر حتى يجم[1] الماء فيستقي فإن كان هذا هكذا فلعلّ قولهم لا أبالي به أي لا أبادر إلى اقتنائه والإنتظار به بل أنبذه ولا أعتد به .

فائـــدة: [2]

قال ابن دريد : قال أبو عثمان : سمعت الأخفش يقول : إشتقاق الدكان من الدكدك[3] وهي أرض فيها غلظ وانبساط، ومنه اشتقاق ناقة دكاء، إذا كانت مفترشة السنام في ظهرها أو مجبوبته .

وقال ابن خالويه في شرح الدريدية : سمعت ابن دريد يقول : سألت أبا حاتم عن « ثادق » اسم فرس ، من أي شيء اشتق ؟ فقال لا أدري ، فسألت الرياشي عنه فقال يا معشر الصبيان ، إنكم لتتعمقون في العلم . فسألت ابا عثمان الاشناندانى عنه ، فقال يقال: ثدق المطر إذا سال وانصب فهو ثادق فاشتقاقه من هذا .

قال أبو بكر الزبيدي في طبقات النحويين [4] : سئل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق « الخيل » فلم يعرف فمر اعرابي محرم فأراد السائل سؤال الإعرابي فقال له أبو عمرو : دعني فإني ألطف بسؤاله وأعرف .

فسأله : فقال الأعرابي : استفاد الاسم من فعل السير فلم يعرف من حضر ما أراد الاعرابي فسألوا أبا عمرو عن ذلك فقال : ذهب إلى الخيلاء التي في الخيل وأتعجب ألا تراها تمشي العرضنة خيلاء وتكبراً .

قال حمزه بن الحسن الأصبهاني في كتاب « الموازنة » كان الزجاج يزعم أن كل نقطتين إتفقتا ببعض الحروف ، وإن نقصت حروف إحداهما عن حروف الأخرى أن احداهما مشتقة من الأخرى ، فنقول : الرحل مشتق من الرحيل ، والثور إنما سمي ثور لأنه يثير الأرض ، والثوب إنما سمي ثوباً لأنه ثاب لباساً بعد أن كان غزلاً ، حسبيه الله كذا قال[5] .

---

(١) جم الماء : كر .
(٢) المرجع السابق ص ٣٥٣
(٣) ذكره صاحب القاموس في مادة (دردك) ويراجع المصباح مادة «دكك»
(٤) العرضنى الفرس تعدو العرضنى والعرضنة أي معترضة مرة من وجه ومرة من آخر.
(٥) المرجع السابق ص ٣٥٤.

قال : وزعم آن القرنان[1] إنما سمي قرنانا لأنه مطيق لفجور امرأته ، كالثور القرنان ، أي المطيق لحمل قرونه ، وفي القرآن « وما كنا له مقرنين » أي مطيقين .

«إشتقاق بعض الكلمات من معناها»

قال : وحكى يحيى بن علي بن يحي المنجم أنه سأله بحضرة عبدالله بن أحمد بن حمون النديم : من أي شيء اشتق الجرجير ؟ فقال لأن الريح تجرجره ، قال : وما معنى تجرجره ؟ قال : تجرره . قال ومن هذا قيل للحبل الجرير لأنه يجرّ على الارض . قال والجرّة لم سمّيت جرّة ؟ قال : لأنها تجرّ على الأرض فقال : لو جرت على الأرض لانكسرت ؟ قال فالمجرة لم سمّيت مجرّة ؟ قال لأن الله جرّها في السماء جراً . قال : فالجرجرور ، الذي هو إسم المائة من الابل ، لم سمّيت به ؟ فقال لأنها تجرّ بالأزمة وتقاد .

قال : فالفصيل[2] المجرّ الذي شق طرف لسانه لئلا يرضع أمه ، ما قولك فيه ؟ قال : لأنهم جرّوا لسانه حتى قطعوه ، قال : فان جروا اذنه فقطعوها نسمّيه مجراً ؟

قال: لا يجوز ذلك. فقال يحيى بن علي. قد نقصت العلة التي أتيت بها على نفسك، ومن لم يدر أن هذا مناقضة فلا حس له.

وبعد فإننا لا نستطيع الحديث عن الإشتقاق وخاصة الإشتقاق العام دون التعرض لعلاقته بالصيغ والأبنية وخاصة بالنسبة لنمو اللغة وتطورها ذلك لأن الاشتقاق لا يتم دون قوالب تصاغ فيها المادة اللغوية ، فالكلمة العربية تشتمل على ثلاثة عناصر أساسية هي : -

(١) المادة الأصلية وهي تتكون من ثلاثة حروف في العربية مثل (ض ر ب) بالنسبة لكلمة ضرب وهي ترمز في نفس الوقت للدلالة الأصلية للمادة .

(٢) الصيغة التي ركّبت عليها تلك المادة الأصلية وهي القالب الذي تصب فيه الكلمة والذي يعطيها في النهاية الشكل والوزن أو الدلالة الوظيفية للكلمة .

(٣) ومن وجود العنصرين السابقين معاً نصل إلى العنصر الأخير وهو معنى الكلمة أو دلالتها المعجمية أو الإجتماعية .

فإذا كان الإشتقاق هو المادة الخام التي تصنع منها الكلمات فالصيغ والأوزان هي

---

(١) القرنان : الديوث المشارك في قرينته .

(٢) يقال : جر الفصيل فهو مجرور ، وأجر فهو مجر .

القوالب التي تصب فيها هذه المادة وهذه الصيغ أو الأوزان منها ما هو معروف مثل اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعل التفضيل وإسم الزمان والمكان ، واسم الآلة وأوزان الأفعال وتصاريفها المختلفة وأنواع الجموع القياسية السالم منها وغير السالم . وقد جمع منها السيوطي في المزهر الكثير كما أورد معاني بعض الصيغ[1] . ومنها ما هو نادر الإستعمال كالصيغ التي جاء على وزنها كلمة واحدة أو بضع كلمات وهو ما أسماه اللغويون القدماء نوادر الأبنية وقد خصّص لها السيوطي في المزهر فصلاً مستقلاً[2] .

وعلى هذا فالإشتقاق لا يحقّق وجوده أو يقوم بدوره في نمو العربية إلا في وجود هذه الصيغ والأوزان ومن ثم فإن لها علاقة مباشرة بالإشتقاق تعمل معه وتدور في فلكه أو بمعنى أدق يدور هو في فلكها ، فهل تشكل تلك الصيغ والأوزان قيداً على نمو الثروة اللفظية في اللغة العربية ؟ .

هناك رأي يقول ان اللغة العربية لا تكاد تظفر بجديد من الألفاظ يعتمد في وجوده على الإشتقاق لأن الصيغ الإشتقاقية التي تصاغ فيها الألفاظ لا تكاد تختلف على مر الأيام ، فصيغ اسم الفاعل والمفعول واسم الزمان والمكان والمصادر وما إليها لم تختلف منذ أن وصلت إلينا نصوص اللغة وقد تركزت فيها هذه الأصول والقوالب الإشتقاقية[3] .

وإذا سلمنا مع هذا الرأي نقول ألا يدل تعدد معاني هذه الصيغ والأبنية على نوع من الحيوية والتجديد يغفر لها هذا الجمود الظاهري إذ إننا نجد أن الصيغة الواحدة أحياناً تدل على معان متعددة فوزن (فعيل) مثلاً يدل على الصفة الثابتة نحو (كريم، شريف، عليم) وفي الوقت نفسه تدل على الصوت نحو (صهيل ، عويل، زئير ، شخير) كما يدل وزن (فعال) على مصدر (فاعل يفاعل) مثل (قتال ، سباق ، عراك) وعلى أدوات وآلات مثل (حزام ، اناء ، وعاء) وعلى جمع فعيل أحياناً مثل (كرام ولئام وطوال) . ويدل وزن أفعل من الأفعال على متعدي مثل فعّل اللازم مثل أخرج ، وعلى وجدان الشيء على صفة مثل أحمد أي وجده حميدا ، وعلى بلوغ الشيء مثل أحصد الزرع أي بلغ أوان حصاده وغير ذلك من المعاني .

كذلك قد يدل على المعنى الواحد أوزان متعددة فمبالغة اسم الفاعل تدل عليها

---

(١) المزهر للسيوطي جـ ٢ ص ٤ وما بعدها ، ص ٣٦ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٢ .
(٣) دراسات في القرآن د. السيد أحمد خليل ص ٥٧ .

صيغة فعال ويفعال ، ومفعول وفعل وفعيل ، وعلى الأصوات فعال وفعل ، والألفاظ الدالة على الآلات والأدوات وردت على أوزان متعددة منها فاعول وقد ورد على وزنها عدد من الكلمات مثل الساطور ، والقارور ، والناقوس ، ووردت كلمات أخرى على وزن فعال مثل : الشعار والدثار ، والرداء ، والغطاء ، وأتت غيرها على وزن مفعل مثل مبرد وأخرى على وزن مفعال مثل : مفتاح[1] كل هذا يعطى هذه الصيغ التي قد تبدو للباحث ثابتة نوعاً من التجدد ويعوضها عن هذا الجمود الظاهري وهو ما نلاحظه على الصيغ والأوزان التي استخرجها واستنبطها علماء العربية القدماء ، إذ نجد أنها ليست متساوية في الإستعمال فبعضها ظاهر النشاط كثير الاستعمال يعمل عمله في نمو اللغة وتجديدها وبعضها راكد جامد ، ومع ذلك فالباحث يلمح أحياناً نشوء صيغ جديدة في عصور العربية بعد الإسلام مثال ذلك الصيغة الناشئة من إضافة الألف والنون مع ياء النسب ، نحو ، روحاني ، جسماني ، وهي صيغة مولدة نجدها في كتب الصوفية . وكذلك الصيغة الناشئة من إضافة ياء النسب مع التاء للدلالة على المذهب كالجبرية والقدرية والصوفية والمادية والإشتراكية ، وكلها كلمات مولدة ذات صيغ مولدة لم تعرفها العربية القديمة . وقد أقر مجمع اللغة العربية في مصر قياسية هذه الصيغة فاستفاد منها في توليد كثير من الكلمات للدلالة على المذهب .

ولو التفتنا قليلاً إلى اللهجات العاميّة للاتناس وتتبع الظاهرة نجد ميل هذه اللهجات إلى ابتداع نوع من الصيغ الجديدة مثال ذلك صيغة (تفعلن) في اللهجة الشامية مثل (تكسلن) (تجحشن) (تحمرن)[2] حيث نجد مثل هذه الصيغ تزحف إلى الكتابات العربية المعاصرة فنجد كاتباً مثل كمال يوسف الحاج يشتقّ على هذه الصيغ كلمات كثيرة مثل قوله (يتألهن) الإنسان أي يتشبه بالإله ، و(يلفظن الفكر) و(يفكرن اللفظ)[3] . وعلى الرغم من أن هذا يعد من التوليد المرضي إلا أنّه يدل في الوقت نفسه على نوع من الزحف البطيء لصيغ جديدة إلى العربية .

أفلا تدلّ هذه الظواهر جميعاً من تعدّد الصيغ وتعدّد معانيها واجتماعها أحياناً على معنى واحد واختلافها أحياناً أخرى وكذلك ظهور صيغ جديدة ، ألا يدل كل هذا على نوع من التبدل والتطور في صيغ العربية قد يكون بطيئاً لا يكاد يلحظ إلا أننا لا نستطيع

---

(١) فقه اللغة وخصائص العربية . محمد المبارك ص ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩ .

(٣) فلسفة اللغة ، كمال يوسف الحاج ص ٧٦ ـ ٧٧ .

القول بأنها ستبقى هكذا إلى الأبد ذلك لأنها لم تكن ثابتة أو جامدة في الماضي فبعض الباحثين يرى أن وزن فاعيل وفاعول فاعال من أقدم الأوزان وان فاعيل بتطورها ولدت فاعل وفعيل ومنها تولد وزن فعل وأن فاعول ولدت فعول وأن فاعال ولدت فاعل وفعال ومنها تولد فعل[1] .

إذن فتطور الصيغ والأوزان أمر ممكن حدوثه بل هو حادث فعلاً كما رأينا فاذا أضفنا إلى كل هذا تعدّد صيغ العربية وكثرة أوزانها وهي بلا شك لم توجد دفعة واحدة ، وإنّما حدث ذلك على مراحل من التطور طويلة ، ثم الحيوية الخاصة التي تتمتع بها في الدلالة على المعاني ، من كل هذا سنجد أن الإشتقاق العام من أهم طرق نمو اللغة العربية وإعدادها خلال تاريخها الطويل بالجديد من الألفاظ التي تستعين بها على الإستجابة لحاجات المتكلمين يضاف إلى هذا أن الإشتقاق بطبيعته يتيح للمتكلمين بالعربية صوغ المفردات حسب قواعد قد تكون محدودة حقاً في النهاية ولكنها في نفس الوقت مجرّدة من الناحية الفكرية ، وللمتكلم الحرية في التعبير عن أغراضه بها حسب كل إحتمال وهو يجد في متناوله من هذه الأوزان والصيغ كل ما يحتاج إليه . فيبني منها ما يشاء لأنه في نهاية الأمر صاحب التصرف في المشتقات وفي اختيار ما يلائمه منها وفق أغراضه وطبيعة التفكير عنده . وهنا نجد أن الإشتقاق يعتبر بحق وسيلة رئيسية من وسائل نمو الثروة اللفظية في العربية إذ يستطيع المتكلم أن يشتق ما يشاء من الألفاظ والصيغ الجديدة ليعبّر عن دقائق الأمور وأن يشتق للمخترعات الحديثة ما يساير ركب التطوّر والتقدّم الحضاري فلا يقف الإنسان عاجزاً أمام مخترع حديث حائراً في إيجاد مسمّى له وهنا يجد من الإشتقاق ما يسعفه ، يشتق اسماً لمسمّى جديد وهنا نجد أن الإشتقاق وسيلة هامة من وسائل التطوّر والنمو اللغوي وبالتالي إثراء اللغة وتوسيعها بألفاظ ومشتقات جديدة يأخذ منها ما يلائمه وفق أغراضه وطبيعة التفكير عنده مسايراً بذلك ركب التقدم العلمي والحضاري الذي يسير سريعاً دون أن يقف منتظراً لنبحث في اللغة عن اسم لمسمّى أو اختراع جديد .

وبعد . . سوف نعرض للإبدال والقلب والنحت والتركيب باعتبارها عوامل تساعد على التوسع اللغوي وتعمل على تطور ونمو اللغة وسنرى ذلك في الصفحات التالية .

---

(١) تهذيب المقدمة اللغوية ، عبدالله العلايلي ص ٩٥ - ٩٦ - ١٠١ .

الإبـــدال والقلـــب

بعد أن تحدّثنا عن الإشتقاق كطريق من طرق إثـراء اللغـة ونموّهـا لا بد لنـا من الحديث عن الإبدال والقلب وهما نوعان من أنواع الإشتقاق بغض النظر عن المؤيدين والمعارضين لأن الذي يهمّنا هنا هو أهمية الإبدال والقلب بالنسبة لنمو اللغـة وتطوّرهـا وعلى ضوء هذا سيكون حديثنا عن الإبدال والقلب .

قال ابن فارس في فقه اللغة : من سنن العرب إبدال الحروف ، وإقامة بعضها مقام بعض : مدحه مدهه ، وفرس رفلّ ورفنّ[1] ، وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء ، فأما قوله تعالى : « فانفلق فكان كل فرق كالطود » . فالـلام والـرّاء متعاقبـان ، كما تقـول العرب فلق الصبح وفرقه » .

وقال أبو الطّيب في كتابه ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة ، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد . قال : والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى . وكذلك إبدال لام التعريف ميماً والهمزة المصدرة عيناً كقولهم في نحو ان ، عنْ . لا تشترك العرب في شيء من ذلك إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون .

وقال أبو حيان في شرح التسهيل ، قال شيخنا الأستاذ أبو الحسن بن الصائغ : قلما تجد حرفاً إلا وقد جاء فيه البدل وهو نادر .

أقول مهما اختلفت الآراء في البدل فهو موجود في اللغة فسواء أكان ذلك عن طريق

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة : ابن فارس ص ١٧٣ ـ باب الابدال ـ .
الرفل الطويل : الذنب والرفن الطويل الذنب من الخيل .

إبدال حرف مكان آخر أو كان ذلك لهجة قوم فهو على الحالين موجود ومستعمل ونورد هنا أمثلة من كتاب الإبدال ليعقوب بن السكيت: ـ

١ ـ **إبدال الهمزة هاء** : فمن إبدال الهمزة هاء : أيا وهيا ، وإياك وهياك ، وأتمال السنام وأتمهل إذا انتصب ، وأرحت دابتي وهرحتها ، وأرقت الماء وهرقته .

٢ ـ **إبدال الهمزة عينا** : ومن الهمزة والعين : آديته على كذا ، وأعديته : أي قوّيته وأعنته ، وكثأ اللبن وكثع وهي الكثأة والكثعة وهي أن يعلو دسمه وخثورته على رأسه في الإناء ، وموت ذؤاف وزعاف وهو الذي يعجل القتل ، والتمىء لونه والتمع .

٣ ـ **إبدال الهمزة واواً** : من الهمزة والواو: أرخ الكتاب ورخّه وأكدت العهد ووكدته، وآخيته وواخيته.

٤ ـ **إبدال الهمزة ياء**: ومن الهمزة والياء : رجل ألمعي[1] ويلمعي، ويرقان وارقان، داء يصيب الزرع. وفي أسنانه تلل وألل إذا كان فيها إقبال على باطن الفم.

٥ ـ **إبدال الياء والميم**: الظأب الظأم: سلف الرجل، يقال تظأبا وتظأما إذا تزوجا أختين. والرجبة والرجمة: ما تعمّد به النخلة لئلا تقع وسبد شعره وسمده أي حلقه.

٦ ـ **الإبدال في المضاعف** : ومن المضاعف قال أبو عبيدة : العرب تقلب حروف المضاعف إلى الياء ومنه قوله تعالى : « وقد خاب من دساها »[2] . وهو من دسست .

وقال أبو محمد البطليوسي في كتاب : الفرق بين الأحرف الخمسة : من هذا الباب ما ينقاس ، ومنه ما هو موقوف على السماع : كل سين وقعت بينها عين أو غين أو خاء : أو قاف أو طاء ، جاز قلبها صاداً مثل : يساقون ويصاقون وسقر وصقر ، وصخر وسخر ، مصدر سخرت منه إذا هزأت . فأما الحجارة فبالصاد لا غير .

قال: وشرط هذا الباب أن تكون السين متقدمة على هذه الحروف لا متأخرة بعدها ، وأن تكون هذه الحروف مقاربة لها لا متباعدة عنها ، وأن تكون السين هي

---

(١) الألمعي : الطريف.

(٢) دساها: أخفاها ، قال في اللسان « من دساها في الأصل دسسها وأن السينات توالت فقلبت احداهن ياء.

الأصل ، فإن كانت الصاد هي الأصل لم يجز قلبها سيناً[1] .

لأن الأضعف يقلب إلى الأقوى ولا تقلب الأقوى إلى الأضعف وإنما قلبوها صاداً مع هذه الحروف لأنها حروف مستعلية ، والسين حرف متسفل ، فثقل عليهم الإستعلاء بعد التسفل ، لما فيه من الكلفة ، فإذا تقدم حرف الإستعلاء لم يكره وقوع السين بعده لأنه كالإنحدار من العلو وذلك خفيف لا كلفة فيه .

قال : فهذا هو الذي يجوز القيام عليه وما عداه موقوف على السّماع . ثمّ أورد أمثلة منها : القعاص ، القعاس . داء يأخذ في الصدر . والصقع والسقع : الناحية من الأرض ، وصراط وسراط والصطر والسطر .

أقول مهما اختلفت الآراء في الإبدال فهو موجود سواء أكان ذلك في لهجات العرب أو كما قلت إبدال حرف مكان آخر فهو مستعمل في العربية وقد أوردنا أمثلة من ذلك ولا أطيل في إيراد الأمثلة فالقليل يغني عن الكثير وهذا يؤكد لنا ويؤيد ما ذكرناه من قبل من أن الإبدال يؤدي إلى نمو اللغة وتطورها وهو كما قلت نوع من الإشتقاق . وهو أن يكون بين اللّفظين تناسب في المعنى والمخرج نحو نعق ونهق المعنى متقارب إذ هو في كل منهما الصوت المستكره ، وليس بينهما تناسب في اللفظ لأن في كل من الكلمتين حرفاً لا يوجد نظيره في الكلمة الأخرى ، غير أن الحرفين اللذين اختلفا فيهما أعني العين والهاء متناسبان في المخرج فإن مخرجهما الحلق ولهذا سمي هذا النوع اشتقاقاً أكبر ، لكن علماء الإشتقاق وإن وقفوا في متناولات الإشتقاق الأكبر ومفهومه عند هذا الحد أي حد تناسب اللفظين في المخرج ، فإن علماء اللغة لم يقفوا عنده بل توسّعوا في تعريف « الإبدال » ومفهومه إلى أبعد من هذا وجعلوه بحيث يتناول إبدال حرف من حرف آخر مطلقاً وافقه في المخرج كما في الأمثلة السابقة أو لم يوافقه فيه بشرط حصول التناسب المعنوي بين اللفظين . كقولهم صرير البكرة وصريف الباب لا تناسب بين الفاء والراء ، وجمجمة وهمهمة متناسبان في المعنى لا في المخرج .[2]

وكما اختلفت الآراء في الإبدال اختلفت كذلك في القلب وكما ذكرت أن الذي يهمّني هنا هو أهميّة القلب في اللغة من ناحية إثرائها وتطوّرها ونموّها ، وهذا ما سنوضحه

---

(١) المزهر : للسيوطي جـ ١ ص ٤٦٩ .

(٢) الإشتقاق والتعريب : عبد القادر المغربي ص ١١ وما بعدها.

هنا . قال ابن فارس : من سنن العرب القلب وذلك يكون في الكلمة ويكون في العبارة فأمّا الكلمة فقولهم جبذ وجذب وما أطيبه وأيطبه وربض ورضب وأنبض القوس وأنضب[1] ولبكت الشيء وبكلته إذا خلطته ، وأسير مكلب ومكبل وبكبكت الشيء وكبكبته : إذا طرحت بعضه على بعض .

وفي الإشتقاق والتعريب يقول عبد القادر المغربي : القلب يقال له الإشتقاق الكبير ، وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب مثل فعل : جبذ المشتق من مادة الجذب . فإن الحروف في المشتق هي عينها في المشتق منه ، والمعنى فيها متناسب ، وإنما الفرق بينهما أن الباء في الأصل قبل الذال على عكس الثاني . وهذا ما أراده بالقلب في هذا المقام[2] أما الإشتقاق الصغير كضرب من الضرب فإنهما اتفقا في الأمور الثلاثة : الحروف والمعنى والترتيب .

ويحسن هنا التنبيه على شيئين :

أ ـ إن الكلمة الأكثر شيوعاً وتداولاً تجعل الأصل المشتق منه . والأخرى الأقل شيوعاً تجعل مشتقاً . فمن ثم كان الجذب هو الأصل وجبذ هو الفرع المشتق : لأن جذب دائر على ألسنتهم أكثر من جبذ .

ب ـ مهما كان معنى جذب وجبذ واحداً فلا بد أن يكون في أحدهما شيء من المعنى لم يلاحظ في الآخر . كأن يكون الجذب في أحدهما أستر من الآخر ، أو مستعملاً في حالة دون حالة ، ولعل قولهم في التعريف « أن يكون بين اللفظين تناسب في المعنى «دون» اتحاد في المعنى، مما يشير إلى ذلك .

ويتّضح هذا فيما سنذكره من أمثلة القلب: ـ

الشوب : الخلط : شاب اللبن بالماء خلطه به . فإذا قدمت الواو على الشين وقلت « وشب » ثم جمعتها صارت (أوشاب) ، وهم الأخلاط من الناس وإذا قلت « وبش » وجمعتها صارت « أوباش » وكان معناها أيضاً أخلاط الناس ، وأوبشت الأرض أنبتت واختلط نباتها ، وإذا قلت: بؤش مقلوب ما تقدم كان معناها القوم المختلطين من قبائل شتّى .

---

(١) المزهر : للسيوطي ص ٤٧٦ ، انضب القوس : حرك وترها لترن .
(٢) الاشتقاق والتعريب ، عبد القادر المغربي ص ١٠ .

والبوش أيضاً طعام بمصر من حنطة وعدس ، يجمع ويغسل ويوضع في جرّة وهي تسمى في فلسطين بوشه ، وتوضع في التنّور وقد سمي بذلك لما فيه من الإختلاط.

وتركتهم هوشا وباش مختلطين ، وبوشوا تبويشا اختلطوا .

وأجد هنا أنه على الرغم من قلة القلب في العربية ، إلا أن للقلب أثر في تغير المعنى وأثر في تطوّر الألفاظ ودلالتها . ويعتبر الإبدال والقلب من العوامل التي تساعد على اتّساع اللغة إذ يؤدي القلب والإبدال إلى ظهور ألفاظ جديدة تعطى دلالات جديدة وهذه الألفاظ والدلالات تجد طريقها في الإستعمال بين الناس وتنتشر وتجري على الألسنة وهذا بالتالي يؤدي إلى نمو في اللغة ويساعد على اتساعها . ومن هنا يمكن اعتبار الإبدال والقلب من العوامل التي تساعد على تطوّر اللغة وإيجاد ألفاظ جديدة لمدلولات جديدة .

وفي الصفحات التالية سنرى أثر النحت والتركيب في التوسّع اللغوي وما يحدثه من تطور في الألفاظ وما يتبع ذلك من استحداث دلالات جديدة لألفاظ جديدة .

النحـــت والتركيـــب

النحت هو أيضاً عامل من عوامل التوسّع اللغوي المؤثرة في اللغة ومعناه في أصل اللغة البري يقال نحت الخشب والعود إذا برأه وهـذب سطوحـه ، ومثلـه في الحجـارة والجبال . قال تعالى: (أتعبدون ما تنحتون) (وتنحتون من الجبال بيوتاً) .

والنحت في الإصطلاح : أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجمـوع حروف كلماتها كلمة فذة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها[1] .

ولما كان هذا النزع يشبه النحت من الخشب والحجارة سمي نحتاً وهو في الحقيقة من قبيل الإشتقاق وليس اشتقاقاً بالفعل لأن الإشتقاق أن تنزع كلمة من كلمة أمّا النحت أن تنزع كلمة من كلمتين أو أكثر وتسمى تلك الكلمة المنزوعة منحوتة والنحت ما يعرفه أهل اللغة أنفسهم وجرّوا عليه في كلامهم وفي المعاجم اللغوية شواهد كثيرة على ذلك .

ويمكن إرجاع النحت إلى أربعة أقسام:

(١) نحت فعلي

(٢) نحت وصفي

(٣) نحت اسمي

(٤) نحت نسبي

فالنحت الفعلي أن تنحـت من الجملـة فعـلاً يدل على النطـق بهـا أو على حدوث مضمونها . مثل قولهم (بأبأ) إذا قال (بأبي أنت) والهمزة الأخيرة في بأبأ منحوتـة من أنت ، و(جعفل) قال لآخر « جعلت فداك » و(سبحل) و(حوقل) من سبحان الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله . و (دمعز) و(سمعل) من أدام الله عزك والسلام عليكم . وقوله تعالى: (إذا

(١) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب ، أحمد بن فارس ص ٢٢٧ .
وأنظر المزهر ، السيوطي جـ ١ ص ٤٨٢ .

القبور بعثرت) فان (بعثر) منحوته من (بعث واتير) اي بعث ما فيها وأثير ترابها[1] .

والنحت الوصفي : أن تنحت من كلمتين كلمة واحدة تدل على صفة بمعناها نحو (الصلدم) الشّديد الحافر ، منحوتة من (الصلد والصدم) ومثل (صهصلق) الشديد من الأصوات من (صهيل ، وصلق) وكلاهما بمعنى صوت .

والنحت الاسمي : أن تنحت من كلمتين اسماً مثل « جلمود » من «جلد وجمد » .

والنحت النسبي : أن تنسب شيئاً أو شخصاً إلى بلد في طبرستان وخوارزم مثلاً فتنحت من اسميهما اسماً واحداً على صيغة اسم المنسوب . فتقول « طبرخزى » أي منسوب إلى المدينتين كليهما .

ويقولون في النسبة إلى « الشافعي وأبي حنيفة » « شفعنتي » وإلى أبي حنيفة والمعتزلة « حنفلتي » .

ويمكن إرجاع بعض الكلمات الرباعية والخماسية إلى كلمتين ، فمثلاً كلمة « دحرج » منحوتة من « دحره فجرى » وهرول من « هرب وولى » .

وقد ظهر أن الإشتقاق قوة لنمو اللغة وتكاثر كلمها وتشعّب صيغها لكنه سماعي مقيّد بازمان خاصة وأشخاص معينين ، وأنه إذا كان للعرب القدامى أن ينحتوا ألفاظاً ويستعملوها في كلامهم فإنه يسوغ لنا أيضاً أن ننحت ما يلزمنا وما تمسّ إليه حاجتنا .

وإليك أمثلة من الكلمات المنحوتة : ـ

الكلمات المنحوتة أي المركبة من كلمتين أو أكثر ، تعدّ بالآلاف في الفارسية والأرمنية وفي عدّة لغات أوروبية كالإنكليزية والألمانية ، أما في لغتنا فإنها تحصى بالعشرات ، مما يصعب صوغ كلمات جديدة ولا سيّما المختصة بالعلوم الفنون ، هذه أمثلة عليها : ـ

مشلوز[2] : اسم نوع من المشمش حلو النواة وقد نحت من كلمتين مشمش ولوز .
برمائي : نعت يطلق على الحيوان الذي يعيش على البر وفي الماء وهو منحوت من

---

(١) غرائب اللغة العربية ، الأب رفائيل نخله اليسوعي ـ المطبعة الكاثوليكية بيروت . ص ٥ .
(٢) نفسه ٥٠ ـ ٥١ .

كلمتين بر وماء.

- ماهية الأمر : أي طبيعته اسم منحوت من الكلمتين « ما هو » ؟
- الماجريات : أي الحوادث كلمة منحوتة من « ماجر »
- امع أو امّعه : أي يتبع رأي الناس منحوتتان « اني معك »
- محبرم : أي ماء حب الرمان

وفي العربية من الكلمات المنحوتة المركبة من الكلمة بـ « بنو » والمضاف إليها للدلالة على سلالة شخص ، من أشهرها:

- بعبدر : أي بنو عبد الدار
- بلحرث : أي بنو الحرث
- بلقين : أي بنو القين
- بلهجيم : أي بنو الهجيم .

النوع الثالث : مختصّ بالأسماء المنسوبة ، هذه أمثلة عليها:

- عبشمي : من عبد الشمس
- عبقسي : من عبد القيس
- عبدري : من عبد الدار
- عبدلي : من عبد الله
- تيملي : من تيم اللات
- مروزي : من مرد الشاهجان
- مرقسي : من امرىء القيس

وأكثر الكلمات العربية المنحوتة من النوع الرابع وهي تعبّر عن قول كلمة أو كلمتين أو جملة كاملة وهي مركّبة من بعض حروفها مع مراعاة ترتيبها في الغالب .

- بسمل : نطق بالبسملة وهي عند النصارى باسم الآب والابن والروح القدس ، وعند المسلمين « بسم الله الرحمن الرحيم » .
- هلل : قال لا إله إلا الله .
- سبحل : سبحن ، سبّح : قال « سبحان الله . »
- حمدل : حمد : قال الحمد لله
- كبّر : قال الله اكبر

- حسبل : قال : حسبي الله
- حوقل ، حولق : قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »
- أرجع : رجّع ، استرجع في مصيبة : قال : «إنّا لله وإنّا إليه راجعون»
- حيعل : المؤذن : قال حي على الصلاة حيّ على الفلاح .
- طبلق : قال : أطال الله بقاءك .
- دمعز : قال : أدام الله عزك

وكما رأينا إن هذه الأمثلة تدل دليلاً قاطعاً على أن الكلمات المنحوتة والمركبة تثري اللغة وتزيد من مفرداتها وتراكيبها وتعطي فرصة للمتكلم بالعربية أن يعبّر عما يريد بكلمة أو أكثر ليدل على معنى جملة أو كلمتين وهكذا نجد أنه لا مانع من أن تنحت الكلمات التي نحتاجها في حياتنا اليومية أو في ما يحتاجه العلماء والفنانون والأدباء للتعبير عن معنى أو أكثر صعب عليهم أن يجدوا لها لفظاً مناسباً .

ويتضح لنا مما سبق أن العربية عرفت النحت كوسيلة أو طريق من طرق النمو اللغوي منذ القدم . وتدل الشواهد التي ذكرتها آنفاً على وجود هذه الظاهرة في العربية القديمة إذ إن بعض الكلمات المنحوتة مثل عبدري وعبشمسي وغيرها تدل على أن هذه الكلمات نحتت للدلالة على النسبة إلى أسماء بعض القبائل ، بينما تدل بعض المنحوتات الأخرى على أنها ظهرت في الإستعمال بعد ظهور الإسلام مثل « بسمل » ، وحوقل ، وحمدل ، وحيعل وغيرها ولا نعرف على وجه التحديد متى ظهرت ولكنها لا شك تدخل في نطاق الكلمات المولدة . ويبدو أن قلة عدد الكلمات المنحوتة يرجع إلى هذا النمط من ابتداع الكلمات وتوليدها قائم على كثرة الإستعمال ويدل على ذلك الرواية التي أوردها ابن منظور في اللسان في حديث ابن مسعود ، إن امرأته سألته أن يكسوها جلبابا ، فقال لها إني أخشى أن تدعى جلباب الله الذي جلبك ، فقالت وما هو ؟ ، فقال بيتك ، فقالت أجنك من أصحاب محمد تقول هذا ، (تريد أمن أجل أنك) . فحذفت من أمن والهمزة واللام من كلمة (أجل) والهمزة من أنك فقالت أجنك[1] ومع ذلك نرى ابن فارس لا يكتفي بالإستشهاد على هذه الظاهرة اللغوية بالأمثلة الشائعة التي ذكرناها من قبل بل يبتدع لنفسه مذهباً في النحت جديراً بالنظر والمناقشة ، فهو يرى أن الألفاظ الزائدة على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت فيقول « هذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد ضبطر من ضبط وضبر وقولهم صهصلق

(١) لسان العرب لابن منظور مادة ج . ن . ن .

أنه من صهل وصلق ، وفي الصلدم أنه من الصلد والصدم وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب مقاييس اللغة[1] .

فإذا ذهبنا إلى معجم مقاييس اللغة وجدناه يرسم للباحث منهجه في النحت بصورة أدق فيقول « اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس يستنبطه النظر الدقيق وذلك أن أكثر ما تراه منحوتاً » ثم يقول : « ومعنى النحت أن تأخذ كلمتين وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ والأصل في ذلك ما ذكره الخليل في قولهم حيعل الرجل ، إذا قال حيّ على[2] » ولكنه يستشعر في قولهم حيعل لفظاً مولداً لم يرو عن الفصحاء ، فيعود للإستشهاد على النحت من الشعر الجاهلي قائلاً : « ومن الشيء الذي كأنه متفق عليه قولهم عبشمي » ويستشهد على ذلك بقول الشاعر : ـ

وتضحك مني شيخة[3] عبشمية
كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً

ثم يعود بعد ذلك لينبه على أن الرباعي لا يفسرّ دائماً بظاهرة النحت لأن الرباعي عنده على ضربين أحدهما المنحوت والضرب الآخر الموضوع وصفاً لا مجال له في طرق القياس . وهنا نراه يلفت النظر إلى أن كثيراً مما يسمّيه اللغويون رباعياً بالوضع إنما هو في الحقيقة ضرب من ضروب النحت ، وهكذا وسع ابن فارس من دائرة النحت في العربية حتى بلغ عدد الألفاظ المنحوتة في معجمه أكثر من ثلاثمائة كلمة منحوتة[4] .

ثم أخذ في التدليل على مذهبه هذا بالحديث عن لفظة البلعوم فقال « فما جاء منحوتاً من كلام العرب في الرباعي وأوله باء البلعوم مجرى الطعام في الحلق وقد يحذف فيقال بلعم وغير مشكل أن هذا مأخوذ من بلع إلا أنه زيد عليه ما زيد لجنس من المبالغة في معناه وهذا وما أشبهه توطئة لما بعده . ثم يذكر أمثلة لذلك منها : ـ

١ ـ البعثقة : وتفسيره خروج الماء من الحوض : يقال تبعثق الماء من الحوض إذا انكسرت منه ناحية فخرج منها[5] وذلك منحوت من كلمتين بعق ، وبثق.

---

(١) ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة ص ٢٢٧ .
(٢) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة جـ ١ ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩
(٣) المصدر السابق ص ٣٢٩ وتمام البيت كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً.
(٤) دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح ص ٢٢٨٠ وما بعدها.
(٥) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس جـ ١ ص ٣٣٠ .

٢ ـ بلطح الرجل إذا ضرب بنفسه الأرض فهي منحوتة من بطح وبلط إذا التصق ببلاط الارض .

٣ ـ البرقش : وهو اسم لطائر ومنحوت من كلمتين : من رقشت الشيء ـ وهو كالنقش ومن البرتش وهو اختلاف اللونين[١] .

وعلى هذه الصورة يمضي ابن فارس في ذكر الكثير من الكلمات الرباعية والخماسية التي يظن أنها منحوتة ، والحقيقة أنها في أكثر الأحيان وخاصة بالنسبة للأفعال لا تخرج عن كونها صورة من صور تطور الفعل الثلاثي[٢] ، والتي تدخل في باب زيادة المبنى لزيادة المعنى ، وهو ما لاحظه ابن فارس نفسه في حديثه عن لفظة البلعوم كما رأينا من قبل ، ولكن يبدو أنه لم يفطن إلى ذلك ومن ثم راح يحاول إثبات مذهبه في النحت فرأى في كل حرف زائد صورة رمزية لكلمة أخرى ، بما تكون الكلمة المزيدة منحوتة منهما معاً ، وغالباً ما كان يقتنع بوقوع النحت لو بحرف واحد وهو في هذا لا يفرق بين الألفاظ العربية وغير العربية . فمن ذلك خلطه المنحوت بالمعرّب كقوله « بالنحت في مادة جردب ، يقال جردب الرجل طعامه إذا ستره بيده فقال ابن فارس انها منحوتة من كلمتين ، جدب لأنه يمنع طعامه فهو كالجدب المانع خيره ومن الجيم والراء والباء كأنه جعل يده جراباً يعي الشيء ويحتويه ثم يستشهد على قول الشاعر : ـ

إذا ما كنت في قوم شهاوى فلا تجعل شمالك جردبانا[٣]

والحقيقة أن الكلمة من الفارسي المعرب وهي « كرده بان » أي حافظ الرغيف وكرده هو الرغيف .

وإذا كان ابن فارس قد توسّع إلى حد أنه رأى في كل كلمة زائدة عن ثلاثة أحرف صورة من صور النحت فإن بعض اللغويين القدماء قد التزم جانب الإعتدال ولم يقل في النحت إلا بما سمع عن العرب لأن الحكم فيه لا يضطرد وإنما يقال منه ما نقل عن العرب[٤] .

وسواء رأينا رأي ابن فارس أم غيره فلا جدال في أن النحت من الطرق التي كان لا

(١) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس جـ ١ ص ٣٣١ .
(٢) العربية الفصحى ، هنري فليس ص ١٥٥ ـ ١٦٠ .
(٣) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس جـ ١ ص ٥٢٦ .
(٤) المزهر ، للسيوطي جـ ١ ص ٤٨٥ .

بد لعلماء العربية أن يعطوها أهمية بحيث تمدّ اللغة بألفاظ جديدة . ولكن هذا الموقف المتباين حد من فعالية هذه الوسيلة من وسائل النمو اللغوي في تنمية العربية . ومع ذلك فقد ظل النحت ظاهرة مروية بأمثلتها الشائعة التي ذكرناها في السابق ، حتى كانت النهضة اللغوية والعلمية في العصر الحديث حيث واجهت العربية تطوراً في العلوم وأدوات الحضارة فواجه العلماء مشكلة وضع المصطلحات العلمية للتعبير عن المسمّيات الجديدة، فهناك مئات من الكلمات والمصطلحات العلمية في اللغات الأجنبية لا مقابل لها في العربية ، ومن ثم شعر القائمون على العربية بضرورة اللحاق بكل هذا فلجأت المجامع العربية إلى وسائل عديدة لوضع الكلمات واستنباط المصطلحات فوجدوا في النحت طريقاً من طرق النمو اللغوي وذلك كي تواجه لغتنا هذا التقدم والتطور السريع في الحضارة .

والحقيقة أننا بحاجة إلى النحت وهو أمر لا شك فيه تدفعنا إلى ذلك حاجات علمية ومقتضيات حضارية وتطوّر ضخم في العلوم والفنون والصناعات . على أن هناك شروطاً لا بد من توافرها لوضع كلمات عن طريق النحت : ـ

١) أن لا يكون اللفظ المنحوت نابياً في الجرس عن سليقته العربية .
٢) أن يكون المنحوت على وزن عربي نطق به العرب على قدر الإمكان .
٣) أن يؤدي المنحوت حاجات اللغة من إفراد وتثنية ونسب وإعراب .

وبمراعاة هذه الشروط يصبح النحت وسيلة إيجابية في إثراء اللغة العربية وتجديد ألفاظها لتلحق التطور العلمي والحضاري الحديث في غير تنكّر لطبيعتها أو عدوان على خصائصها[1] .

---

(١) المولد في اللغة ، رسالة دكتوراه ، د. حلمي خليل ص ٦٣ .

التوسّع المجازي في اللغــة

بعد أن أوضحت أثر الإشتقاق في اللغة وكيف أن اللغة تثرى عن طريق الإشتقاق وبيّنت أن الإشتقاق من العوامل الأساسية في التوسّع اللغوي سأعرض هنا عاملاً هاماً من عوامل التوسّع اللغوي ألا وهو التوسع المجازي في اللغة .

عند الحديث عن التوسّع المجازي باعتباره أول عملية للتصرف في دلالة اللفظ على المعنى سيكون حديثي عن الحقيقة والمجاز في اللغة بصورة عامة ومن ثم أتوسّع بالبحث في مجاز اللغة عارضاً آراء من كتب في المجاز أمثال أبي عبيدة في كتابه « مجاز القرآن » مورداً أمثلة من كتابه المذكور عارضاً آراء اللغويين والشعراء في المجاز وأثر ذلك في إثراء ونمو وتطور اللغة .

قال ابن فارس في فقه اللغة : الحقيقة من قولنا حق الشيء إذا وجب[1] واشتقاقه من الشيء المحقّق ، وهو المحكم يقال ثوب محقق النسيج أي محكمه فالحقيقة إذن : الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم فيه ولا تأخير ، كقول القائل : أحمد الله على نعمه وإحسانه ، وهذا أكثر الكلام وأكثر آي القرآن وشعر العرب على هذا[2] .

وأما المجاز فمأخوذ من جاز يجوز إذا استن ماضياً ،نقول :جاز بنا فلان وجاز علينا فارس ، هذا هو الأصل ، ثم نقول يجوز أن تفعل كذا : أي ينفذ ولا يرد ولا يمنع ، ونقول : عندنا دراهم وضح وازنه وأخرى تجوز جواز الوازنة : أي أن هذه وإن لم تكن وازنه فهي تجوز مجازها ، وجواز لقربها منها[3] .

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة : ابن فارس ص ١٦٧ .
(٢) المزهر في علوم اللغة : جلال الدين السيوطي جـ ١ ص ٣٥٥
(٣) المرجع السابق ص ٣٥٥ .

فهذا تأويل قولنا (مجاز) يعني أن الكلام الحقيقي يمضي لسننه ولا يعترض عليه ، وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه إلا أن فيه من تشبيه واستعارة وكف[1] ما ليس في الأول ، وذلك كقولنا : عطاء فلان مزن . فهذا تشبيه ، وقد جاز مجاز قوله عطاؤه واف .

ومن هذا قوله تعالى : « سنسمه[2] على الخرطوم » فهذا استعارة . وقال ابن جني في الخصائص : الحقيقة ما أقرّ في الإستعمال على أصل وضعه في اللغة والمجاز : ما كان بضد ذلك ، وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة وهي : ـ

ـ الإتساع
ـ والتوكيد
ـ والتشبيه ،

فان قدمت الثلاثة تعيّنت الحقيقة ، فمن ذلك قوله (ﷺ) في الفرس : هو بحر . فالمعاني الثلاثة موجودة فيه[3] .

أما الإتساع : فلأنه زاد في أسماء الفرس ـ التي هي (فرس) وطرف[4] وجواد ونحوها ـ البحر ـ حتى أنه إذا احتيج إليه في شعر أو سجع أو اتساع استعمل استعمال بقية تلك الأسماء . لكن لا يفضى إلى ذلك الابقرينة تسقط الشّبهة ، وذلك كأن يقول الشاعر :

علوت مطا جوادك يوم يوم وقد ثمد[5] الجواد فكان بحرا

---

(١) الكف : أن يكف عن ذكر الخبر اكتفاء بما يدل عليه الكلام كقوله :
إذا قلت سري نحو ليلى لعلها جرى دون ليلى مائل القرن أغضبا

(٢) قال في اللسان : فسّره ثعلب فقال : يعني الوجه . قال ابن سيده : وعندي أنه الأنف واستعاره للإنسان لأنه يمكنه أن يقبحه فيجعله كخرطوم السبع .
وقال الفراء : الخرطوم وإن خص بالسمة فإنه مذهب الوجه لأن بعض الوجه يؤدي عن بعض . وسورة القلم آية ١٦ : المقصود الأنف ، سنسم أنفه .

(٣) الخصائص : ابن جني جـ ٢ ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣ .

(٤) الطرف : الكريم من الخيل ، وقال أبو زيد : هو نعت للذكور خاصة .

(٥) هكذا بالأصل : ولعلها سمد بالسين ، ففي اللسان سمدت الأبل تسمد سموداً . لم تعرف الإعياء .

وكأن يقول الساجع : فرسك هذا إذا سما بغرته كان فجراً ، وإذا جرى إلى غايته كان بحراً ، فإن عرى من دليل فلا ، لئلا يكون الباساً والغازاً .

وأما التشبيه : فلأن جريه يجري في الكثرة مجرى مائه .

وأما التوكيد : فلأنه شبه العرض بالجوهر ، وهو أثبت في النفوس منه .

وكذلك قوله تعالى : « وأدخلناه في رحمتنا » هو مجاز وفيه المعاني الثلاثة .

أما السعة : فلأنه زاد في اسم الجهات والمحال اسما هو الرحمة .

وأما التشبيه فلأنه شبه الرحمة وإن لم يصحّ دخولها ـ بما يجوز دخوله ، فلذلك وضعها موضعه . وأما التوكيد ، فلأنه أخبر عن المعنى بما يخبر به عن الذات.

وجميع أنواع الإستعارات داخلة تحت المجاز كقوله :

غمز الرداء إذا تبسم ضاحكا
غلقت لضحكته رقاب المال[1]

وقولـــه :

ووجه كأن الشمس حلت رداءها عليه نقي الخد لم يتخدد

جعل الشمس رداء ، استعارة للنور ، لأنه أبلغ .

وكذلك قولك « بنيت لك في قلبي بيتاً » مجاز واستعارة لما فيه من الإتساع والتوكيد والتشبيه ـ بخلاف قولك « بنيت داراً » فانه حقيقة لا مجاز فيه ولا استعارة ، وإنما المجاز في الفعل الواصل إليه .

قال ومن المجاز في اللغة أبواب الحذف والزيادات ، والتقديم والتأخير والحمل على المعنى ، والتحريف[2] : نحو (واسأل القرية) وجه الإتساع فيه أنه استعمل لفظ السؤال مع ما لا يصحّ في الحقيقة سؤاله ، والتشبيه انها شبهت بمن يصح سؤاله لما كان بها ، والتوكيد أنه في ظاهر اللفظ أحال بالسؤال على من ليس من عادته الإجابة ، فكأنهم ضمنوا لأبيهم أنه إن سأل الجمادات والجمال أنبأته بصحة قولهم وهذا تناه في تصحيح الخبر .

(١) هو لكثير كما في اللسان .
(٢) المزهر في علوم اللغة.

قال : واعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة ، ألا ترى أن نحو « قام زيد » معناه كان منه القيام ، أي هذا الجنس من الفعل ، ومعلوم أنه لم يكن منه جميع القيام، وكيف يكون ذلك وهو جنس والجنس يطلق على جميع الماضي وجميع الحاضر وجميع الآتي من الكائنات من كل من وجد منه القيام » .

ومعلوم أنه لا يجتمع لانسان واحد في وقت واحد ، ولا في أوقات القيام كله الداخل تحت الوهم . هذا محال ، فحينئذ « قام زيد » مجاز لا حقيقة على وضع الكل موضع البعض للإتساع والمبالغة وتشبيه القليل بالكثير ويدل على انتظام ذلك لجميع جنسه ، أنك تقوله في جميع أجزاء ذلك الفعل فتقول : قمت قومة ، وقومتين ، وقياماً حسناً ، وقياماً قبيحاً فأعمالك اياه في جميع أجزائه يدل على أنه موضوع عندهم على صلاحه لتناول جميعها ، وكذلك التأكيد في قوله : لعمري لقد أحببتك الحب كله ، وقوله :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

يدلان على ذلك .

قوانيـن التجـوز

أوردت بإيجاز في الصفحات السابقة أثر التوسع المجازي في اللغة وذلك كعامل من عوامل التوسع اللغوي المؤثرة في التطور اللغوي وما لهذا العامل من أثر في اللغة ، حيث أن المجاز يستعمل كثيراً وخاصة لدى الشعراء والكتاب وغيرهم ممن يرغبون في استعمال الألفاظ المجازية لضرورة ما في كتاباتهم .

وبعد هذه العجالة القصيرة فإنه يجب علينا أن نبحث في قوانين التجوز في اللغة لنحدد الطريق الذي يجب أن يسلكه من أراد استعمال التجوز في كتاباته وأشعاره وأحاديثه .

وبعد، فإن جهات التجوز هي وحدها التي تحدد علاقات استعمال الكلمة في غير ما وضعت له ، أو هي قوانين تبدل معاني الألفاظ بما هي أنواع المجاز لم يكن بد فيها من رباط أو علاقة تحقق الارتباط ، هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه . سمّيت بذلك لأن بها متعلق ويرتبط المعنى الثاني بالأول فينتقل الذهن من الأول للثاني[1] .

هي علاقة بين الأصل وفرعه ، خيط دقيق يعلّله ابن الاثير صدد حديثه عن الإستعارة بقوله في القسم الثاني من المثل السائر : « إنما سمّي هذا القسم من الكلام (استعارة) لأن الأصل في الإستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء ، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما . يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئاً ، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئاً إذ لا يعرفه حتى يستعير منه . وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض فالمشاركة بين اللفظين

(١) المجاز وأثره في الدرس اللغوي ، د. محمد بدري عبد الجليل ص ٦٩ .

في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر »[1] .

أما جهات التجوز فهي : « ما جعل للشيء بسبب المشاركة في خاصة كقولهم للفرس بحر وللشجاع أسد وللبليد حمار[2] » . وفي هذا اشتراك في صفة ظاهرة في محل الحقيقة .

« ومنها تسمية الشيء باسم ما يئول إليه ، كقوله تعالى « إني أراني أعصر خمراً » سورة يوسف الآية ٣٦ . وهو المسمّى باعتبار ما سيكون . وجاء في المزهر « وتسمية العنب خمراً سمّاها الرازي فيما أثر عنه بالتجوز بلفظ السبب عن المسبب ثم قرر أن الأسباب أربعة :

١) القابل مثل سال الوادي
٢) الصورى ومنه اليد أنها قدرة
٣) الفاعل ومنه نزل السحاب أي المطر
٤) الغائي ومنه تسميتهم العنب خمراً[3] .

« ومنها تسمية الشيء باسم فرعه : كقول الشاعر : ـ

وما العيش إلا نومة وتشوق وتمر على رأس النخيل وماء

فسمى الرطب تمراً .

ويقول ابن الأثير : وهذا القسم والقسم الذي قبله سواء ، لأنه هناك سمى العنب خمراً ، ومن هنا سمي الرطب تمراً ـ فالعنب أصل ، والخمر فرع وكذلك الرطب أصل والتمر فرع »[5]

ومنها تسمية الشيء باسم أصله : كقولهم للآدمي «مضغة»

ومنها تسمية الشيء بدواعيه : كتسميتهم الإعتقاد قولاً ، نحو قولهم :

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق : دكتور أحمد الحوفي ، د.بدوي طبانه ، القسم الثاني ص ٧٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٨ . .
(٣) المزهر في علوم اللغة ، جلال الدين السيوطي جـ ١ ص ٣٥٩ وما بعدها .
(٤) المثل السائر : ابن الأثير : القسم الثاني ص ٨٩ .
(٥) المرجع السابق ص ٨٩ .

« هذا يقول بقول الشافعي رحمه الله » أي: يعتقد اعتقاده[1].

« ومنها تسمية الشيء باسم مكانه : كقولهم « للمطر » « سماء » لأنه ينزل منها ،

« ومنها تسمية الشيء باسم مجاوره ، كقولهم : « للمزادة» راويه.

وإنما الراوية الجمل والذى يحملها »[2] .

« ومنها تسمية الشيء باسم جزئه : كقولك لمن تبغض » أبعد الله وجهه عني وإنما تريد سائر جسمه.

« ومنها تسمية الشيء باسم ضده : كقولهم للأسود والأبيض « جون » وفي هذا يقول ابن الأثير : « وهذا القسم ليس من المجاز في شيء البتة . وإنما هو حقيقة في هذين المسميين معاً ، لأنه من الأسماء المشتركة كقولهم : « شمت السيف » إذا سللته و« شمته » إذا أغمدته فدل الشيم على الضدين معاً بالوضع الحقيقي »[3] .

وقال ابن الأثير : ولا شك أن الغزالي نظر إلى أن الضدين لا يجتمعان في محل واحد فقاس الاسم على الذات وظن أن الذاتين لا يجتمعان في اسم واحد كما أنهما لا يجتمعان في محل واحد ، فإن قيل : لا نسلم أن اللفظ المشترك حقيقة بالوضع في المعنيين معاً لأن ذلك يخل بفائدة الوضع الذي هو البيان وإنما هو حقيقي في أحد معنييه مجاز في الآخر[4] .

وجاء في المزهر للسيوطي « لكن للرازي علاقة المضادة كالسيئة للجزاء »[5] .

« ومنها تسمية الشيء بفعله : كتسمية الخمر « مسكراً ». « ومنها تسمية الشيء بكله : كقولك في جواب : « ما فعل زيد »؟ القيام.

والقيام: جنس يتناول جميع أنواعه.

« ومنها العموم : كاستعمال الفرس في مطلق الدابة والخصوص كاستعمال الدابة في الفرس[6].

ومنها « الزيادة في الكلام لغير فائدة : كقوله تعالى:« فبما رحمة من الله لنت لهم » -

---

(١) المثل السائر: ابن الأثير القسم الثاني ص ٩٠

(٢) في المختار: الراوية البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقي عليه ، والعامة تسمي المزادة راوية.

(٣) المثل السائر : ابن الأثير جـ ٢ ص ٩١.

(٤) المرجع السابق ص ٩٢.

(٥) انظر : المزهر للسيوطي ص ٣٥٩ وما بعدها .

(٦) فقه اللغة وسنن العرب ، ابن فارس ص ١٧٨ .

سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

فـ « ما » هنا زائدة لا معنى لها ، أي : فبرحمة من الله لنت لهم .

وهذا القول لا أراه صواباً وفيه نظر من وجهين :

أحدهما : أن هذا القسم ليس من المجاز لأن المجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وضع له في أصل اللغة . وهذا غير موجود في الآية . وإنما هي دالة على الوضع اللغوي المنطوق في أصل اللغة .

الوجه الآخر : لو سلمت أن ذلك من المجاز لأنكرت أن لفظة « ما » زائدة لا معنى لها ولكنها وردت تفخيماً لأمر النعمة التي لان بها رسول الله ﷺ لهم ، وهي محض الفصاحة ، ولو عري الكلام منها لما كانت له تلك الفخامة[1] .

ومن ذهب إلى أنه في القرآن لفظاً زائداً لا معنى له فإما أن يكون جاهلاً بهذا القول وإما أن يكون متسمحاً في دينه واعتقاده .

وقول النحاة ان « ما » في هذه الآية زائدة فإنما يعنون به أنها لا تمنع ما قبلها عن العمل .

ومنها تسمية الشيء بحكمه : كقوله تعالى « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها » سورة الأحزاب الآية ٥٠ فسمي النكاح هبة .

ومنها النقصان الذي لا يبطل به المعنى :

كحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، قال الله تعالى : (ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً » سورة النساء الآية ١١٢ . أي شخصاً بريئاً .

وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه قال الله تعالى : ـ

« واسأل القرية » سورة يوسف الآية ٨٢ . أي : أهل القرية إذ دلّ بالمسكون على الساكن . وقرّر ذلك الوجه في المستصفى بأن هذا النقصان اعتادته العرب فهو توسّع وتجوّز .

---

(١) المثل السائر : ابن الأثير جـ ٢ ص ٩٢ .

والزيادة والنقصان لون واحد جعلهما الرازي علاقة واحدة[1] .

وفي كتاب المجاز وأثره في الدرس اللغوي للدكتور بدري عبد الجليل يقول : « ويسمى هذا اللون مجاز الإعراب لتغير الإعراب بالزيادة والحذف وهو لا يعمّ كل زيادة ونقص بل يختص بما تغير به الاعراب ، والذي يسمى بالمجاز في ذلك ذات الكلمات وذلك لمشابهتها بالمجاز المعرف في نقل كل من إعراب هو أصل إلى غيره واستعماله فيه مثل المجاز من معنى إلى آخر أي أن المجاز الكلمة المعربة لا نفس إعرابها وهو المختار[2] .

وقد جاءت باعتبار علاقته المحلية لدى كثير ممن نقل عنهم السيوطي في الإتقان[3] وجاء في المستصفى تحت عنوان النقصان الذي لا يبطل به المعنى ، أو الذي لا يبطل التفهيم ، بما هو نوع من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه[4] .

وقد قرّر الرازي جهات المجاز يحضرنا منها اثنا عشر وجهاً ، وقد تصل عند فريق إلى أربعين علاقة . ومن ثم ردها الآمدي إلى المشابهة وما يؤول إليه والمجاورة ، وردها ابن الأثير إلى التوسع في الكلام تصرفاً في اللغة والتشبيه والاستعارة إذ يرى : « أن التقسيم لا يصحّ في شيء من الأشياء إلا إذا اختص كل قسم من الأقسام بصفة لا يختص بها غيره وإلا كان التقسيم لا فائدة فيه »[5]

ولعل هذا هو الذي دفع علماء اللغة إلى الحديث عنها بما هي درس لغوي على المستوى الدراسي فكان حصرهم لها في أنواع كالنقل والتغيير الإنحطاطي والمتسامي ، وذلك أما بتخصيص المعنى أو تعميمه أو نحو المعاني المتضادة[6] . لكن أهمية ذلك كله إنما تكمن في أن الحديث عن العلاقات إنما هو حديث عن إمكان التجوز بما هو تصرف .

وبعد أن عرفنا أوجه التجوز المختلفة وقوانينه نعود إلى أثر هذا كله بموضوع بحثنا وهو أثر التوسّع المجازي في اللغة من حيث تطويرها وإثرائها ، أقول إن للتجوز أثر كبير جداً في اللغة ولقد شاهدنا هذا الأثر الواضح أثناء العرض الذي قدّمته عن قوانين التجوز

---

(١) المزهر في علوم اللغة ، السيوطي جـ ١ ص ٣٦٠ .
(٢) انظر: المجاز وأثره في الدرس اللغوي د. بدري عبد الجليل ص ٧٤ وما بعدها.
(٣) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي جـ ٢ ص ٣٧ .
(٤) المستصفى للإمام الغزالي جـ ١ ص ٦٧ .
(٥) المثل السائر : ابن الأثير جـ ص ٩٦.
(٦) انظر : دور الكلمة في اللغة ، اولمان ، ترجمة د. كمال بصر ص ١٦٥ وما بعدها.

ولا داعي للإعادة هنا ولكن أورد بعض الأمثلة فقط لأدلل بها على أثر المجاز في اللغة .

أقول إن استعمال المجاز في اللغة أدخل إلى اللغة ألفاظاً ومعان جديدة ومدلولات جديدة لم نكن على علم بها وإن المستعمل للغة يجد أمامه من عبارات المجاز ما يكون مساعداً له في استعمال الألفاظ التي يريد دون البحث عن اللفظة المناسبة ، فقولنا للكريم بحر ، وللشجاع أسد ، وللبليد حمار ، ورجل الكرسي ، وأذن الفنجان ، وعين الأبرة ، وصوت ناعم ، وضحكة حلوة ، قلبه أسود ، قلبه أبيض ، أصفر الوجه ، وأسنان المشط ، رأس الفجل ، سن ثوم ، رأس بصل ، عنق الزجاجة ، طبلة الأذن ، وحمي الوطيس ، وقامت الحرب على ساق ، ومات حتف أنفه ، ووصف الفرس بالبحر ، وقوله تعالى « يد الله فوق أيديهم » وقوله تعالى : « واسأل القرية » . . . الخ ما في القرآن الكريم من مجازات لغوية ، وقول امرؤ القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف إعجازا وناء بكلكل

كل هذه الألفاظ التي أوردتها أعطت معانٍ ودلالات جديدة واستعملت استعمالاً جديداً أفادت المعنى الذي يريد الكاتب أو الأديب دون أن يجد مشقة في البحث عن لفظة مناسبة لمعنى يجول في خاطره . وكثيراً ما أسعفت ألفاظ المجاز الفنانين والكتاب والأدباء فيجدون فيها ضالتهم ويبتعدون كذلك عن استعمال الألفاظ البذيئة أحياناً والمنافية للآداب والأخلاق أحياناً أخرى فيجدون في استعمال المجاز اللغوي ما يؤدي المعنى المطلوب ودون خدش لحياء أو كرامة المستمع أو المشاهد . وفوق هذا كله فللمجاز أثره المباشر والفعّال في إثراء اللغة وتطوّرها وإعطاء ألفاظ جديدة لمعان جديدة كل هذا يعطى للغة المرونة والإستمرار في الحياة ملبية مطالب وحاجات المتلاغين بها دون عجز أو قصور فالتوسع المجازي في العربية كان عاملاً مساعداً لتطوير اللغة وإثرائها بألفاظ جديدة ومعان جديدة دون أن يؤثر ذلك في أصالة العربية والمحافظة عليها من الأعراض التي تتعرض لها كدخول المعرب والدخيل والمترجم إليها دون ضابط مما يكون له الأثر السيء في حياة لغتنا . فالتوسع المجازي هو عامل من عوامل المحافظة على اللغة من الإنقراض أو الإندثار وحامٍ لها من المعرب والدخيل . فاستعمال التوسّع المجازي في اللغة أفضل بكثير من إدخال المعربات والمترجمات إليها .

ولغتنا ولله الحمد تستجيب للتوسّع المجاز وهذه ميزة من ميزاتها التي ساعدت على استمرار لغتنا متجاوبة مع التطور الحضاري في العالم .

أما مجاز القرآن لأبي عبيدة فقد كان تفسيراً للقرآن لأن أبا عبيدة استعمل في تفسيره للآيات هذه الكلمات : مجاز كذا ، وتفسيره كذا ، ومعناه كذا وغريبه ، وتقديره ، وتأويله ، على أننا نجد أن معانيها واحدة أو تكاد تكون واحدة .

ومن هذا نجد أن معنى كلمة مجاز عند أبي عبيدة هي عبارة عن الطرق التي كان يسلكها القرآن في تعبيراته وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدّده علماء البلاغة لكلمة « المجاز » فيما بعد .

ولعل ابن قتيبة قد تأثر في كتابه « مشكل القرآن » بأبي عبيدة في استخدام كلمة مجاز بهذا المعنى العام الشامل .

وأستطيع أن أقول أنه لم يكن يتقيّد في تفسيره للقرآن بالقيود التي كانت المدرستان البصرية والكوفية تضعانها لفهم النصوص العربية لأن هاتين المدرستين كانتا في دور التكوين وبهذا لم يخضع أبو عبيدة لقواعدهما .

ونلاحظ أنه قد عني في ضوء هذا التحرر بالناحية اللغوية في القرآن ، ولقد أكثر من الاستشهاد على الآيات بالشعر العربي ، ولقد كان لعنايته بالجانب اللغوي أثره ، إذ صرفه عن الإشتغال بالقصص القرآني وتفصيل القول فيه ، كما صرفته عن تتبع أسباب النزول إلا عندما يقتضي فهم النص التعرض لذلك .

وإليك بعض الأمثلة من مجاز القرآن : ـ

حدثنا أبو الحسين محمد[1] بن هارون الثقفي قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز قال : حدثنا علي بن المغيرة الأشرم عن أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي قال : القرآن اسم كتاب الله خاصة ولا يسمى به شيء من سائر الكتب غيره ، وإنما سمي القرآن قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها ، ونجد ذلك واضحاً في آية من القرآن ، قال تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه » مجازه ـ تأليفه ـ بعضه إلى بعض .

ثم قال تعالى : « فإذا قرآنه فاتبع قرآنه » مجازه فإذا ألفنا منه شيئاً فضممناه إليك فخذ به واعمل به وضمّه إليك .

وقال عمرو بن كلثوم في هذا المعنى:

---

(١) مجاز القرآن ، د. فؤاد سزكين جـ ١ ص ١٠

ذراعي حرة أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

أي أنها لم تضم في رحمها ولدا قط ، ويقال أيضاً للتي لم تحمل قط.

ولا أريد الإستطراد هنا لأنني قد أطيل وأكتفي بهذا المثال حول مجاز القرآن لأبي عبيدة . ويتّضح من هذا المثال كما ذكرت أن أبا عبيدة لم يكن يريد بالمجاز المجاز الذي حدّده علماء البلاغة فيما بعد ، وإنما أراد به شرح القرآن وتفسيره .

وعلى أية حال فإن أبا عبيدة قد كان أول من كتب في هذا الموضوع ونلمس من كتابه أنه جاء بشرح للآيات وتفسير لها وبهذا يكون قد أظهر ألفاظاً جديدة وساعد على نمو اللغة وأثراها بألفاظ جديدة . وأستطيع أن أقول أن الاستعمال المجازي للألفاظ كان أحد الوسائل في عملية التصرف في دلالة اللفظ على المعنى وكان أحد الوسائل التي ساعدت على نمو اللغة وإثرائها بألفاظ لم تكن مستعملة من قبل في اللغة ، ولهذا فإن المجاز في اللغة ضرورة تحتمها الحياة الإجتماعية للفرد واستعمالاته ضرورة لتجدد حياة الألفاظ وتطوّرها ونموّها .

وبعد فإنني بعد أن استعرضت آراء العلماء المختلفة في الحقيقة والمجاز فإنني وجدت أن المجاز ظاهرة صحيّة وضرورية لإثراء اللغة ونموّها وخاصة المجاز اللغوي الذي هو في صلب بحثي هذا ، وأنني لم أعنِ بالمجاز البلاغي أو الجمالي والإبداعي في الألفاظ وخاصة ما يكتبه الشعراء والأدباء والفنانون وإنما عنيت المجاز اللغوي الذي يكون له أكبر الأثر في نمو اللغة وإثرائها .

إن الإستعارة والمجاز من سنن العرب فكثيراً ما كانوا يستعيرون للشيء ما يليق به ويضعوا الكلمة مستعارة له في موضع آخر كقولهم في استعارة الأعضاء لما ليس من الحيوان ، رأس الأمر ، رأس المال ، وجه النار ، عين الماء ، حاجب الشمس ، أنف الجبل ، أنف الباب ، لسان النار ، يد الدهر ، جناح الطريق ، كبد السماء ، ساق الشجرة ، وكقولهم في التفرق ، انشقت عصاهم ، شالت نعامتهم ، مروا بين سمع الأرض وبصرها ، فسا بينهم الظريان ، وكقولهم في اشتداد الأمر كشفت الحرب عن ساقها ، أبدى الشر عن ناجذيه ، حمي الوطيس ، دارت رحى الحرب .

وكقولهم في محاسن الكلام ، الأدب غذاء الروح ، الشباب باكورة الحياة ، النار فاكهة الشتاء ، العيال سوس المال ، الوحدة قبر الحي ، الصبر مفتاح الفرج ، الربيع

شباب الزمان .

ومن المجاز في القرآن الكريم : « وأنه في أم الكتاب لتنذر أم القرى ومن حولها » «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة» «والصبح إذا تنفّس» «فأذاقها الله لباس الجوع والخوف» «كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله» ، و «امرأته حمالة الحطب» «واشتعل الرأس شيباً» «ولما سكت عن موسى الغضب» .

ومن المجاز في الأشعار العربية :

قول امرىء القيس

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف اعجازاً وناء بكلكل

وقول زهير :

«وعرى افراس الصبا وروا حله»

وقول لبيد :

« إذا أصبحت بيد الشمال زمامها »

فأما المجاز في أشعار المحدثين فكثير لا يحصى .

وإنما أوردت هذه الأمثلة كي أظهر مدى استعمال العرب للمجاز ومدى إثراء المجاز للغة وكيف أن المجاز يسعف المتكلم أو الكاتب أو الفنان أو الشاعر في استعمال ما يريد التعبير عنه عندما يعجز عن إيجاد اللفظ المباشر كي يعبر به فيسعفه المجاز بهذه اللفظة دون عناء أو مشقة وأقول أن استعمال المجاز في اللغة يكسبها جمالاً ويكسبها مجالاً واسعاً للتعبير بالإستعارة دون إحراج إذا كانت بعض الألفاظ يمجها السامع . وهذا فضل من فضائل اللغة العربية إذ يستطيع الكاتب أن يجد في لغته البديل عن كل ما لا يليق التحدث به أو استعماله . وجملة الأمر أن المعاني لا تتغير صورها من لفظ إلى لفظ حتى يكون هنا : اتّساع ومجاز ، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت لها في اللغة ولكن يشار إ ، معان أخرى وانتقال المعاني من محيط إلى محيط هو المصطلح عليه بالمجاز ، وبه تكون اللغ ة قادرة بأن تفي بأغراض أهلها المتكلمين بها .

أثـر المجـاز في اللغــة

بعد أن تحدثت عن قوانين التجوز المختلفة والآراء التي قيلت في تلك القوانين وتبيان أثر قوانين التجوز في اللغة أقول لا بد من إظهار أثر المجاز في اللغة كعامل من عوامل التوسّع اللغوي المؤثرة في تطور الألفاظ ونمو اللغة واتساعها.

إن المعاني التي تتجدد بحسب رقي الأفكار واتّساع العلوم وامتداد ظلال المدنية ، لا بد لها من أسماء تدل عليها ، وقد كان للألفاظ المنقولة على سبيل المجاز أثر كبير في سدّ هذا النقص من الألفاظ في كثير من العلوم والفنون والصناعات المختلفة وشئـون الحياة الإجتماعية . وإن الناظر في كتب الأدب والعلوم يرى الكثير من الألفاظ التي دخلت اللغة من هذا الطريق فاتّسع نطاقها ، ويسّر على الأقلام الكتابة في موضوعات علمية أو سياسية أو أدبية لم تخض العرب فيها من قبل .

أقول أنه لم يكن بد من أن يكون للمجاز قيمة وفائدة يذهب إليها ويطلب بسببها ذلك أن الكلام إنما هو مبني على الفائدة في حقيقته ومجازه . أقول أنه إذا أمكن التعبير عن تلك الدلالة بالألفاظ الحقيقية فهذا أولى ولا مجال للمجاز هنا .

وفي هذا يقول ابن الأثير : « اعلم أنه إذا ورد عليك كلام يجوز أن يحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه فانظر فان كان لا مزية لمعناه في حمله على طريق المجاز فلا ينبغي أن يحمل إلا على طريق الحقيقة لأنها هي الأصل والمجاز هو الفرع و ' يعدل عن الأصل إلى الفرع إلا لفائدة »[1] .

وجاء في المزهر للسيوطي « والمجاز أما لأجل اللفظ ، أو المعنى أو لأجلهما كأن تكون الحقيقة ثقيلة على اللسان ، أما لثقل الوزن ، أو تنافر التركيب أو ثقل الحروف أو

(١) المثل السائر، ابن الأثير جـ ١ ص ٢٦ .

عوارضه ، وأن يكون المجاز صالحاً لأصناف البديع دون الحقيقة ، وقد يأتي لأجل التعظيم ، أو التحقير أو التلطيف[1] إلى غير ذلك من المقاصد المطلوبة في الكلام .

أقول أن الكاتب والمؤلف والمسرحي وغيرهم ممن يعملون في مجال اللغة ، هؤلاء كثيراً ما يقفون أمام لفظة ما باحثين عن لفظة أخرى في نفس المعنى لتعبر عماً في خيالهم وأفكارهم فيكون المجاز هنا وسيلة للخروج من هذا المأزق . إذ قد تكون اللفظة مستهلكة أو تنفر منها الأسماع أو تأباها الأذواق ، أو يرفضها المؤلف أو الكاتب لفهم معين اقترن بها في الذهن وهو ما لا صلة للكلمة به . ونجد هذا أكثر من غيره في النصوص المسرحية إذ يستعمل الممثلون الألفاظ المجازية للأسباب التي أوردتها آنفاً ، وذلك لأن استعمال الألفاظ الحقيقية يكون فيها خروج على المألوف والعادات والتقاليد وقد تجرح اللفظة الحقيقية حياء المشاهد أو المستمع فيستعمل الممثل اللفظ المجازي مؤدياً نفس المعنى دون أن يكون هناك أدنى تأثير في سير النص وفي إعطاء المعنى المطلوب .

وفي ذلك يقول ابن الأثير « وأعجب ما في العبارة المجازية أنها تنقل السامع من خلقه الطبيعي في بعض الأحيان حتى أنها ليسمح بها البخيل ويشجع بها الجبان ويحكم بها الطائش المتسرع ، ويجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر حتى إذا قطع عنه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منه من بذل مال أو ترك عقوبة ، وإقدام على أمر مهول وهذا هو فحوى السمر الحلال المستغنى عن إلقاء العصا والحبال »[2] .

ونعلم أن كل ممنوع مرغوب وأن النفس دائماً تبحث عن الخفي وذلك طلباً للمعرفة والعلم، أليس الاغراء يكون في بعض الكشف دون الكشف كله ، أليس في التلويح دون التصريح وفي الإشارة دون العبارة تلفظاً ، لذلك فلن يكون هناك شوق إلى الشيء مع كمال العلم به . ولا كمال الجهل ، بل إذا علم من وجه شوق ذلك الوجه إلى الآخر ، فتتعاقب الآلام واللذات ويكون الشعور بتلك الآلام واللذات أتم ، وعند هذا فالتعبير بالحقيقة يفيد العلم ، والتعبير بلوازم الشيء الذي هو المجاز لا يفيد العلم بالتمام ، فيحصل دغدغة نفسانية ، فكان المجاز ألطف وأبلغ من الحقيقة[3] .

(١) المزهر السيوطي جـ ١ ص ٣٦٠ .
(٢) المثل السائر : ابن الأثر جـ ١ ص ٢٦ .
(٣) دلائل الاعجاز . عبد القادر الجرجاني ص ٣٥٦ .
وصف فاعل حسن .

وقد قلت أن عملية التجوز كانت تسمى الإتساع فمن ثم لم يكن بد من أن يكون لهذا الإتساع نصيب كبير في طبيعة الأسلوب المجازي وإذا كان القول في المجاز هو القول في الإستعارة لأنه ليس هو بشيء غيرها ، وإنما الفرق أن المجاز أعم من حيث أن كل استعارة مجاز وليس كل مجاز استعارة . ويقول عبد القاهر : « وإذا نظرنا من المجاز فيما لا يطلق عليه أنه استعارة ازداد خطأ القوم قبحاً وشناعة وذلك أنه يلزم على قياس قولهم أن يكون إنما كان قوله تعالى : « وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً » أفصح من أصله الذي هو قولنا : والنهار لتبصروا أنتم فيه أو مبصراً أنتم فيه : من أجل أنه حدث في حروف مبصر ـ بأن جعل الفعل للنهار على سعة الكلام ـ وصف لم يكن[1] . وكذلك يلزم أن يكون السبب في أنه كان قول الشاعر : « فنام ليلي وتجلى همي » أفصح من قولنا : فنمت في ليلى : أكسب هذا المجاز لفظ نام ولفظ الليل مذاقة لم تكن لهما . وهذا مما ينبغي للعاقل أن يستحي منه ، وأن يأنف من أن يهمل النظر إهمالاً يؤديه إلى مثله »[1] .

وقد أكد اللغويون هذا الاتساع بما هو زيادة في الأسماء وخلع أوصاف تخص في الحقيقة الأعيان والجواهر على الأحداث والأعراض بما هو لون من ألوان التأكيد[2] شأن استعمال لفظ السؤال مع ما لا يصح في الحقيقة سؤاله أو وضع لفظ الواحد للجماعة .

إذن هو وسيلة من وسائل الربط أو الوصل بين الطبيعة والفكر على نحو ما ـ وذلك ما يوضح قول القدماء : « استعارة الشيء المحسوس للشيء المعقول » هي الصورة المادية التي تعطي علاقات غير مادية . وإذا كان مما نيط بالفنان تجميع المتناثر وتوحيد المتعدد ونظم المتفرق في سلك جامع ، فإن التجوز هو الذي يحدث هذا الأثر بما هو معين على تحقيق وحدة الحياة بلونيها المادي والمعنوي .

وبعد فإنني أستطيع أن أقول بعد هذا أن المجاز بما فيه من اتّساع في المعنى يعطي الألفاظ دلالات جديدة ومعان جديدة ويجدد في حياة الألفاظ وينفي عنها الخمول والرتابة ، ونجد أن الشعراء والكتاب والفنانين وغيرهم ممن يعملون في مجال اللغة عندما يستعملون الألفاظ فإنهم يستعملونها بطريقة تختلف عن استعمال الأفراد العاديين لها . إن هؤلاء يوسّعون أو يضيقون في مدلولات الألفاظ حسب مقتضيات النصوص أو الأفكار

---

(١) المرجع السابق ص ٣٥٦ .

(٢) انظر المزهر في علوم اللغة ، السيوطي جـ ١ ص ٣٥٦ .

التي يريدون التعبير عنها وبذلك يعطون تلك الألفاظ حياة جديدة ويعطون للغة مصطلحات جديدة نستعملها في حياتنا اليومية، أقول أن التجوز في اللغة له أثر كبير في خلق مفردات جديدة ودلالات جديدة وبهذا يعطي اللغة ثروة لغوية تساير التقدم الحضاري الذي نعيشه وتبعث ألفاظاً جديدة كان قد حكم عليها بالرقود أو الموت ، والتجوز في اللغة كما ذكرت في مكان آخر أسلم للغة وأحفظ لها من إدخال المعربات الأجنبية دون ضبط ودون مراعاة لما قد تؤول إليه لغتنا إذا تركناها نهباً للغات الأخرى تدخل إليها حيث تشاء وكيف تشاء .

أقول أن التجوز قد أسعف الكتاب والمؤلفين والسفراء والمتحدثين وكل من لهم علاقة باللغة قد أسعفهم باختيار كلمة بديلة إذا ما عجزوا عن إيجاد اللفظة المناسبة في كتاباتهم أو شعرهم ولهذا فإن التجوز قد أفاد اللغة وساعد على إثرائها بما قدم من مفردات ودلالات يستعين بها الكاتب أو المؤلف أو المنتج أو الشاعر وكل من له علاقة باللغة .

فاستعمال كلمة جواد للكريم، وبحر للعالم الواسع المعرفة ، وأسد للشجاع وقول امرىء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف إعجازاً وناء بكلكل

كل هذا من قبيل المجاز يؤيد ما ذكرناه من أثر وفائدة المجاز في اللغة .

ومهما يكن من أمر فلا شك أن المجاز طريق من الطرق الهامة في التوسع اللغوي وفي إثراء اللغة وسد أوجه النقص في ألفاظها وتراكيبها . والباحث في كتب اللغة والأدب والعلوم ومعاجم المصطلحات العربية القديمة يقف على عدد كبير من الألفاظ التي دخلت العربية بمدلولات جديدة عن هذا الطريق . فاتّسع بها نطاق التعبير في اللغة ، مما يسّر على العلماء والكتاب والمؤلفين الخوض في موضوعات علمية وفنية لم تكن العربية القديمة تعرفها من قبل وعلى هذا الوجه من نقل الألفاظ إلى معان جديدة جرى أيضاً نقل جانب كبير من الأسماء المستحدثة في العلوم والفنون في العصر الحديث وخاصة فيما يتصل بأسماء المخترعات الحديثة مثل ، القطار ، القاطرة ، السيارة ، التليفون ، التلفزيون ، الطائرة ، الكمبيوتر ، الحاسب الإلكتروني ، ومجمل القول أن باب المجاز واسع وأن فيه مجالاً لتنمية العربية ولا سيما بالمصطلحات العلمية وأسماء المخترعات الحديثة ولهذا أثره

الواضح كعامل من عوامل التوسّع اللغوي المؤثرة في تطور اللغة ونموّها وهو عامل هام في سد أوجه النقص في الألفاظ والدلالات التي نحتاجها في حياتنا اليومية والتي يحتاجها الكتاب والمؤلفون والشعراء وكل من لهم علاقة بلغتنا العربية .

وبعد أن عرضت لأثر الإشتقاق والنحت والتركيب والإبدال والقلب وكذلك المجاز في التطور اللغوي سوف أبحث في الصفحات التالية عوامل أخرى من عوامل التوسّع اللغوي المؤثرة في تطور الألفاظ ودلالتها ومن هذه العوامل الترادف في اللغة والمشترك والتضداد وسوف أناقش الآراء المختلفة حول هذه الظاهرة اللغوية موضحاً أثر ذلك على اللغة وعلى نموّها وتطوّرها وتغير دلالتها .

الفصل الثاني

اتّساع اللفظ بالنسبة للمعنى « الترادف »

الترادف في اللغة عامل هام من عوامل التوسع اللغوي وسنرى أثر هذا العامل في اللغة من حيث التطور والنمو .

ما هو الترادف ؟

لقد كثر الحديث عن المترادفات من الألفاظ في اللغة ، وتعدّدت الآراء حول هذا الموضوع . ومن خلال هذا البحث سوف نلقي الضوء على الترادف كواحد من عوامل التوسّع اللغوي ، وسنعرف هل حقاً يخدم الترادف اللغة ، أم أنه مرض يصيب اللغة فيجب البحث عن علاج له . سوف أعرض بإيجاز لآراء اللغويين القدماء وبعض المحدّثين ، وسأورد آراء المؤيدين والمعارضين .

أعود لأجيب عن السؤال : ما هو الترادف؟

ورد في المزهر : « هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد »[1] . قال أيضاً : « واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحدّ فليسا مترادفين ، وبوحدة الإعتبار عن المتباينين ، كالسيف والصارم ، فإنهما دلاّ على شيء واحد ، لكن باعتبارين أحدهما على الذات والآخر على الصفة . والفرق بينه وبين التوكيد أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر كالإنسان والبشر[2] .

---

(١) المزهر في علوم اللغة ، جلال الدين السيوطي جـ ١ ص ٤٠٢

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٠٢ .

وفي التوكيد يفيد الثاني تقوية الأول والفرق بينه وبين التابع أن التابع وحده لا يفيد شيئاً كقولنا (عطشان نطشان) ومن الناس من أنكره ، وزعم أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات أما لأن أحدهما اسم لذات ، والآخر اسم الصفة أو صفة الصفة وقال : « والكلام معهم أما في الجواز ولا شك فيه أو في الوقوع من لغتين وهو معلوم بالضرورة أو من لغة واحدة : كالحنطة والبر والقمح . وجاء في المزهر نقلاً عن التاج للسبكي في شرح المنهاج « وذهب بعض الناس إلى إنكار المترادف في العربية ، وزعم أن كل ما نطق من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات كما في الإنسان والبشر فإن الأول موضوع له باعتبار النسيان أو باعتبار أنه يؤنس والثاني باعتبار أنه بادي البشرة ، وكذا الخندريس العقار ، فإن الأول باعتبار العتق ؛ والثاني باعتبار عقر الدن لشدتها ، وتكلف لأكثر المترادفات بمثل هذا المقال العجيب[1] .

وقد اختار هذا المذهب أبو الحسين أحمد بن فارس في كتابه في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، ونقله عنه شيخه أبي العباس ثعلب، قال: «وهذا الكتاب كتب فيه ابن الصلاح نكتا منها هذه وعلقت أنا ذلك من خط ابن الصلاح، قلت: «قد رأيت نسخة من هذا الكتاب مقروءة على المصنف وعليها خطه وقد نقلت غالب ما في هذا الكتاب وعبارته في هذه المسألة: «يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو السيف، والمهند والحسام، والذي يقوله في هذا ان الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا ان كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى، وقد خالف في ذلك قوم، فزعموا انها وان اختلفت ألفاظها فانها ترجع إلى معنى واحد، وذلك قولنا: سيف وعضب وحسام»[2] .

وجاء في المزهر: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر قالوا: وكذلك الأفعال نحو ، مضى ، وذهب ، وانطلق ، وقعد ، وجلس ورقد ، ونام وهجع ، ففي معنى قعد معنى ليس في جلس وكذلك القول فيما سواه »[3] .

وقال الصاحبي في فقه اللغة ، وبهذا نقول ، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد ابن يحيى ثعلب. واحتج أصحاب المقالة الأولى بأنه لو كان لكل لفظة غير معنى الأخرى لما

(١) المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٢ .
(٢) فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها. الصاحبي أحمد بن فارس ص ٦٥ وما بعدها.
(٣) المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٤ .

أمكن أن نعبر عن شيء بغير عبارة ، وذلك أني أقول في «لا ريب فيه، لا شك فيه» فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ ، فلما عبر عن هذا علم أن المعنى واحد ، قالوا وإنما يأتي الشاعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيداً ومبالغة كقوله :

« وهند أتى من دونها النأي والبعد»[1] .

قالوا : فالنأي هو البعد ، ونحن نقول : إن في قعد معنى ليس في جلس ألا ترى أنا نقول : قام ثم قعد ، وأخذه المقيم والمقعد ، وقعدت المرأة عن الحيض ، ثم نقول كان مضطجعاً فجلس ، فيكون القعود عن قيام والجلوس ارتفاع عما هو دونه[2] .

وأما قولهم : إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يعبّر عن الشيء بالشيء فإنا نقول : إنما عبر عنه عن طريق المشاكلة ، ولسنا نقول : أن اللفظتين مختلفتان فيلزمنا ما قالوه ، وإنما نقول أن في كل واحدة معنى ليس في الأخرى[3] .

وأورد السيوطي نقلاً عن شرح جمع الجوامع لعز الدين بن جماعة قوله : « حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارس قال : كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه : «أحفظ للسيف خمسين اسماً» فتبسم أبو علي وقال: «ما أحفظ له إلا اسماً واحداً وهو السيف، قال ابن خالويه: فأين المهند والصارم، وكذا وكذا؟ فقال أبو علي هذه صفات وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة»[4]

من هذه القصة يتبيّن لنا أن كثيراً مما في كتب اللغة من مترادفات هي صفات للمسمى وليست أسماء أخرى له ، ولكن هناك أسئلة كثيرة حول المترادف سنوردها من خلال هذا البحث ، سواء كنا مع من ينكرونه كأبي علي الفارسي أم مع من يثبتونه كابن خالويه أم مع من يقرّ به كأمر واقع كالبيضاوي في المنهاج الذي يذكره السيوطي والذي سنورده بعد قليل في الصفحات التالية .

وجاء في المزهر : « والحاصل أن من جعلها مترادفة ينظر إلى اتحّاد دلالتها على

(١) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب ، ابن فارس ص ٦٦ .
(٢) المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٥
(٣) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب ، ابن فارس ص ٦٦ وما بعدها.
(٤) المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٥ .

الذات ومن يمنع أن ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى ، فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات ، قال بعض المتأخرين : وينبغي أن يكون هذا قسماً آخر وسماّه المتكافئة ، قال:

« وأسماء الله تعالى وأسماء رسول الله ﷺ من هذا النوع» فإنك إذا قلت: «إن الله غفور رحيم قدير» تطلقها دالة على الموصوف بهذه الصفات، قال الأصفهاني: وينبغي أن يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة فاما في لغتين فلا ينكره عاقل[1].

من هذا نجد المؤيد لوجود الترادف ونجد المؤيدين من يرجع وجود الترادف إلى لغتين أو وجود دلالات متّحدة في نفس اللفظة ، ومن ينكر يعتمد على أن هذه صفات للمسمى الواحد وليست أسماء مختلفة تدل على معنى واحد ، نقول أن الترادف واقع في اللغة وسنورد أسباب وقوع الترادف في اللغة مدعمين بذلك الآراء التي تقول بوقوعه ، قال أهل الأصول : لوقوع الألفاظ المترادفة سببان : ـ

أحدهما : أن يكون من واضعين وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين والأخرى الاسم الآخر للمسمّى الواحد ومن غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان ويختفي الواضعان ـ أن يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر ، وهناك دليل آخر شبيه بهذا الدليل ما هو واقع الآن في لغات العرب فنجد مثلاً كلمة عيش في الكويت هي الأرز في مصر وكلمة بندورة في فلسطين هي الطماطم أو القوطه في مصر.

أما الثاني : أن يكون من واضع واحد وهو الأقل وله فوائد :

منها : أن تكثر الوسائل أي الطرق إلى الإخبار عمّا في النفس فإنه ربما نسي أحد اللفظين أو عسر عليه النطق به ، وقد كان بعض الأذكياء في الزمن السالف الثغ فلم يحفظ عنه أنه نطق بحرف الراء ، ولولا المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك .

ومنها التوسّع في سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم والنثر وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله من لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف البديع ولا يتأتى ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ .

وقال البيضاوي في منهاجه جاء ذلك في المزهر « إن الترادف على خلاف الأصل

(١) انظر : المزهر في علوم اللغة السيوطي جـ ١ ص ٤٠٥ وما بعدها .

والأصل هو التباين ، وبهذا جزم البيضاوي :

«وقد يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر فيكون شرحاً للآخر الخفي وقد ينعكس الحال بالنسبة إلى قوم دون آخرين» .

وزعم كثير من المتكلمين أن التحديدات كلها كذلك لأنها تبديل اللفظ الخفي بلفظ أجلى منه . قال : ولعل ذلك يصحّ في البسائط دون المركبات[1] .

وقال : الكيا في تعليقه في الأصول : « الألفاظ التي بمعنى واحد تنقسم إلى ألفاظ متواردة وألفاظ مترادفة ، فالمتواردة كما تسمى الخمر عقاراً وصهباء ، والسبع أسداً وليثاً وضرغاماً ، والمترادفة هي التي يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد . كما يقال : « أصلح الفاسد » « ولم الشعث » و« رتق الفتق » و«شعب الصدع»[2] .

ونرى أن هذا تقسيم غريب لا يتفق مع ما ذكرته من وقوع الترادف في اللغة أليست الألفاظ التي يسمّيها متواردة مترادفة .

وبعد أن عرضت لآراء من قالوا بوقوع الترادف في اللغة فإنني أقول لا بد وأن يؤخذ الترادف في اللغة بنوع من الدقة والحرص وأن يعنى كل العناية بتبيان الفروق الدلالية بين الكلمات ما أمكن ذلك بحيث يتحدّد المعنى الخاص الدقيق لكل كلمة . وبذلك تضيق دائرة المترادفات في اللغة . ويجب أن لا نسرف في استعمال المترادفات إلا عند الحاجة الماسة لذلك واستجابة لضرورة حقيقية في الأسلوب لا لمجرد الزهو والفخر بسعة المعرفة اللغوية .

وبعد أن عرضت لآراء المؤيدين لوقوع الترادف في اللغة أعرض الآن لآراء المنكرين . ومن المنكرين لوقوع الترادف : أبو هلال العسكري يقول في كتابه الفروق اللغوية « أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر وإلا لكان الثاني فضلاً لا يحتاج إليه »[3] .

وقد ألف كتابه هذا « الفروق اللغوية » ليدافع عن رأيه ببيان الفروق الدقيقة بين الكلمات التي يظن أنها مترادفة . ولكنه بعد أن انتهى من كتابه هذا وجد أمامه كثيراً من

(١) المزهر ، جلال الدين السيوطي جـ ١ ص ٤٠٦ .
(٢) شعب : بمعنى جمع وفرق أيضاً والمراد هنا الجمع .
(٣) الفروق اللغوية : لأبي هلال العسكري ص ١٠ مكتبة القدس سنة ١٣٥٣هـ .

الكلمات ما لم يستطع أن يوضّح فيها تبايناً فقال : « فإذا اعتبرت هذه المعاني وما شاكلها في الكلمتين ولم يتبين لك الفرق بين معنييهما فاعلم أنهما من لغتين مثل القدر بالبصرة (البرمه) بالمكية »[1] .

وفي هذه العبارة الأخيرة نجد أن أبا هلال وهو ينكر الترادف أساساً لا يعتبر اللفظ المنقول من لغة أو لهجة أخرى محققاً للترادف.

وجاء في كتاب رواية اللغة للدكتور عبد الحميد الشلقاني نقلاً عن الآمدي في كتاب (الأحكام في أصول الأحكام) « ذهب شذوذ من الناس إلى امتناع وقوع الترادف في اللغة مصيراً منهم إلى أن الأصل عند تعدّد الأسماء تعدد المسميات ، واختصاص كل اسم بمسمى غير مسمى الآخر »[2] .

وقال : « أنه لا سبيل إلى إنكار الجهاز العقلي فإنه لا يمتنع عقلان يضع واحد لفظين على مسمى واحد ثم يتفق الكل عليه أو أن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين على مسمى وتضع الأخرى له اسماً آخر من غير شعور كل قبيلة بوضع الأخرى ثم يشيع الوضعان بعد ذلك» كما ذكرت سابقاً ـ والدليل على وقوع الترادف في اللغة ما نقل عن العرب في قولهم : « الصهلب والشوذب من أسماء الطويل والبهتر والبحتر من أسماء القصير . وميّز الآمدي بين الترادف وبين ما يهم الناس فيه الناس كأن تكون الاسماء لموضوع واحد باعتبار صفاته المختلفة كالسيف والصارم والمهند باعتبار صفته وصفة صفته كالناطق والفصيح».

ومن أمثلة الترادف التي قرأناها لقدامى الرواة لا تدل على أنهم كانوا يقصدون الترادف وإنما كانوا يعنون الشيء وصفته والشيء وقريبه . فمن بين أسماء العسل الثمانين: العسل، والضرب، والشوب، والذوب، والجلس، والورس، والشهد، والشراب، والعذب، والصبيب، والمزج، والسلاف، والرحيق»[1] إلى غير ذلك وبعض هذا يشير إلى صفة العسل وبعضها يشير إلى خصوصية فيه، فالضرب العسل الأبيض الغليظ، والشوب من العسل هو الذي شيب بماء أو لبن، والذوب ما في أبيات النحل من العسل خاصة وقيل هو العسل الذي

---

(١) الفروق اللغوية : لأبي هلال العسكري ، ص ١٦ مكتبة القدس سنة ١٣٥٣ هـ .
(٢) رواية اللغة ، د. عبد الحميد الشلقاني ص ٣٢٦ وما بعدها .
(٣) المزهر في علوم اللغة ، السيوطي جـ ١ ص ٤٠٨

خلص من شمعه، والشراب ما شرب من أي نوع كان[1].

وكان ابن الاعرابي يذكر من أسماء العمامة المشوذ والمقطعة ، والعمامة والعصابة ، والعصاب ، والتاج ، والمكورة[2] وهو من غير شك كان يدرك الفرق بين كل هذه الأسماء فهو صاحب الرأي الذي ينقله عنه ثعلب والذي يقول فيه « كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه »[3] .

أقول أن اللغة تتأثر وتتفاعل مع المجتمع ولا بد لهذه اللغة من الأخذ والعطاء سواء من داخل اللغة الواحدة أو اللغات الأخرى ، وأقول رداً على من ينكر وقوع الترادف في اللغة ، إن الترادف واقع في اللغة العربية فلو أخذنا مثلاً كلمة في مجتمع من المجتمعات العربية أو في بلد من البلاد العربية نجد أن هذه الكلمة وإن اختلفت من حيث المبنى مع الكلمة الأخرى في البلد الآخر ـ نجدها تدل نفس الدلالة وتعطي نفس المعنى . فالكلمات في فلسطين (بندورة ، خبز ، طنجره ، صحن) تجد ما يدل دلالتها في مصر (طماطم أوقوطه ، عيش ، حله ، طبق) . إذن اختلاف اللهجات أو اللغات دليل واضح على وجود الترادف ، هذا فإذا قارنا ذلك مع ما يماثلها عند العرب كأن ينتقل أحدهم من مجتمع إلى آخر فإنه سوف يستعمل الألفاظ الدارجة في ذلك المجتمع دون أن يتمسك بالألفاظ التي يعرفها أما لكياسة في الضيافة أو البراعة في التجارة أو التماساً للمشاركة الوجدانية . في مثل هذا الظرف يتحقق الترادف بمعنى ازدواج الاسم أو تعدده لمسمى واحد أو لمعنى واحد ، ولهذا أثره الكبير والواضح في تطور ونمو اللغة وتطور الدلالة وتعددها وهذا ما يعطي للمتحدث العربي أو القارىء أو الكاتب فرصة لاختيار لألفاظ التي تتناسب ومقام الحديث .

وكلنا يعلم ما أحدثه الإسلام من تجمع الوفود من كل فج تأتي لتكتشف أمر هذا الدين وفي جموع تلتقي لتدافع عنه وتبشر به وتذهب جيوش الإسلام إلى أقاصي الدنيا وفي ديار غير ديارها كل ذلك حقق التبادل اللغوي وكان سبباً في إيجاد الترادف .

ونضرب هذا المثل المشهور والذي يؤيد قولنا في أن اختلاف اللهجات وانتشار الإسلام أدى إلى وجود الترادف في اللغة ، يروى أن أبا هريرة لما قدم من دوس بعد أن

---

(١) انظر : اللسان في هذه المواد.
(٢) المزهر في علوم اللغة ، السيوطي جـ ١ ص ٤١٠ .
(٣) الأضداد : ابن الأنباري ص ٧ .

سمع بالإسلام عام خيبر لقي النبيﷺ وقد وقعت منه السكين فقال له «ناولني السكين» فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم ما المراد بهذه اللفظة لأول وهلة لأنها غريبة عليه وغير مستعملة في مجتمعه، فكرّر له القول ثانية وثالثة، وهو يفعل كذلك ثم قال: (آلمدية تريد؟ وأشار إليها فقيل له نعم)، فقال: «أو تسمى عندكم سكيناً». ثم قال والله والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ. هنا تتحقق المناسبة لتجتمع كلمتان لمسمّى واحد عند أبي هريرة لا فرق فيهما ولا تباين بينهما، ونرى هنا أن اختلاف اللهجات واختلاف القبائل عامل من عوامل وقوع الترادف في اللغة.

وبعد هذه الدراسة التي تناولت فيها آراء المؤيدين والمنكرين لوقوع الترادف في اللغة، أقول أن اللغة تشتمل على الترادف وذلك ما أمكن إطلاق اسمين أو أكثر على مسمّى واحد من غير تباين بينهما ودون اعتبار إلى تطور سابق كانت فيه اللفظة متباينة عن أختها أو منقولة من لهجة إلى أخرى إذ العبرة بحالية الخاصية، فمن الممكن أن تكون الألفاظ ترادفت وضعاً أو نقلاً من لهجات منقولة عن لهجة أخرى بحيث تحقق لها أن يسير الاسمان أو الأسماء على تواز وقدر مشترك وعلى هذا فمن الممكن أن نُعدَّ من الترادف ما كان متبايناً في وقت من الأوقات ثم عملت الظروف الإجتماعية واللغوية على زوال الفروق بينها، فاللبب والعقل كان يراهما أبو هلال في كتاب الفروق اللغوية متباينين دون أن يستطيع الإشارة إلى وجه التباين بينهما، فإذا لم نستطع بدورنا أن ندرك الفرق بينهما ورأيناهما يستعملان بمعنى واحد فأولى بنا أن نعدهما مترادفين. إذ ليس من المعقول أن نقف باللغة حيث كانت وخاصة في موضوع ينميّه التطور. وقد اعترف بحالية التسمية رجل كالأصمعي حين يقول الورد إتيان الماء ثم صار إتيان كل شيء ورداً والقرب طلب الماء ثم صار يقال ذلك لكل طلب فيقال هو يقرب كذا أي يطلبه[1].

ونورد هنا ما ذكره ابن جني في الخصائص متصلاً بهذا البحث. في باب (في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً)[2] قال: «وأما ما اجتمعت فيه لغتان أو ثلاث فأكثر من أن يحاط به، فإذا أورد شيء من ذلك كأن يجتمع في لغة رجل واحد لغتان فصاعداً، فينبغي أن نتأمل حالا كلامه: فإن كانت اللفظتان في كلامه متساويتين في الإستعمال كثرتهما واحدة، فإن أخلق الأمر به أن تكون قبيلتان تواضعت في ذلك المعنى على تينك اللفظتين، لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها، وسعة

(١) فقه اللغة وسنن العرب وكلامها، أحمد بن فارس ص ٦٤.
(٢) الخصائص، ابن جني جـ ١ ص ٣٧٢.

تصرف أقوالها ، وقد يجوز أن تكون لغته في الأصل إحداهما ، ثم استعار الأخرى من قبيلة أخرى ، وطال بها عهده ، وكثر لها استعماله ، فلحقت لطول المدة واتصال استعمالها بلغته الأولى . وإن كانت إحدى اللفظتين أكثر في كلامه من صاحبتها ، فأخلق الحالين به في ذلك أن تكون القليلة في الإستعمال هي المفادة والكثيرة هي الأولى والأصلية . نعم ، وقد يمكن في هذا أيضاً أن تكون القلّ منهما إنما قلت في استعماله ، لضعفها في نفسه ، وشذوذها عن قياسه ، وإن كانتا جميعاً لغتين له ولقبيلته ، وذلك أن من مذهبهم أن يستعملوا من اللغة ما غيره أقوى منه في القياس . . . » .

وإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة ، فسمعت في لغة إنسان واحد ، فإن أحرى ذلك أن يكون قد استفاد أكثرها أو طرفاً منها من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ في المعنى الواحد على ذلك كله . هذا غالب الأمر ، وإن كان الآخر في وجه القياس جائز ، وذلك كما جاء عنهم في أسماء الأسد والسيف والخمر وغير ذلك » .

وكما تنحرف الصيغة واللفظ واحد، نحو قولهم رغوة اللبن، ورُغوته، ورِغوته ، ورَغاوته ، ورِغاوته، ورُغايته. وكقولهم : الذَّرُوح[1] ، والذُّرُّوح والذرّيح، والذَرّاح، وكقولهم: جئته من عل، ومن علا، ومن علو ومن علو. وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات، إجتمعت لإنسان واحد من هنا ومن هنا، وروي عن الأصمعي قال: اختلف رجلان في الصقر، فقال أحدهما : الصقر (بالصاد) وقال الآخر: (السقر) (بالسين) فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه، فقال: لا أقول كما قلتما، إنما هو الزقر، أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة، كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين أخريين معها. وهكذا تتداخل اللغات.

فابن جني لا ينكر الترادف في لغة قبيلة واحدة ، ولكنه يضع ميزاناً للحكم على المترادفات ، والنظر في كونها من وضع قبيلة واحدة أو عدة قبائل ، هذا الميزان هو مقدار شيوعها واستعمالها ، ولكن لم يترك لنا مدخلاً للإنتفاع بهذا الميزان ، فقد حفه بالشك والتردد ، ولم يقل برأي حاسم : فالمرادف القليل الإستعمال يكون مرة من وضع قبيلة أخرى ، ومرة يجوز أن يكون من وضع القبيلة نفسها ، والمرادف الكثير الإستعمال خليق أن يكون من وضع القبيلة ولكن هذا غير لازم وغير حتم ، فقد يكون على شهرته وكثرة

(١) الخصائص، ابن جني ص ٣٧٣ .
الذرح : هو دويبة أعظم من الذباب شيئاً .

دورانه على ألسنة القبيلة ، من وضع قبيلة أخرى ، مما يدل على الحيرة وعدم القدرة على الجزم ، والحقيقة أن أحوال اللغة وطرائق العرب في الإستعمال ، لا تضبط بالقوانين المنطقية ، فإن العربي ، وهو أعلم بأسرار لغته ، قد يؤثر أحياناً كلمة لغير قبيلته ، لأغراض مبهمة تجيش في نفسه ولذوق دقيق اقتضته صناعة الكلام .

أقول: وقد ينشأ الترادف من الغزو والفتح ، فيتغلغل الغالبون في غمار المغلوبين ، ويفرضون عليهم حكمهم ، والسيطرة عليهم ، ولكنهم قد يعجزون أن يفرضوا عليهم لغتهم لقلة عددهم ، فيضطرون إلى اتخاذ لغة المغلوبين ، وقد يحصل بعد حين ما يسمّى بالإندماج بين اللغتين.

هذه أسباب الترادف التي تذهب بعيداً في ماضي تاريخ الأمم ولغاتها ، وهناك أسباب أخرى ، أقرب عهداً وأكثر حداثة ، وذلك حينما تظهر فنون أو علوم جديدة ويكون المؤلفون متأثرين بألسنة أجنبية شتى ، فتراهم يرسلون أحياناً في عباراتهم كلمات أجنبية ، من غير حاجة إليها ، وهذا ضرب من الرفاهية العلمية ، أكثر من أن يكون ضرورة حافزة ، تدخل هذه الكلمات في اللغة فلا يستطيع بعضها أن ينال حق البقاء فيها ، فتذهب به عوادي النسيان ، بعد زمن قصير أو طويل وبعضها يأخذ طابع اللغة ويندمج في كلماتها[1] .

ومن أسباب الترادف تداخل اللغات ، كأن يكون للكلمة الواحدة صيغة خاصة في كل قبيلة من القبائل ، مع بقاء مادتها ، وتناولها بالنقص أو الزيادة أو تغيير الحركات أو الحروف ، بحيث تصبح على صور مختلفة وإن كان أصلها واحداً .

ومن أمثلة ذلك ما ذكرناه عن ابن جني في الصفحات السابقة : كقولهم (الذروح والذّروح والذرّيح) الخ . . وهي دويبة حمراء منقطة بسواد تطير ، والجمع ذراريح .

ومن أسباب الترادف الإبدال والقلب كما جاء في المزهر ، قال أبو الطيب اللغوي في كتابه : ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة ، تتقارب اللفظتان في اللغتين لمعنى واحد ، حتى لا تختلفا إلا في حرف واحد ، ومن أمثلة الإبدال الأيم والأين : اللحية ، وطانه الله على الخير وطامه : يعني جبله ، وفناء الدار وثناء الدار ، وجدث وجدف للقبر ، ومرث فلان الخبز في الماء

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي سنة ١٩٣٥ جـ ١ ص ٣٢٤، مقالة الاستاذ علي الجارم .

ومرده ، ونبض العرق ونبذ .

ومن أمثلة القلب : ربض ورضب ، وصاعقة وصاقعة ، وعميق ومعيق ، وقد يقال أن هذا وما قبله ليس من باب الترادف وإنما هو ضرب من اختلاف اللهجات على أنا نرى أن هذا الإختلاف قد يكون في بعض الأحيان عظيماً كما رأيت[1] .

ومن أسباب الترادف ميل العرب إلى الكنى ، وهي كثيرة في كلامهم ، والشيء الواحد عندهم قد يناله كثير من الكنى يكثر إطلاقها عليه ، ويشيع استعمالها فيه ، وتزاحم اسمه في الشهرة حتى تصبح مرادفة له . مثال ذلك كنى النمر ، وهي : أبو الأبرد ، وأبو الأسود ، وأبو جهل ، وأبو خطاب ، وأبو رقاش . ومن كنى الأسد : أبو الأبطال ، وأبو الأخياس، وأبو التامور ، وأبو حفص ، وأبو الحذر ، وأبو الزعفران ، وأبوشبل، وأبو ليث ، وأبو لبد ، وأبو محراب ، وأبو محظم ، وأبو النحس ، وأبو الوليد ، وأبو الهيصم ، وأبو العباس ، وأبو الحارث[2] .

ومجمل القول أن الترادف واقع في العربية ، وأن كثيراً من علماء اللغة والأدباء توسّعوا فيه ، وتناسوا ما بين الكلمات من فروق ، أو اختلاف في الوضع ، أو اختلاف بين حقيقة ومجاز ، وأن الواجب يدعو إلى تمحيص هذه المفردات وتحديد ما بينها من فروق ، ونهيب بعلماء اللغة أن يتجردوا إلى البحث حتى لا تكون اللغة خصبة نامية في ناحية قفراً في ناحية أخرى ، وحتى تكون أدق تعبيراً وأوضح بياناً .

أقول مهما كانت فائدة المترادف في اللغة فإنه يجب أن نعتني بالدرس اللغوي وأن نحدد الفروق بين الكلمات فإنه في حين أن نستعمل كلمتين أو أكثر في معنى واحد فإننا نكون أحياناً في حاجة إلى لفظة كي نحدد معنى جديد فكثيراً ما نرى فكراً أو وجداناً تعوزه التسمية لأن فكراً آخر أو وجداناً آخر ظفر بتسميتين ، ويعد تحديد المعاني من أعظم أسباب الإجادة في صناعة الكلام ، فإن المترادف على كثرته وسعته يجب أن يؤخذ بنوع من التدقيق وتحديد الفروق حتى نستطيع أن نسير بلغتنا في ركب الحضارة والرقي وحتى نجد لكل فكر ، أو مستحدث مسمى نطلقه عليه وحتى يكون التعبير عن هذه المسميات واضحاً بيّناً لا لبس فيه ولا غموض .

وأقول أن الترادف كعامل من عوامل التوسّع اللغوي المؤثرة في اللغة قد لعب دوراً

(١) المرجع السابق ص ٣٢٥ .
(٢) المرجع السابق نفسه .

في حياة اللغة العربية إذ كان سبباً في ثراء اللغة بألفاظ قد يجد فيها المتكلم ضالته إذا ضاق عليه التعبير بلفظ ما .

وسنتابع بحث أثر المشترك والأضداد في اللغة في هذا الإطار حيث أن المشترك والتضداد أيضاً من العوامل المؤثرة في حياة اللغة من حيث أنها عامل توسّع في استعمال الألفاظ ومن حيث أنها تعطي دلالات جديدة نستعملها في حياتنا اليومية .

اتّساع المعنى بالنسبة للفــظ
« المشترك والأضــداد »

بعد أن بينا أثر الترادف في نمو وتطور اللغة وناقشنا الآراء المختلفة حوله سنعرض هنا لأثر المشترك في اللغة وكذلك الأضداد وسوف أوضح أثر هذه الظاهرة اللغوية من حيث إثراء اللغة ونموها ، ونسأل أنفسنا ما هو المشترك اللفــظي؟

هو « اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة »[1] .

ولقد اختلف الناس فيه . فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع ، لجواز أن يقع أما من واضعين ـ بأن يضع أحدهما لفظاً لمعنى ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين . وهذا على أن اللغات غير توقيفية ، وأما من واضع واحد لغرض الإبهام على السامع حتى يكون التصريح سبباً للمفسدة ، كما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد سأله رجل عن النبيﷺ ، وقت ذهابهما إلى الغار من هذا؟ قال: هذا رجل يهديني السبيل» .

ومنهم من أوجب وقوعه . قال لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية ، وذهب بعضهم إلى أن الاشتراك أغلب ، قال لأن الحروف بأسرهـا مشتـركة والأفعـال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاء والمضارع كذلك ، وهو أيضاً مشترك بين الحال والإستقبال ، والأسماء كثير فيها الإشتراك فإذا ضممناها إلى قسمي الحروف والأفعال ، كان الإشتراك أغلب ، وقد لحظ أوائل الرواة وجود هذا المشترك فكتب فيه أبو محمد يحي بن المبارك اليزيدي كتاباً باسم (ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه)[2] . ولأبي العميثل الاعرابي

(١) المزهر في اللغة ، السيوطي جـ ١ ص ٣٦٩ .
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٨٠ .

كتابه المأثور فيما اتفق لفظه واختلف معناه . ولم يأت ابن النديم به بهذا الاسم فذكر له كتاباً باسم « المتشابه »[1] ولعله هو ، وللمبرد كتاب باسم « ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه »[2] .

ومن الألفاظ المشتركة في معان كثيرة : لفظ العين : قال الأصمعي في كتاب الأجناس : العين على ثلاثة عشر وجهاً :

العين: هو النقد من دنانير ودراهم .

والعين: مطر أيام لا يقلع : يقال اصابت ارض بني فلان عين .

والعين: عين البئر وهو مخرج مائها .

والعين: القناة التي تعمل حتى يظهر ماؤها .

والعين: الفوارة التي تفور من غير عمل .

والعين: ما عن يمين القبلة ـ قبلة أهل مغيب الشمس . يقال نشأت السحابة من قبل العين .

والعين: عين الإنسان التي ينظر بها .

والعين: عين النفس وهو من قولهم عان الرجل الرجل ، إذا أصابه بعين وذلك إذا نظر إليه فتعجب له ، ورجل معين ومعيون .

والعين: عين الدابة أو الرجل وهو الرجل نفسه أو الدابة أو المتاع نفسه ،نقول لا أقبل منك إلا دراهمي بعينها أي لا أقبل بدلاً منها .

والعين: عين الميزان .

والعين: عين الجيش الذي ينظر لهم وعليهم ويقال له الشنيقة والطليعة .

والعين: عين الركبة .

والعين: هي التي عن يمين الرضفة وشمالها .[3]

وفي قصيدة للمعلم بطرس كرامه المتوفى سنة ١٨٥١ التي تسمى القصيدة الخالية لأن كل قوافيها كانت كلمة خال بمعنى مختلف نذكر منها خمسة أبيات من أولها على سبيل المثال من الطويل:

أمن خدها الوردي أفتنك الخال .
فسحٌ من الأجفان مدمعك الخال

(١) الفهرست لابن النديم ص ٧٨

(٢) نفس المرجع السابق ص ٩٤ .

(٣) المزهر في علوم اللغة ، السيوطي جـ ١ ص ٣٧٥ .

وأومض بـــرق من محيـا جمالهـا
لعينيك أم من ثغرهـا أومض الخال
رعـى الله ذيّاك القـوام وإن يكـن
تلاعـب في أعطافـه التيـه والخـال
ولله هاتيـك الجفـون فإنهـا
على الفتـك يهواهـا أخـو العشـق والخال
مهـاة بأمـي أفتـديهـا ووالـدي
وإن لام عمـي الـطيب الأصـل والخال[1]

فكلمة الخال هنا جاءت بمعاني ست ، هي : ـ
١ ـ الخال: الشامة في الوجه .
٢ ـ الخال: السحاب الممطر
٣ـ والخال: البرق
٤ ـ الخال : الاختيال
٥ ـ الخـال : الخلى
٦ ـ الخـال : خال الانسان أخو الأم .

وفي أبيات للخليل على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها
يا ويـح قلبـي من دواعـي الهوى إذ رحـل الجيـران عنـد الغـروب
أتبعتهـم طرفي وقـد أزمعـوا ودمـع عينـيّ كفيـض الغروب
كانـوا وفيهـم طفلـة حـرة تفتر عن مثل أقـاحي الغـروب[2]

فالغروب الأول: غروب الشمس.
والغروب الثاني: جمع غرب وهو الدلو العظيمة.
والغروب الثالث: جمع غرب وهي الوهاد المنخفضة.
ومن المشترك بالنسبة إلى لغتين : قال في الغريب المصنف قال أبو زيد: الألفت في كلام قيس: الأحمق . والألفت في كلام تميم : الاعسر[3].

(١) كلام العرب ، د. حسن ظاظا ص ١٠٩
(٢) المزهر جـ ١ ص ٣٧٦ وما بعدها.
(٣) قال في اللسان وسمي بذلك لأنه يعمل بجانبه الأميل.

وقال الأصمعي : السليط عند عامة العرب : الزيت . وعند أهل اليمن : دهن السمسم .

ومن غريب الألفاظ المشتركة لفظة (كذب) قال خراش بن زهير العامري جاهلي :

كذبت عليكم أوعدوني وعللوا بي الأرض والأقوام مردان موظبا

قال أبو زيد في النوادر : معنى كذبت عليكم : أي عليكم بي .

وتجيء كذب في الحديث والشعر قال عمر : كذب عليكم الحجّ . فرفع الحج بكذب والمعنى عليكم الحج أي حجّوا .

ونظر إعرابي رجل يعلف[1] بعيراً ، فقال : كذب عليك البزر والنوى . وفي الحديث : ثلاثة أسفار كذبن عليكم . قال الأصمعي : تقول العرب هذه الكلمة إذا أراد أحدهم الشيء قال : كذب عليك كذا : يريد عليك بكذا . وفي الحديث: كذب عليكم الحج وكذب عليكم العمرة وكذب عليكم الجهاد . ثلاثة أسفار كذبن عليكم[2] .

وقال التبريزي في موضع آخر في تهذيبه : تقول للرجل إذا أمرته بالشيء وأغريته به : كذب عليك كذا وكذا ، أي عليك به ، وفي القرآن القرء للحيض والطهر معاً .

وفي كتاب دور الكلمة في اللغة ترجمة د. كمال بشر ، يقول : والمشترك اللفظي ينشأ عن مصدرين مختلفين ، أكثرهما وقوعاً اتفاق كلمتين مستقلتين أو أكثر في الصيغة اتفاقاً بطريق الصدفة[3] .

وعلى هذا ليس هناك أقل من أربع كلمات تمثلها الصيغة Sound في الإنجليزية فهذه الكلمات الأربع بعد أن اشتقت من أصول مختلفة أخذت تتقارب بعضها من بعض في الصيغة حتى اتحدت وتماثلت . فالكلمة sound بمعنى helthy (صحيح البدن) كلمة جرمانية قديمة ، وهناك ما يقابلها بالفعل في تلك اللغة وهي الكلمة gesund التي لا تزال تؤدي هذا المعنى نفسه .

---

(١) عبارة اللسان : كان أبو عبيدة يحكيه عن إعرابي نظر إلى ناقة نضو لرجل ، فقال : كذب عليك البزر والنوى .

(٢) المزهر جـ ١ ص ٣٨٣ وفي القاموس : كذب بمعنى وجب ومنه الحديث وفي اللسان كذب عليكم الحج كذب عليكم . . . بدون واو.

(٣) دور الكلمة في اللغة أولمان : ترجمة د. كمال بشر ص ١٢٧ .

أما sound بمعنى صوت فإنها ترجع إلى الكلمة الفرنسية son وما العنصرd إلا تطور متأخر الحدوثsound بمعنى « سبر الغور» امتداد للفعل الفرنسي sonder . وربما تكون هناك علاقة تاريخية بين هذه الكلمة الفرنسية وبين الكلمة sound الرابعة التي تعني (مضيق الماء) والتي توجد في لغات جرمانية متعددة .

وإذا كانت أكثر كلمات المشترك اللفظي تنشأ عن تطور الأصوات تطوراً ممتداً في خطوط متقابلة بالتدريج ، فإن هناك كلمات أخرى تنشأ عن تطور مدلولات الكلمة الواحدة حين تمتد في خطوط متباعدة إلى أن تنعدم العلاقة بينهما ، وذلك كما في flower ,flour وأداة النفي الفرنسيةpas تتحد هي الأخرى في أصلها معpas بمعنى خطوة . ولكن من ذا الذي يستطيع أن يدرك العلاقة بينهما في عبارة مثل : pas un pas أي ولا خطوة ؟ على أن الحد الفاصل في الحكم بالإنفصال أو الإتصال ليس داعماً واضحاً وضوحاً تاماً[1] .

وبعد لقد اتفق أكثر العلماء على جواز وقوع المشترك لأنه يمتنع عقلاً أن يضع واحد من أهل اللغة لفظاً واحداً على معنيين مختلفين بالوضع الأول على طريق البدل ، ويوافقه عليه الباقون ، أو أن يتفق وضع إحدى القبيلتين للاسم على معنى حقيقته ووضع الأخرى له معنى آخر من غير شعور كل واحدة بما وضعته الأخرى ثم يشتهر الوضعان ويختفي سببه ، فإذا قيل الألفت بمعنى الأحمق ، والأعسر ، فلقد جاءت الأولى في لغة قيس وجاءت الثانية في لغة تميم .

ونضيف إلى اختلاف اللهجات ما ذكره «أولمان» في كتاب (دور الكلمة في اللغة) من أن اختلاف الصيغة يؤدي إلى وجود المشترك وكذلك تطور الأصوات أيضاً يؤدي إلى وجود المشترك اللفظي ، نقول أن العوامل المختلفة التي تؤثر في الألفاظ لها أثر كبير في وجود المشترك اللفظي كما أوضحنا سابقاً .

ولكثرة المشترك في اللغة ذهب العلماء إلى وجوب وجوده مستندين في هذا إلى نظرة عددية فقالوا : المسميات غير متناهية والأسماء متناهية ، ضرورة تركيبها من الحروف المتناهية فلو لم تكن الألفاظ المشتركة واقعة في اللغة لخلت أكثر المسميات من الألفاظ الدالة عليها مع دعوى الحاجة إليها »[2] .

(١) دور الكلمة في اللغة ، اولمان ، ترجمة د. كمال بشر ص ١٢٨ .
(٢) انظر : المستصفى من علم الأصول ، للإمام الغزالي جـ ١ ص ١٩٨ .

وبعد فإن ظروف الحياة المتغيرة تفرض على اللغة أن توافيها بحاجاتها دائماً وأبداً ، فالأشياء المستحدثة لا بد لها من وسائل لغـوية جديدة للتعبـير عنهـا ، وكذلك الأفـكار القديمة هي الأخرى بحاجة إلى مثل هذه الوسائل حين يتناولها الفهم تناولاً حديثاً . وكل هذا يعني أن صورة الثروة اللفظية التي تبدو في ظاهرها ساكنة لا بد أن تتمها وتكملها صورة أخرى لثروة لفظية متحركة متطورة حتى تسعف المتحدثين بهذه اللغة على التعبير عن المعاني والمستحدثات التي تصادفهم في حياتهم . فلا يقف الإنسان حائراً أمام الألفاظ لأنه حتماً سيجد من الألفاظ ما يدل على المعنى الذي يريد .

الأضـــداد

في اللغة ألفاظ تمتـاز بخـاصية مزدوجـة تستعمـل على وجهـين متضـادين فالجلل العظيم ، والجلل الهين ـ والمسجـور يطلـق على المملـوء والفـارغ ـ والرهـو والارتفـاع والانحدار ، وهذا نوع من المشترك . ولكن هناك فارق بين المتضاد والمشترك ، ولا بد أن يكون هناك فارق لأننا كما عرفنا من قبل قليل أن هناك كتباً للمشترك فإننا سنرى بعد قليل كتباً أخرى للأضداد .

والضد ـ كما يفسره اللغويون ـ هو « كل شيء ضاد شيئاً ليغلبـه . والسـواد ضد البياض والموت ضد الحياة والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذاك » هذا قول الليث . وقال ابن السكيت : حكى لنا أبو عمرو : « الضد مثل الشيء والضد خلافه » فما مدى صلة الأضداد بهذا التفسير اللغوي؟ .

وفي أثناء بحثنا عن الأضداد رأينا أن نأخذ العلم بها من الكتب التي أفردت لها . وقد بقي لنا منها كتاب لكل من : ـ

أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي	٢١٦ هـ
أبي يوسف يعقوب بن السكيت	٢٤٤ هـ
أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني	٢٥٥ هـ
أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري	٣٢٨ هـ
سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان	٥٦٩ هـ
الحسن بن محمد الصغـاني	٦٥٠ هـ

ولما كان الضد لا يعني النقيض بصفة مطلقة فإننا رأينا أن نصنف أمثلة مما جاء في الأضداد لنعرف وجهتهم فيها .

(١) انظر : المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٣٨٧ وما بعدها .

فمن الأضداد هذه المقابلة :

القنيص : للصائد وللصيد
الكرى : المستأجَر (بفتح الجيم) والمستأجِر (بكسر الجيم)
الغريم : المطلوب بالدين ، والطالب دينه .
المولى : المنعم ، والمنعم عليه[1]
البيع : للبيع والشراء[2]
الأمين : المؤتمن ، والمؤتمن بكسر الميم الثانية وفتحها .

ومنها ما هي لجهات في قبائل مختلفة فمن ذلك : ـ

لق : لقت الشيء ألقه لقاً إذا كتبته في لغة عقيل وسائر العرب يقولون لقته محوته .
السدفة : في لغة تميم الظلمة وفي لغة قيس الضوء .
السامد : الحزين في كلام طيء ، واللاهي في كلام اليمن .
الساجد : المنتصب في لغة طيء وعند غيرهم المنحني .
المقور : هو السمين في لغة الهلاليين ، وفي لغة غيرهم المهزول .
القلت : في لغة أهل الحجاز النقرة الكبيرة الموضع الذي يستنقع فيه الماء في السهل والجبل ، واسع يغرق فيه الفيل ، وعند قيس وأسد وتميم النقرة الصغيرة في الصخرة وغيرها[3]
المشايح : في لغة هذيل الجاد ، وفي لغة نجد المحاذر .

ومن الكلمات ما أطلق على الضدين لمعنى مشترك بينهما من ذلك : ـ

القرء : فالقرء ليس هو الطهر بذاته ، وليس هو الحيض بذاته وإنما هو للوقت . قال أبو عمرو بن العلاء «يقال قد رفع فلان إلى فلانة جاريته تقرئها يعني تحيض عندها وتطهر ، إذا أراد أن يستبرئها وقال إنما القرء الوقت فقد يجوز أن يكون وقتاً للطهر ووقتاً للحيض ، وأقرأت الرياح هبت لوقتها» .

الذفر : وجه التضاد فيه أنه يطلق على الرائحة الطيبة والنتنة وهذا المعنى لا يستمد دلالته

(١) مجموعة الأضداد : مجموعة للأصمعي والسجستاني وابن السكيت ، والصغاني ص ٣٤ .
(٢) مجموعة الأضداد ص ٢٩ .
(٣) مجموعة الأضداد ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

من ذات الكلمة ولكن من معنى مشترك بين الضدين وهو وحدة الريح في الطيب والنتن جميعاً[1] .

طرب: وهذا حرف من الأضداد، يقال طرب إذا فرح وطرب إذا حزن ـ والطرب ليس هو الفرح أو الحزن وإنما هو صفة تلحق الانسان في وقت فرحه وحزنه فيقال قد طرب إذا استحف[2] .

المأتم : يقال للنساء المجتمعات في الحزن مأتم وللمجتمعات في الفرح مأتم وإنما جاءت هذه الدلالة لأن المأتم يطلق على مجرد اجتماع النساء .

ومن الكلمات ما أطلق على الشيء بذاته ثم أطلق على معنى آخر مستمد من استعمال هذا الشيء، من ذلك: ـ

الظعينة : فالظعينة المرأة في الهودج ، والظعائن الهوادج . قال أبو زيد الظعائن الهوادج وإنما سميت النساء ظعائن لأنهن يكن فيها .

الكأس: من الأضداد لأنه يطلق على الاناء ذاته كما يطلق على ما فيه من الشراب .

ومن هذا نجد أن تحديد الأضداد شيء دقيق لا يكاد يفصله عن المشترك إلا ما يبدو من كثرة استعمال الأضداد على وجهين ، بينما المشترك قد يستعمل على وجهين وأكثر . وإلا ما يبدو من وجوه المقابلة والتناقض أحياناً بين المتضادين ، ولهذه الدقة كان يقف اللغويون من الأضداد مواقف غير واضحة .

فابن الأنباري وله كتاب في الاضداد يقول في جزء منه (ومما يشبه الأضداد) قول العرب طبخت اللحم إذا طبخ في القدر وطبخته إذا شوي في التنور ويقال قد طبخت فلانا الشمس إذا غيرّته[1] .

وكان أبو حاتم السجستاني لا يستريح إلى ما ذهبوا إليه إذ كان لا يعبر تعبيراً دقيقاً عن هذه المختارات التي جمعوها تحت هذا الاسم فألّف كتابه وسماّه (كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب ، والمزال عن جهته ، والأضداد) وجاز له بهذا الإتساع في التسمية أن يأتى بالألفاظ المزالة عن جهتها والتي جاءت أكثرها في كتب غيره ويقف عندها لا يراها

(١) الأضداد لابن الأنباري ص ٧٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ ـ ٨٨ .
(٣) الأضداد في كلام العرب ص ٢٦٢ لأبي الطيب الحلبي تحقيق د. عزة حسن .

من الأضداد فمن ذلك:

السليم: قالوا السليم السالم ، والسليم الملدوغ فقال أبو حاتم : هو عندي على التفاؤل.

المسجور: وقالوا: في معنى المسجور: المملوء والفارغ واحتجوا للأخير بقول جارية بالحجاز (إن حوضكم لمسجور) ولم يكن فيه قطرة .

قال أبو حاتم يمكن أن يكون هذا على التفاؤ ل كما يقال للعطشان ريان[1] شوهاء : قال أبو عبيدة ، يقال مهرة شوهاء ، إذا كانت قبيحة ومهرة شوهاء إذا كانت جميلة[2] . قال أبو حاتم : لا أظنهم قالوا للجميلة شوهاء إلا مخافة أن تصيبها العين ، كما قالوا للغراب لحدة بصره أعور .

قال أبو عبيدة : ويقال: لا تشوّه عليّ أي لا تقل: ما أحسنه فتصيبني بعين قال: وما سمعتها إلا في هذين الحرفين.

وأما في معنى القبح فيقال : شوّه الله خلقه تشويهاً ، و« شاهت الوجوه » . وهذا من حديث الرسول ﷺ أي قبحت.

العقوق: وقالوا في العقوق أنه للحامل والحائل فقال أبو حاتم : أظن هذا من التفاؤل كأنهم أرادوا أنها ستحمل إن شاء الله .

ولم يثق بقول أبي عبيدة حين فسر (أسرّ) بمعنى الإظهار ـ قال أبو عبيدة أسررت الشيء أخفيته ، وأظهرته أيضاً وكان يقول في هذه الآية : (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أظهروها ، فقال أبو حاتم : ولا أثق بقوله هذا والله أعلم . وقد زعموا ان الفرزدق قال في معنى الإظهار :

فلما رأى الحجاج جرد سيفه أسر العروري الذي كان أضمرا

فقال أبو حاتم : ولا أثق أيضاً في قول الفرزدق في القرآن ولا أدري لعله قال : الذي أظهرا[3] أي كتم ما كان أعلنه .

وعقد أبو حاتم فصلاً في آخر الكتاب افتتحه بقوله : (وقد ذكر بعض أصحابنا

---

(١) رواية اللغة د. عبد الحميد الشلقاني ص ٣٣٦.
(٢) الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب عبد الواحد الحلبي تحقيق د. عزة حسن ص ٤٠٨ .
(٣) نفسه ص ٣٥٣.

حروفاً لا علم لي بها أتقال أم لا) ومن ذلك زعوم ـ للناقة التي سمنت ، والتي لم تسمن . قال أبو حاتم : لا أعرف ذلك إنما أعرف ناقة زعوم ، للّتي يشك فيها أسمينة هي أم لا »[1] .

ومن الأضداد قال أبو حاتم : زعموا أن الأصمعي قال :

الحميم الماء الحار والحميم الماء البارد ، قال : ولا أعرف البارد إنما هو الحار ، ومنه سمّي الحمّام حمّاماً .

قال : وسمي العرق الحميم لأنه حار . ويقال : إستحم الفرس ، إذا عرق . قال الشاعر :

إذا استحممت أرضه من سمائه جرى وهو موعود وواعد[2]

وزعموا أن الأصمعي قال الحميم : الماء الحار والماء البارد.

وكان ابن الاعرابي يراه كذلك واستشهد بقول الشاعر :

وساغ لي الشراب وكنت قدما أكاد أغص بالماء الحميم

فقال الأزهري : فالحميم عند ابن الأعرابي من الأضداد ولكن أبا حاتم يقول:لا أعرفه .

وكذلك اختلف اللغويون في الأضداد وتعددت فيها آراؤهم ففريق منهم اعترف بها وأيّد الرأي في وجودها . وفريق آخر ناقش فيها واعترف بها تحت شروط خاصة ، وفريق ثالث أنكر الأضداد .

فمن القائلين بالأضداد بالإضافة إلى أصحاب الكتب السابقة أبو العباس محمد ابن يزيد المبرد الذي يقول في كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من كلام العرب يقول : ومنه ما يقع على شيئين متضادين كقولهم جلل للكبير والصغير[3] .

ومنهم أحمد بن فارس الذي يقول في فقه اللغة من سنن العرب في الأسماء أن يسمّوا

---

(١) المرجع السابق ص ٣٣٦ .
(٢) الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب عبد الواحد الحلبي ص ٢٠٨ .
(٣) المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٣٨٨ .

المتضادين باسم واحد نحو الجون للأسود والجون للأبيض . ثم وقف يدافع عن هذا الرأي ويشير إلى معارضيه بقوله : وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده وهذا ليس بشيء ، وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمّي المتضادين باسم واحد قال : وجردنا في ذلك كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به وذكرنا ردّ ذلك ونقيضه[1] .

وفي هذا الخبر ما يشير إلى هؤلاء الذين ينكرون الأضداد كما نلمح ضعف دفاعه ووهن حجّته ، فالمهند هو السيف على إطلاقه وإنما هو الذي عمل في الهند ، والطرف من الخيل هو الكريم العتيق ، وقيل هو الطويل القوائم والعنق المطرف الأذنين ، وقيل هو الذي ليس من نتاجك كما يحكي صاحب اللسان ـ وليس هو الفرس على إطلاقه .

وكان ابن دريد يتردد في الأضداد ، رأينا ذلك في بعض كلمات فسّرها في الجمهرة كان يقول : متضادين يشير إلى ذلك ولا ينسبه لنفسه يقول في (بك) الشيء يبكه بكاً إذا خرقه أو فرقه والبك الإزدحام (وكأنه عندهم من الأضداد)[2] .

وفي غابر يقول : والغابر الماضي والغابر الباقي، هكذا يقول بعض أهل اللغة وكأنه عندهم من الأضداد .

وفي قوله تعالى : (وإذا البحار سجرت) قال أبي خلت من الماء وزعموا أنه من الأضداد ، وما أحب أن أتكلم فيه[3] .

وإذا كنا لم نتبين من رأي ابن دريد إلا هذا القدر الذي لا يقطع برفضه للأضداد نراه في خبر آخر يجزم برفض الأضداد وإذا كانت كلمات في لغات ، فسّر كلمة الشعب فقال : الشعب هو الإفتراق ، والشعب الإجتماع ثم قال (وليس من الأضداد وإنما هي لغة قوم) .

ونقول أن اختلاف اللهجات أدّى إلى وجود الأضداد فهذا يؤيّد وجود الأضداد ولا ينفيه .

وكان أبو علي القالي ، وهو تلميذ ابن دريد يرفض القول بالتضاد في أحوال أدركنا بعضها من خلال مناقشته ووقفنا عند البعض الآخر لم نتبّين فيه رأيه لا على وجه نظنه ـ

(١) فقه اللغة لابن فارس ص ٦٦ ـ ٦٧ .
(٢) الجمهرة في اللغة لابن دريد جـ ١ ص ٣٦ .
(٣) المرجع السابق ص ٧٦ .

قال في الآمالي : («الصريم ـ الصبح ـ سمّي بذلك لأنه انصرم من الليل ، والصريم الليل لأنه انصرم عن النهار ، وليس هو عندنا ضداً».

وهنا نرى أبا علي يتمسك بأصل المعنى وهو القطع ولا يرى من الأضداد ما تفرع عنه أو تداخل فيه . وأشار ابن الأنباري إلى فريق كان يرى هذا الرأي فقال «وقال آخرون إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فالأصل لمعنى واحد ثم تداخل الاثنان على جهة الإتساع فمن ذلك الصريم يقال لليل صريم وللنهار صريم لأن الليل ينصرم من النهار والنهار ينصرم من الليل فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع»[1].

أما قول القالي : النطفة : الماء تقع على القليل منه والكثير وليس بضد[2] فإننا لم نتبيّن رأيه في هذا إلا عندما رأينا الأزهري يقول في اللسان (إنها في القليل أخصّ) .

وكأن أبا علي لا يرى من الأضداد إلا ما وقع على المعنيين بمساواة بينهما .

أما من أنكر الأضداد فيتمثّل في هؤلاء الذين يشير إليهم محمد بن القاسم بن بشار الأنباري في مقدمة كتابه (الأضداد في اللغة) بقوله : « ويظن أهل البدع والزيغ والإزدراء بالعرب أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وكثرة الإلتباس في محاوراتهم عند اتصال مخاطباتهم فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الإسم منبىء عن المعنى الذي تحته ودالّ عليه وموضّح تأويله فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب . وبطل بذلك معنى تعليق الإسم على المسمّى فأجيبوا عن هذا الذي ظنّوه وسألوا عنه بضروب من الأجوبة أحدهن أن كلام العرب يصحّح بعضه بعضاً ويرتبط أوّله بآخره ، ولا يعرف معنى لخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر[3] » .

وكان ابن درستويه ينكر الأضداد وقد ألّف في إبطالها كتاباً أشار إليه في شرحه للفصيح فقال (النوء : الإرتفاع بمشقة وثقل ومنه قيل للكوكب قد ناء إذا طلع . وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط ، وأنه من الأضداد . وقد أوضحنا الحجّة عليهم في كتابنا في أبطال الأضداد[4] » .

---

(١) الأضداد لابن الأنباري ص ٨٠ ، وانظر المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٣٩٧ .
(٢) المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٣٩٧ .
(٣) الأضداد لابن الأنباري ص ٨ وانظر الأسيوطي ص ٣٩٧ ، المزهر
(٤) المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٣٩٧ .

وبعد هذه المقابلة بين من قال بوجود الأضداد في اللغة وبين من أنكر وجودها ، وبين من لم ينكر وجودها ولكنه وقف موقفاً متردداً في قبولها أحياناً وإنكارها أحياناً أخرى . أقول أن الأضداد على قلّتها في اللغة العربية فإنها موجودة وكما ذكرنا في المشترك والمترادف من أسباب أيدت وجود هذه الألفاظ في اللغة ، فإن نفس الأسباب تقريباً تؤيّد وجود الأضداد في اللغة . وكلنا يعرف قصة الرجل الذي خرج من بني كلاب إلى ذي جذن حيث قابل الملك حيث قال له : ثب ، فقال له : سمعاً وطاعة ثم وثب من فوق السطح ، فقال الملك ما شأنه ؟ فقالوا له : أبيت اللعن : إن الوثب في كلام نزار الطمر أي القفز ، فقال الملك : ليست عربيتنا كعربيتهم من ظفر حمر أي من أراد أن يقيم بظفار فعليه أن يتفاهم بالحميرية . إنما ضربت هذا المثل لكي أدلّل على أن الأضداد شأنها شأن الترادف والمشترك وكما ظهر لنا أن اختلاف البيئة واختلاف اللهجة واختلاف المدنية والمجتمع كانت سبباً في اختلاف المعنى ككلمة الوثب تأتي بمعنى الجلوس وضدّها القفز والطمر .

وبعد فإنني أجد أن استعمال المشترك والأضداد والترادف في اللغة أمر لا يضير اللغة ولا يسيء إليها إذا كان هذا الإستعمال عند الضرورة اللغوية واستجابة لحاجة حقيقية في الأسلوب لا لمجرد الزهو بسعة المعرفة اللغوية، فلا ضير على الكاتب أو المؤلف أو المنتج أو الشاعر من أن يستعمل ما يناسبه من الألفاظ والكلمات حتى لا يقف عاجزاً حائراً أمام لفظة دون أن يجد بديلاً عنها . وإننا كما قلنا أنه من الأفضل أن يكون الكلام محدداً واضحاً وأن يختار المتكلم والأدباء والشعراء وجميع من يتعامل مع اللغة من الأفضل أن يختاروا الواضح من الكلام والمحدّد من المعاني حتى لا يقف السامع مشدوهاً أمام الألفاظ الغريبة عليه . لأن من واجب المتحدث إيصال المعنى إلى السامع واضحاً جلياً .

وكما قلنا لا يكون استعماله للأضداد أو المشترك أو الترادف إلا عند الحاجة الضرورية لذلك .

وسنرى في الفصل الثالث من هذا الباب أثر الإقتراض من اللغات الأخرى في اللغة وسوف نناقش الآراء المختلفة حول هذا الموضوع موضّحين أثر اللغات الأخرى في لغتنا العربية باعتبار أن المعرّب هو طريق من طرق نمو اللغات وتطوّرها لأن اللغات تأخذ وتعطي وتتفاعل لأنها وسيلة التعبير والتعامل بين الناس على مختلف طبقاتهم ومجتمعاتهم وأجناسهم .

الفصل الثالث

المستعار من اللغات الأخرى
المعرب والدخيل

قبل البدء في معرفة المعرب لا بد أن نفرق بين المعرب والدخيل في اللغة . لأن الكثير يخلط بين المعرب في اللغة والدخيل.

المعرب : هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها بحيث يصبح عربياً إذ يدخل في اللغة العربية ويشتق منه ويدخل في الميزان الصرفي والصيغ العربية.

أما الدخيل : هو الألفاظ التي دخلت العربية من لغات أخرى وحافظت على شكلها ولم تخضع للميزان الصرفي العربي ولم يشتقّ منها ألفاظاً.

قال الجوهري في الصحاح : تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها تقول عرّبته العرب وأعربته أيضاً.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : أما لغات العجم في القرآن فإن الناس اختلفوا فيها ، فروي عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرف كثيرة أنها بلغات العجم منها . قوله : طه ، وألم ، والطور ، والربانيون ، فيقال أنها بالسريانية ، والصراط ، والقسطاس والفردوس يقال أنها بالرومية .

ومشكاة وكفلين يقال أنها بالحبشية ، وهيت لك يقال أنها بالحورانية قال : فهذا قول

أهل العلم من الفقهاء[1] .

قال : وزعم أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء لقوله تعالى : « قرآناً عربياً » وقوله « بلسان عربي مبين » .

قال أبو عبيدة : والصواب عندي مذهب فيه تصديق لقولين جميعاً وذلك أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال أنها عربية فهو صادق ومن قال أنها عجمية فهو صادق »[2] .

وقال أبو حيان في الارتشاف : الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام : قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزوائد والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع ، نحو درهم وبهرج وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها ، فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله نحو آجر وسفسد .

وقسم تركوه غير مغير فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يعد منها ، وما ألحقوه بها عُدّ منها، مثال الأول خراسان لا يثبت به فعلان . ومثال الثاني حزم الحق بسلم ، وكركم ، الحق بقمقم[3] .

قال أئمة العربية : تعرف عجمة الاسم بوجوه : -

أحدها : النقل بأن ينقل ذلك أحد أئمة العربية .
الثاني: خروجه عن أوزان الأسماء العربية نحو (ابريسم) فان مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء في اللسان العربي .
الثالث: أن يكون أوله نون ثم راء نحو « نرجس » فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية .
الرابع : أن يكون آخره زاي بعد دال نحو (مهندز) فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية .
الخامس: أن يجتمع فيه الصاد والجيم نحو الصولجان ، والجص .

---

(١) المزهر في علوم اللغة ، جلال الدين السيوطي جـ ١ ص ٢٦٨ .
(٢) مجاز القرآن : تحقيق د. فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٠ ، وانظر: - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، شهاب الدين الخفاجي ، وانظر : الإشتقاق والتعريب ، د. عبد القادر المغربي.
(٣) الحزم : نبات الشجر ، وعيش حزم : ناعم .

السادس: أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو المنجنيق.
السابع: أن يكون خماسياً ورباعياً عارياً عن حروف الذلاقة وهي ، الياء والراء والفاء ، واللام ، والميم ، والنون . فإنه من كان عربياً ، فلا بد أن يكون فيه شيء منها ، نحو سفرجل ، وقذعمل وقرطب ، وجحمرش . فهذا ما جمعه أبو حيان في شرح التسهيل.

وقال الفارابي في ديوان الأدب : القاف والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة في كلام العرب ، والجيم والتاء لا تجتمع في كلمة من غير حرف ذولقي ولهذا ليس الجبت[1] من محض العربية ، والجيم والصاد لا يأتلفان في كلام العرب ولهذا ليس الجص ولا الإجاص ولا الصولجان بعربي ، والجيم والطاء لا يجتمعان في كلمة واحدة ولهذا كان الطاجن والطيجن فارسي معرب ، لأن ذلك لا يكون في كلامهم الأصلي .

وفي الصحاح : المهندز : الذي يقدر مجاري القنى والأبنية معرب ، وصيّروا زايه سينا ، فقالوا : مهندس ، لأنه ليس في كلام العرب زاي قبلها دال .

وقال أيضاً : الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب إلا أن تكون معربة أو حكاية صوت نحو الجردقة وهو الرغيف ، والجرموق : الذي يلبس فوق الخف . والجرامقة قوم بالموصل أصلهم من العجم .

والجوسق : القصر ، وجلق : موضع بالشام والجوالق وعاء .

والجلاهق : البندق . والمنجنيق : التي يرمى بها الحجارة .

وقال الأزهري في التهذيب[2] متعقباً على من قال : الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة من كلام العرب ، والصاد والجيم مستعملان ، ومنه جصص الجرو إذا فتح عينيه ، وجصص فلان إناءه إذا ملأه والصج ضرب الحديد بالحديد . وقال البطليوسي في شرح الفصيح : لا يوجد في كلام العرب دال بعدها ذال إلا قليل ولذلك أبى البصريون أن يقولوا بغداد بإهمال الدال الأولى وإعجام الثانية .

وقال ابن دريد في الجمهرة[3] : لم يجمع العرب الجيم والقاف في كلمة إلا في خمس كلمات أو ست . وقال ابن فارس في فقه اللغة : حدّثني علي بن أحمد قال سمعت ابن دري

---

(١) الجبت : الصنم والكاهن والساحر وكل ما عبد من دون الله .
(٢) المزهر في علوم اللغة جـ ١ ص ٢٧١ وما بعدها ، وانظر مقدمة جمهرة اللغة ابن دريد جـ ١ ص ٤ ـ ٥ .
(٣) انظر: جمهرة اللغة : ابن دريد ص ٤ ـ ٥ .

يقول : حروف لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة فإذا اضطروا إليها حوّلوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها ، وذلك كالحرف الذي بين الباء والفاء إذا اضطروا قالوا « فور »[1] .

قال ابن فارس : وهذا صحيح لأن بور ليس من كلام العرب ، فلذلك يحتاج العربي عند تعريبه إياه أن يصيره فاء .

قال ابن دريد في الجمهرة : قال أبو حاتم قال الأصمعي : العرب تجعل الظاء طاء ألا تراهم سموا الناظر ناطور[2] أي ينظر ويقولون البرطله[3] وإنما هو ابن الظله . وفي مختصر العين : الناظر والناطور : حافظ الزرع وليست بعربية .

وقال سيبويه أبدلوا العين في اسماعيل لأنه أشبه الحروف بالهمزة ، قالوا فهذا يدل على أن أصله في العجمية اشمائيل.

وفي شرح أدب الكاتب : التوت أعجمي معرب ، وأصله باللسان العجمي توث وتوذ فأبدلت العرب من الثاء المثلثة والذال المعجمة تاء ثنوية لأن المثلثة والذال مهملان في كلامهم .

وقال أبو حنيفة : توث بالثاء المثلثة ، وقوم من النحويين يقولون توت بتاء ثنوية ، ولم يسمع به في الشعر إلا بالمثلثة وذلك أيضاً قليل ، لأنه لا يكاد يجيء عن العرب إلا بذكر الفرصاد وأنشد لبعض الاعراب :

لروضة من رياض الحزن أو طرفة ... من القرية حزن غير محروث
أحلى وأشهى لعيني إن مررت به ... من كرخ بغداد ذي الرمان والتوث

وقال ابن درستويه في شرح الفصيح[4] : الجص فارسي معرب (كج) أبدلت فيه الجيم من كاف أعجمية لا تشبه كاف العرب ، والصاد من جيم أعجمية وبعضهم يقول : القص بالفتح ، وهو أفصح ، وهو لغة أهل الحجاز .

وقال الجواليقي في المعرب : إن العرب كثيراً ما يجترئون على الأسماء الأعجمية

---

(١) فور: بلد بساحل بحر الهند هرب بور.
(٢) الناطور والناطر : حارس الزرع .
(٣) في الأصل يقولون : ابن طله : وإنما هو ابن الظل والتصحيح عن اللسان والبرطله : المظلة الصيفية .
(٤) المرجع السابق ص ٢٧٣ ـ ٢٧٥ ، انظر : المخصص لابن سيده جـ ١٤ ص ٣٩ وما بعدها.

فيغيرونها بالإبدال ، قالوا : اسماعيل وأصله اشمائيل ، فأبدلوا لقرب المخرج قال : وقد يبدلون مع البعد من المخرج ، وقد ينقلونها إلى أبنيتهم ويزيدون وينقصون .

وقال بعضهم : الحروف التي يكون فيها البدل في المعرب عشرة ، خمسة يطرد إبدالها وهي : الكاف ، والجيم ، والقاف ، والباء ، والفاء ، وخمسة لا يطرد إبدالها وهي : السين ، والشين ، والعين ، واللام ، والزاي ، فالبدل المطرد هو في كل حرف ليس من حروفهم كقولهم : كربج[1] الكاف فيه بدل من حرف بين الكاف والجيم ، فأبدلوا فيه الكاف ، والقاف نحو قربق[2] . أو الجيم نحو جورب ، وكذلك فرند هو بين الباء والفاء فمرة تبدل منها الباء ومرة تبدل منها الفاء .

وأما ما لا يطرد فيه الإبدال فكل حرف وافق الحروف العربية كقولهم : اسماعيل أبدلوا السين من الشين والعين من الهمزة ، وأصله اشمائيل .

وكذلك قفشليل[3] أبدلوا الشين من الجيم واللام من الزاي والأصل قفجليز . وأما القاف في أوله فتبدل من الحرف الذي بين الكاف والجيم .

وذكر أبو حاتم أن الحاء في الحب[4] بدل من الخاء وأصله في الفارسية خبء قال : وهذا لم يذكره النحويون وليس بالممتنع .

وقال أبو عبيد في الغريب المصنف : العرب يعربون الشين سينا يقولون : نيسابور ، وهي نيشابور ، وكذلك الدشت[5] يقولون دست فيبدلونها سينا .

بعد أن استعرضنا آراء القدماء حول المعرب والدخيل نحاول في هذه الصفحات أن نبحث في آراء المحدثين والمعاصرين في هذه القضية ونخلص بالنتيجة التي نراها في صالح لغتنا العربية العريقة لغة القرآن والتي حفظت من التغيير والإندثار لأنها لغة القرآن وقد تعهد الله بحفظ القرآن إذ قال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

ولنبدأ مع الأب رفائيل نخله اليسوعي وكتابه غرائب اللغة العربية . يقول الأب

---

(١) الكربج : الحانوت ، أو متاع الحانوت البقال .
(٢) في القاموس : هو دكان البدال معرب كربه .
(٣) القفشليل : المغرفة .
(٤) الحب : الجرة الضخمة .
(٥) الدشت : الصحراء .

رفائيل : لقد أبدى العرب القدماء شدة ذكائهم وغيرتهم على لسانهم إذ أغنوه بآلاف الألفاظ الأعجمية التي لم يكن فيه ما يؤدي معانيها ، غير أنهم قد جعلوها على صيغ عربية أو شبيهة بالعربية ، ولهم من المهارة في ذلك التحويل ما يقضي منه العجب . وأيم الحق ، هل يخطر ببال غير الخبراء كون كلمة ترعة مقتبسة من الآرامية ، وبستان من الفارسية ، وبرج من اليونانية ، فصيح من العبرانية ، قنبلة من التركية ، دينار من اللاتينية !

أما ورثاء لسان العرب المعاصرون فترى فيهم نفوراً مفرطاً من اعتنائه باقتباس الكلمات الناقصة فيه من لغات الأعاجم ، مع أن أغنى لغات الغرب بالكلمات كالفرنسية والإنكليزية والألمانية ، لا تزال تزيد ثروتها اللفظية على ذلك الأسلوب الرشيد ، الكلمتان ، تلغراف وتليفون اليونانيتا الأصل قد اندمجتا في قواميس أكثر لغات أوربة وقد اشتقّت منهما أفعالاً ونعوتاً وظرفيات ، أما نحن فقد خفنا خوفاً غير معقول من تشويه لغتنا باقتباسهما ، فسمّينا التلغراف برقاً ، والتليفون هاتفاً ، وهما إسمان مبهمان لا يدلاّن على المعنيين المقصودين دلالة واضحة ، فعسى أن نقتدي برحابة عقل العرب الأقدمين وبغيرتهم الفطنة على لغتهم فنغنيها بآلاف كلمات أعجمية نفرغها على مثالهم في قوالب الصيغ العربية بقدر الإمكان ، إنما الإقتراض علاج ناجع للعوز[1] .

ويورد في كتابه أمثلة من الكلمات المأخوذة من لغات مختلفة ، مثلاً :

بطاطة batata من الاسبانية وروم : نوع مشروب كحولي rum من الانجليزية ، وتوتيا : معدن الزنك tuthia من الالمانية ، زنك Zink من الالمانية . بغل bagl حبشية ، بترول : نفط petroleum من اللاتينية ، صراط Strutaلاتينية وبرلمان parlement فرنسية ، جنرال general فرنسية ، وبوغاز boghaz تركية ، ودوشك deuchek تركية . آمين : amen مكيكن هكذا عبرانية ، وتوراه Tora شريعة : عبرية ، جدث : قبر dadich عبرانية وجهنم guay Hinom ، وادي هنم : هذا الوادي في جنوب القدس وقد كثر فيه قبل ميلاد السيد المسيح إحراق الأطفال تضحية بهم لمولوفي إله العمونيين : عبرانية .

هذا رأي الأب رفائيل بالنسبة للمعرب والدخيل في اللغة وأن الآب رفائيل أصاب في أنه يجب أن نعرب الكلمات التي نحتاجها للتعبير عن المعاني والألفاظ التي لا نجد في لغتنا ما يدلّ عليها . ولكن يجب علينا أن لا نفتح الباب على مصراعيه لدخول الألفاظ والكلمات الدخيلة على العربية دون رابط ودون أن نقف قليلاً أمام هذه اللفظة ولنراجع

(١) غرائب اللغة العربية ، الأب رفائيل نخله اليسوعي ، ص ٢٨٤ ، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت .

أنفسنا ربما نجد لها مرادفاً في لغتنا العربية ، وأقول أنه يجب قدر الإمكان أن نخضع الدخيل إلى قواعد وأوزان لغتنا العربية حتى لا تصبح لغتنا بعد فترة من الزمن تعج بآلاف الألفاظ الدخيلة التي لا تخضع حتى للأوزان العربية ، أقول أن تعريب الألفاظ التي نحتاجها في الطب أو العلوم أو أسماء المخترعات الحديثة أمر لا بأس به ولا بد أن نجاري التقدم الحضاري والعلمي والتقني في العالم حتى يجد العربي أن لغته قادرة على مسايرة هذا الركب العالمي والتقدم الحضاري المستمر .

وفي كتاب الإشتقاق والتعريب للأستاذ عبد القادر المغربي ، يقول : وإنما كان إبداع القرآن أو الحديث أو أي كلام عربي ، شيئاً من الكلمات الأعجمية المعربة لا يخرجه عن العروبة ولا ينزع عنه لباس الفصاحة والبلاغة ، ذلك لأن مولى القوم منهم ، ولأن سلمان الفارسي قد أصبح بعد إسلامه واتّباعه طريقة آل البيت واحداً من آل البيت »[1] .

لا جرم أن القارىء الكريم قد أدرك ما أردناه من هذين المثالين ، أردنا أن الكلمة الأعجمية تصبح بعد تعريبها بمنزلة الكلمات العربية .

وقد قال الجواليقي أن المعربات أعجمية باعتبار الأصل ، عربية باعتبار الحال . وتبعه على ذلك الإمام ابن الجوزي وغيره . وصرحوا بأن الكلمات الأعجمية التي وقعت للعرب فعربوها بألسنتهم ، وحولوها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظهم لتصبح عربية . فيجري عليها من الأحكام ما يجري على تلك ، فتتوارد عليها علامات الإعراب إلا في بعض الأصول ، وتعرف بأل وتضاف ويضاف إليها . وتثنى وتجمع ، وتذكر وتؤنث . وفوق ذلك كله تصرف أهل اللغة في الكلمة المعربة وإعمالهم مباضع الإشتقاق في بنيتها ، وهذا عندي أبين الأدلة على كون المعرب في اعتبارهم عربياً ، فقد قالوا في زنديق ، زندقة وتزندق ، واشتقّوا من فيلسوف فلسفة وتفلسف ، ومن مزركش زركش زركشة ، ومن طراز طرز ، تطريزاً وهو مطرز ومطرز . وقد اشترط علماء البلاغة في فصاحة المفرد خلوصه من : -

(١) تنافر الحروف ،

(٢) من الغرابة ،

(٣) من مخالفة القياس .

---

(١) الإشتقاق والتعريب عبد القادر بن مصطفى المغربي ، ص ٤٨ ، القاهرة : مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(٢) انظر : اللسان والانسان : د. حسن ظاظا.

وإن قيل أن لفظ « استبرق » (الوارد في القرآن) ليس بعربي ، وغير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة[1] فنقول لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة « استبرق » ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك . وبعد أن ذكر وجه كون الفصاحة تستدعي اختيار كلمة (استبرق) دون غيرها من الكلمات من حيث أن الفصاحة توجب ذكر ضرب من ضروب الحرير يكون الأثقل الأثخن قال : فأما أن يذكر ذلك الضرب من الحرير بلفظ واحد موضوع له صريح أو لا يذكر بمثل هذا ، ولا شك أن ذكره باللفظ الواحد الصريح أولا ، لأنه أوجز وأظهر في الافادة ، وذلك اللفظ الواحد هو (الاستبرق) . فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتي بلفظ آخر لم يمكن ، لأن ما يقوم مقامه لفظ واحد أو ألفاظ متعددة . ولا يجد العربي لفظاً واحداً يدل عليه لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ، ولم يكن لهم بها عهد ولا وضع في اللغة العربية للديباج الثخين اسم . وإنما عربوا ما سمعوا من العجم ، واستغنوا به عن الوضع ، لقلة وجوده عندهم ونزرة تلفظهم به ، واما أن يذكروه بلفظين فأكثر ، ويكون حينئذ قد أخل بالبلاغة لأن ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ ـ تطويل . فعلم بهذا أن لفظ « استبرق » يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه وأي فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله .

وقد مشى كبار البلغاء والكتاب على سنن القرآن الحكيم في استعمال الكلمات الأعجمية المعربة في كلامهم مع إمكان أن يجدوا أو يشتقوا لها مرادفاً في اللغة العربية . قال عدي بن زيد الشاعر الجاهلي :

أرقت لمكفهر بات فيه بوارق يعتلين رؤوس شيب
تظل المشرفية في ذراه ويجلو صفح (دخدار) قشيب

فدخدار كلمة معربة عن الفارسية وهي بمعنى ثوب مصون ، وأصلها (تخت دار) .

وتخت بالفارسية الوعاء تصان فيه الثياب وهو الذي يسمى في العربية صوان وصيان ، و« دار » أداة نسبة في الفارسية كهى في (دفتر دار) .

كأنه يقول ويرينا ذلك السحاب صفح ثوب مصون .

وقال امرؤ القيس : (ترائبها مصقولة كالسجنجل) والسجنجل المرآة وهي معربة .

---

(١) الاشتقاق والتعريب ص ٥٥ .

وقال البحتري :

والمنـــايـا مواثـل وأنـوشـر وان يزجى الصفوف تحت الدرفس

وقد استعمل ابن خلدون كلمة (برنامج) وغيرها من كلمات الأعاجم في مقدمته المشهورة . وبرنامج يقرب معناها من معنى فهرست ونموذج الفارسيتين .

ويقول الأستاذ المغربي : وهكذا نرى في الحديث وأقوال فصحاء العرب جاهلية وإسلاماً كلمات كثيرة تحسبها عربية ، وليس هي سوى أعجمية تسربت إلى ألسنة أهل اللغة بواسطة المعاملة والمخالطة كما يتسرب إلينا في هذا العصر الكثير من الكلمات الإفرنجية ، ثم تصقلها ألسنتنا وتألفها آذاننا وتشيع بيننا ، فلا نعود نتوقف في فهمها ، ومن الجمود والمكابرة أن نصادر تلك الكلمات ونحاربها بكل قوة لدينا مما لم يفعله أجدادنا الأولون ، بل كانوا يرحبون بأمثال تلك الكلمات الدخيلة في لغتهم ، كما يرحبون بالطوائف الداخلة في مِلَّتِهم[1] .

ونقول أنه لم يكن للعرب اهتمام بالتعريب في العصور الإسلامية الأولى ، وذلك لقلة الكلمات الأعجمية التي تدخل العربية ، ولأن اللغة العربية كانت ذات سلطان شامل وحكم نافذ في تلك الفترة ، فلم تكن ثمة حاجة إلى استعمال الكلمات الأعجمية في كلام العرب ولا في كتابات العرب إلى حد محدود ، إذ كانت لغة العرب كفيلة بسد حاجات العرب في مختلف مناحي حياتهم الثقافية والسياسية والأدبية والإجتماعية ، أما في عصرنا الحاضر نلحظ أن هناك تطوراً ملموساً في جميع مناحي حياتنا المختلفة سواء السياسية أو الثقافية أو الأدبية أو الإجتماعية أو التقنية لذلك نجد أنفسنا بحاجة إلى تعريب ألفاظ لاستعمالها في لغتنا وفي كتاباتنا ومصنفاتنا ولا سيّما في العلوم والفنون ، ولكن حسب الشروط التي ذكرتها من قبل .

وهذه بعض آراء العلماء المعاصرين في التعريب : ـ

١ ـ يحق لنا أن نعرب ألفاظاً من اللغات الأعجمية ولا يهمّنا أن نسمّيها معربة أو مولدة ، نفعل ذلك كما فعل أسلافنا لأننا عرب مثلهم ولأن اللغة ملك المتكلمين بها سواء أعاشوا في أول الدهر أو في آخره .

(١) الإشتقاق والتعريب ص ٥٩ .

٢ ـ يجب أن ندوّن معرباتنا في معاجمنا الحديثة ليفهم أولادنا معانيها ويضعوها مواضعها من الإستعمال .

٣ ـ نستعمل معرباتنا من دون نكير ، ولا نرى أنها تخل بفصاحة كلامنا ولا برونق ديباجته وجمال أسلوبه[١] .

ثم أن هؤلاء الفضلاء المعاصرين منهم المتطرف الذي يرى أن نعرب الألفاظ الأعجمية كيفما اتفق ثم نستعملها من دون قيد ولا شرط إلا ذوق الكاتب . ومنهم المعتدل الذي ينصح بأن لا ندوّن أو نستعمل كلمة أجنبية إلا عند الضرورة .

ويقول يعقوب صروف في المقتطف جـ ٤ مجلد ٦٤ في باب الأسئلة والأجوبة ، تحت عنوان المكروسكوب والمجهر ما يلي :

س : لماذا تستعملون كلمة (مكروسكوب) ولا تستعملون كلمة (مجهر) التي وضعت لهذه الآلة؟

ج : إننا نستعمل كلمة (ميكروسكوب) للسبب الذي لأجله استعمل فلكيو العرب كلمة (اسطرلاب) وكذلك فلاسفة العرب كلمة (ايساغوجي) واستعمل أطباء العرب كلمة (كيموس) ومئات من الكلمات الطبية اليونانية ، واستعمل نباتيو العرب مئات من أسماء النباتات اليونانية والفارسية ، وكان في إمكان هؤلاء كلهم ترجمة هذه الكلمات الأعجمية أو وضع كلمات عربية لها بالإشتقاق أو بالنحت ولكنهم اقتبسوها كما هي وحسنًا فعلوا تسهيلاً لنقل العلوم واشتراك العلماء ، وجاراهم الجوهري والفيروزبادي وابن سينا وغيرهم من جامعي متن اللغة ، ولم يروا معرَّة على العربية أن تدخلها كلمات أعجمية ، ولا نقول أنه يستحيل علينا أن نضع لبعض الكلمات العلمية ألفاظاً عربية أما بالنحت أو بالإشتقاق كما وضعت كلمة (ماهية) وكما وضعنا كلمة (غوّاصة) ولكننا لا نرى من الحكمة أن نحاول ذلك إذا سبقنا غيرنا إلى تعريب الكلمة الأعجمية أو إذا رأينا الكلمة الأعجمية سهلة اللفظ والإستعمال مثل كلمة (مكروب) أو إذا كان اللفظ العلمي دلالة معنوية اصطلح عليها علماء الفن ككل المصطلحات الكيماوية والجيولوجية والنباتية والجغرافية ، أو إذا كانت خاصة بأصحاب كأسماء الأدوية الجديدة وهي كثيرة تعد بالمئات كالكينا والانسولين والحامض الكربونيك واليود وما أشبه . والمتعصبون للقديم يتقوقعون واللغة تتّسع والعلم يتقدم . ولم تنهض العربية في عصر من

(١) الإشتقاق والتعريب ، ص ٨٤ .

عصورها كما نهضت الآن . كان المؤلف يطبع ألف نسخة من كتابه فيبيع مائة في عشر سنوات والبقية تأكلها الفيران ، والآن يطبع خمسة آلاف نسخة فتباع في سنة . وكانت الجريدة تفتخر إذا وجدت ألف مشترك وباعت مائة نسخة في اليوم . أما اليوم فلا يندر أن تبيع ثلاثين ألف نسخة كل يوم . وقصار البصر يبكون ويقولون ارتكبتم اللحن وأبدلتم حرفاً بحرف وأدخلتم كلمة أعجمية فأمتم اللغة ، ألا أنهم هم الموتى لأنهم لا يسيرون مع الأحياء .[1]

ومسرح ومرزح « أيهما أصلح لترجمة « تياترو » ؟

أجاب المقتطف (مجلد ٦٩ ص ٢٢٣) بقوله : لم نسمع كلمة (مسرح) إلا منذ عهد قريب فالكلمة (مرزح) فكنا نسمعها في صبانا ويعني بها مجتمع للغناء والرقص وعلى المجاز لاجتماع فيه الهزل أكثر من الجد . ثم شاعت كلمة (مسرح) ولعلها تحريف (مرزح) هذا وفي الإمكان أن نترجم (تياترو) بمشهد أو بملعب . وملعب ترجمة حرفية لكلمة Playhouse الانجليزية . وكلمة مشهد تدل على معنى (تياترون) اليونانية فإن معناها أشاهد . ولا ندري ما ضرَر كلمة (تياترو) أو (تياتر) فإن لها أسوة بكلمة (أستاذ) التي عمّت كل صاحب قلم . وكلمة (دكتور) وكلمة (وزير) ومئات من الكلمات التي دخلت العربية من عصر الجاهلية إلى الآن ، من المصرية واليونانية واللاتينية والعبرانية والسريانية والفارسية ، ومن لغات كل الأمم التي اتّصل بها متكلمو العربية حتى السنسكريت وما أحكم ما قاله (دريدن) الإنكليزي وهو : (إني أعامل الأحياء والأموات لإغناء لساننا) . ولقد اغتنى لسانه ولا يزال غنيّاً . فيضيف الإنكليز إلى لسانهم كل سنة نحو ثلاثة آلاف كلمة فصار عدد كلماته أكثر من (٤٠٠) ألف كلمة بعد أن كان منذ مائة سنة أقل من أربعين ألفاً . ونمو لغتنا باقتباس كلمات أجنبية أمر لا بد منه أردنا أم لم نرد . وقد نحاول نحن وغيرنا مع هذا النمو ، ولكنا قلما نفلح إلا إذا وجدنا مرادفاً لكل كلمة أجنبية واستعملنا المرادف قبل تلك الكلمة ولكنها إذا شاعت حتى يفهم كل أحد المراد بها فأقلام كل أدباء العصر تمحوها ولا تبطل استعمالها ، ولا نرى ما يوجب هذا الإبطال لأنها تصير حينئذ حقيقة بالبقاء مثل سائر كلمات اللغة . وإذا سهّلت ترجمتها بكلمة عربية بعد استعمالها كالبرق للتلغراف أو بكلمة قديمة التعريب كالبريد للبوسطة والفندق للأوتيل فلرجال الأدب الإستمساك بالكلمة الأولى إذا أرادوا ، ولكن لا يحق

---

(١) يعقوب صروف : المقتطف جـ ٤ مجلد ٦٤ .

لهم أن يحرموا الجمهور كلمة ألفوها ويرونها أقرب ما يكون للتعبير عمّا يريدون . ولا بد حينئذ من تنازع للبقاء وقلما يفوز الخاصة على العامة ، ومتى قضينا ما يفرض علينا من حفظ وجودنا بين الأمم لا يتعذر علينا الإهتمام بالنوافل .

وتقول ماري زيادة في مجلة « النهضة النسائية » ليس للغات حدود . لأن ما تترجم عنه عواطف الإنسان وخواطره لا يقف عند حد . ولا يمكن حبس أي لغة ضمن سياج وهمي من محتويات المعاجم ومفردات الثقات وتقارير المجامع العلمية . لأن ميول الفرد المتكلم المسوق إلى التعبير لا تأبه بالمعاجم . ولا تعني بآراء الثقات ولا تتكيّف بتقارير المجامع . وعبثاً تقام حول اللغة الحواجز والسدود لأن اللغة ككل كائن حي حساس ذات اتصال دائم بما يحاذيها ويطرأ عليها . فالمد والجزر فيها متعاقبان ، والنبذ والإكتساب على وفق حاجتها سنة جارية ، لا يجدي في تحويلها عربدة الساخطين ، وكما تتأثر أحوال الأمم باحتكاكها بالأمم الأخرى وتنفعل بمختلف الحوادث والوقائع فتأخذ وتعطى . وتقلد وتقلد ، وتقتبس وتقبس ، كذلك تتأثر اللغة بذلك الإحتكاك ، وتوجد فيها الوقائع والحوادث قومية كانت أم تاريخية أم غير ذلك تغيراً محتوماً حتى ليتسنى على وجه التقريب تتبع تاريخ القوم بمسايرة التغير البادي في لغتهم طوراً بعد طور .

فمن تتبع لغتنا فوجد فيها مثلاً ألفاظاً فارسية ثم يونانية ثم تركية ثم فرنسية حكم بأننا اتصلنا بهذه الأمم على التقريب[1] .

هذه بعض آراء المعاصرين وكما ذكرت آنفاً منهم المتطرف الذي يدعو لدخول الألفاظ الأجنبية دون قيد ولا شرط ومنهم المحافظ الذي يدعو لخضوع هذه الألفاظ للقواعد العربية وعند الضرورة والحاجة فقط .

وفي كتاب « نشوء اللغة العربية ونموّها واكتسابها » للأب انستاس ماري الكرملي يورد مقابلة بين الألفاظ الحية الخالدة والألفاظ البائدة يقول :

باذنجان : فارسية قديمة مقابلها في العربية : المفد ، الوغد ، الحدق[2]

---

(١) الإشتقاق والتعريب ص ١٣١ .

(٢) نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها ص ٩٠ ـ ٩٣ ، الأب انستاس ماري الكرملي ، المطبعة العصرية .

المسك : فارسية ـ مقابلها في العربية المشموم

النرجس: مقابلها في العربية القهة (راجع اللسان في قها والفهد والعبهر) .

وعلماء الكيمياء يعرفون (البلّور) وهي يونانية ولا يعرفون مقابلها في العربية (المها) وجمعه (المهوات) أو (المهيات) .

والفيل الهندية مقابلها الكلثوم .

ويورد أيضاً بعض الألفاظ الأعجمية المشهورة وما يقابلها في العربية منسية أو مجهولة .

أعجميات معروفة أو مشهورة	عربيات منسية أو مجهولة	أعجميات معروفة أو مشهورة	عربيات منسية أو مجهولة
فرند السيف	سفسقة السيف	البندق	الجلوز
الفرزدق	المشنق أو العجور	الهندباء (يونانية)	اللعاعة
الساقور أو الصاقور	المقراع	الفسطاط	الرواق
المنجنيق	الخطار	القرش أو الكوسج	اللخم
السوسن	الرفيف	الهيولى (يونانية)	المادة
الصندوق (يونانية)	الصوان	البيرق	العلم أو الراية
الاسفاناخ	الرحى	البسابرط	الجواز
الجؤذر	الفهد	البوسطه	البريد
الالماس	السامور	البيره	الجعة
البخشيش	الحلوان	اقليد (يونانية)	مفتاح
الاسطوانه	اللائطه أو السارية	سمسار	دلال
الشرطة (يونانية)	الزاعة والذبيون	شوربة	حساء
البرواز	الإطار	كشتبان	قمع
الفيل	كلثوم	كرّوسه	عجلة
الكرويا	النقده		

وبعد هذه المقابلة التي أوردها الأب انستاس الكـرملي يقول: إن في العربيـة ألفاظاً دخيلة قاومت العصور والبلاد والعباد وأهل العناد ، باقية على حالها مع ما هنـاك من المترادفات العربية التي كان يمكن أن تقوم مقامها ، لكن ذلك لم يقع لأن الأعجميات التي اندست في لغتنا كانـت شاكية السـلاح مقاومـة لأعدائهـا العـربيات بخفـة لفظهـا وأحرفها ، ورشاقة وزنها ولطافته ومضارعة مادتها للمادة العربية ، وكفاها ذلك لتقاوم ضرائرها وكل معاد لها[1] . ولهذا تخلد بهذه الأسلحة الفاتكة ما دام هنالك عربي ناطق بالضاد .

وأنا أختلف تمام الإختلاف مع الأب انستاس بالنسبة لهذا الرأي وخاصة أن هناك من نفس الألفاظ التي أوردها في المقابلة في العربية ما هو أخف للنطق وأسهل مما يقابلها في الأعجمي . فمثلاً مما أورده فإن كلمة « قمع » مستعملة وأسهـل من كلمـة كشتبـان في النطق ، وكذلك لفظة مفتاح مستعملة أكثر ولم أسمع من يقول (اقليد) . ولفظة البريد أيضاً شائعة ومستعملة أكثر من البوسطة . وبالله عليك هل لفظة الباسبرط أسهل النطق أم لفظة الجواز ، ومن منا يستعمل اليوم الهيولي بدلاً من لفظة المادة ، وأقول أن الكلمة أو اللفظة الأعجمية التي تصادف قبولاً من الناس فإنها تشيع ويكثر استعمالهـا . أمـا اللفظة التي تجابه بالنفور عنها فإنها لا محالة سوف تموت وتندثر وهذا في سائر لغات العالم وليست العربية فريدة في هذا ، حتى في نفس ألفاظ اللغة العربية هناك ألفاظ تقابل بالقبول من الأفراد فإنها تشيع وتدور على الألسنة وهناك من الألفاظ ما يلقى النفور والابتعاد فلهذا تموت وتندثر .

وبعد يخطر ببالنا هذا السؤال : هل يعطى المعرب حكم العربي ؟ جاء في المزهـر للسيوطي: سئل بعض العلماء عما عربته العرب من اللغات ، فارسي ورومي وحبشي وغيره وأدخلته في كلامها على ضربين[2] : -

احدهما : اسماء الأجناس ، كالفرند والابريسم ، واللجام ، والمهرق ، والرزدق[3] والآجر ، والفيروز ، والفسطاط ، والاستبرق .

والثاني : ما كان في تلك اللغات علماً فأجروه على علميته كما كان ، لكنهم غيروا

---

(١) نشوء اللغة العربية ونموّها واكتمالها ، ص ٩٣ .
(٢) المزهر جـ ١ ص ٢٨٦ .
(٣) الرزدق : الصف من الناس والسطر من النخل .

لفظه وقربوه من ألفاظهم ، وربما ألحقوه بأمثلتهم ، وربما لم يلحقوه ، ويشاركه الضرب الأول في هذا الحكم لا في العلمية ، إلا أن ينقل كما نقل العربي . وهذا الثاني هو المعتد بعجمته في منع الصرف . بخلاف الأول ، وذلك كابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب وجميع أسماء الأنبياء إلا ما استثنى منها من العربي ، كهود وصالح ومحمد عليهم الصلاة والسلام . وغير الأنبياء كرستم ، وهزارمرد ، وكأسماء البلدان التي هي غير عربية كاصطخر ، ومرو ، وبلخ وسمرقند ، وخراسان ، وكرمان وغير ذلك .

فما كان من الضرب الأول فأشرف أحواله أن يجري على حكم العربي فلا يتجاوز به حكمه .

فقول السائل (يشتق) جوابه المنع ، لأنه لا يخلو أن يشتق من لفظ عربي أو عجمي مثله ، ومحال أن يشتق العجمي من العربي ، أو العربي منه ، لأن اللغات لا تشتق الواحدة منها من الأخرى مواضعةً كانت في الأصل أو إلهاماً وإنما يشتق في اللغة الواحدة بعضها من بعض لأن الإشتقاق نتاج وتوليد . ومحال أن تنتج النوق إلا حوراناً وتلد المرأة إلا إنساناً.

وقد قال أبو بكر محمد بن السراج في رسالته في الإشتقاق ، وهي أصح ما وضع في هذا الفن من علوم اللسان : ومن اشتق الأعجمي المعرب من العربي كان كمن ادّعى أن الطير من الحوت .

وقول السائل : « ويشتق منه » فقد لعمري يجري على هذا الضرب مجرى العربي في كثير من الأحكام الجارية على العربي ، من تصرف فيه واشتقاق منه ألا تراهم قالوا في اللجام وهو معرب لغام، وليس تسميتهم لأصله الذي نقل عنه وعرب منه باشتقاق له ، لأن هذا التبين مغزى ، والإشتقاق مغزى آخر وكذا كل ما كان مثله ، قالوا في جمعه : لجم ، فهذا كقولك : كتاب وكتب . وقالوا لجيم في تصغيره كقولك كتيب ، ويصغرونه وخماً لجيماً فهذا على حرف زائدة . ومنه لجيم أبو عجل ، في أحد وجوهه ، ويشتق منه الفعل أمراً وغيره فنقول : الجمه وقد ألجمه ، ويؤتى بالفعل منه بمصدر ، وهو الإلجام والفرس ملجم والرجل ملجم ، قال زهير : -

(وملجمنا ما أن ينال قذاله)[1]

(١) المزهر ص ٢٨٨ - ٢٨٩ جـ ١

ويستعمل الفعل منه على صيغة أخرى ، ومنه ما جاء في الحديث من قوله للمرأة : « استثفرى وتلجمي »[1] فهذا تفعل من اللجام ، وينصرف منه أيضاً بالإستعارة ومنه الحديث « التقى ملجم » . فهذا من إلجام الفرس ، شبه التقى به لتقييد لسانه وكفّه . وتكاد هذه الكلمة أعنى لجاماً ، لتمكنها في الإستعمال وتصرفها فيه تقضي بأنها موضوعة عربية لا معربة ولا منقولة لولا ما قضوا به من أنها معربة من لغام . ولا شبهة في أن ديواناً معرب ، وقد جمعوه على دواوين .

وأهدي إلى علي رضي الله عنه في النوروز الخبيص فقال : نورزوا لنا كل يوم وقال الأعشى : حتى مات وهو محرزق[2] وهو معرب هرزوقاً أي مخنوق وأصله نبطي .

وأما الضرب الآخر وهي الإعلام فبعيدة من هذا كل البعد بل لها أحكام تختص بها من جمع وتصغير وغير ذلك .

قال :[3] وجملة الجواب أن الأعجمية لا تشتق ، أي لا يحكم عليها بأنها مشتقة وإن اشتق من بعضها فكما رأينا مما جاء من ذلك ، فإذا وافق لفظ أعجمي لفظاً عربياً في حروفه فلا ترين أحدهما مأخوذاً من الآخر ، فاسحق اسم النبي ليس من لفظ أسحقه الله إسحاقاً أي أبعده في شيء . ولا من باقي متصرفات هذه على الكلمة ، كالسحق ، وثوب سحق ، ونخلة سحوق[4] ، وساحوق اسم موضع ، ومكان سحيق ، وكذا يعقوب اسم النبي ليس من اليعقوب[5] اسم الطائر في شيء ، وكذا سائر ما وقع من الأعجمي موافقاً لفظه العربي .

قال المرزوقي في شرح الفصيح[6] : المعربات ما كان منها بناؤه موافقاً لأبنية كلام العرب يحمل عليها ، وما خالف أبنيتهم منها يراعى ما كان الفهم له أكثر فيختار وربما اتفق في الاسم الواحد عدة لغات كما روي في جبريل ونحوه وطريق الإختيار في مثله كما ذكرت .

---

(١) تلجمي : اجعلي موضع خروج الدم عصابة تمنع خروج الدم ، تشبهاً بوضع اللجام في فم الدابة .

(٢) تمام البيت :

فذاك وما انجى من الموت ربه ... سباط حتى مات وهو محرزق

ويروى محزرق بتقديم الزاي على الراء .

(٣) المزهر ص ٢٩٢

(٤) ثوب سحق : خلق ، نخلة سحوق ، طويلة بعد ثمرها على المجتنى .

(٥) ذكر الحجل أو العقاب

(٦) المزهر ص ٢٩٢

وقال سلافة الأنباري في شرح المقامات : كثيراً ما تغيّر العرب الأسماء الأعجمية إذا استعملتها كقول الأعشى :

« وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه »[1]

الأصل شاهان شاه . فحذفوا منه الألف في كلامهم وأشعارهم ، وقال ثعلب في أماليه : الأسماء الأعجمية كابراهيم لا تعرف العرب لها تثنية ولا جمعاً فأما التثنية فتجيء على القياس مثل « ابراهيمان » ، و« اسماعيلان » فإذا جمعوا حذفوا فردّوها إلى أصل كلامهم .

ومن هذا نستطيع أن نقول أن المعرب إذا كان على أوزان العربية فإنه يعامل معاملة العربية من حيث الإشتقاق والتثنية والجمع والتصغير وغيره ، وأما الأسماء فكما رأينا أن العرب لا تعرف لها تثنية ولا جمعاً ولا تصغيراً إلا ما جاء قياساً .

وبعد فإن هناك جدولاً في نهاية البحث يمثل عدداً كبيراً من الألفاظ المعربة والدخيلة التي استطعت جمعها من خلال حياة اللغة العربية في عصورها المختلفة موضحاً اللغة الأصلية التي تسربت منها إلى اللغة العربية .

(١) بقية البيت : له ما اشتهى راح عتيق وزنبق

شـــروط التعـــريب

ما هـــو التعـــريب :

التعريب في الأسماء الأعجمية هو أن تتفوه به العرب على منهاجها نقول عربته العرب وأعربته أيضاً ، وهذا ما يشير إليه الأب هنري فليش في كتابه العربية الفصحى تعريب وتحقيق د. عبد الصبور شاهين : « هناك كلمات أعجمية مفترضة تم تعديلها على الصيغ المختلفة ولقد كان من الممكن أن يجري تعريبها إلى الحد الذي يتلاشى معه أصلها» الخ[1].

إذن التعريب أو المعرب هو ما تكلم به العرب من الألفاظ الأعجمية وكما ذكرنا أن العامل الأساسي في دخول المفردات الأجنبية إلى العربية يرجع إلى الإحتكاك بين العرب والشعوب الأخرى وما نتج عن هذا الإحتكاك من ظهور ألفاظ لم يكن للعرب عهد بها من قبل في ميادين الإقتصاد والصناعة والزراعة والتجارة والعلوم والفلسفة ومختلف مناحي الحياة . فلا بد إذن من دخول مفردات أجنبية إلى لغتنا العربية نتيجة هذا الإحتكاك . ولكن هناك سؤال نطرحه على أنفسنا هل نترك الباب مفتوحاً أمام اللغات الأجنبية لتدخل لغتنا وتستقر أم أن هناك شروطاً لا بد من توافرها والعمل بها حتى نحفظ لغتنا من سيطرة الدخيل عليها . وفي الوقت نفسه أن لا تقف لغتنا جامدة أمام التطور في هذا العالم وأن تساير ركب الحضارة والتطور وأن تعبر عن حاجات الإنسان في هذا العصر .

نعم لا بد وأن تساير لغتنا ركب الحضارة والتطور وأن تسد حاجة المتلاغين بها بتعريب الألفاظ الضرورية وخاصة المسميات الجديدة في الصناعات الحديثة والتي لا نجد لها مرادفاً في لغتنا العربية ، وأن لا نقف مكتوفي الأيدي أمام ما قاله القدماء من أن اللفظة

(١) انظر العربية الفصحى ، الأب هنري فليش اليسوعي ص ٧٨ .

الأعجمية إذا جاءت على أوزان وصيغ العربية عربتها . وكان هذا شرطاً للتعريب ، أقول لا بد من مسايرة الحضارة ولكن ليس على حساب اللغة . فهناك كلمات كثيرة عربناها ونطقنا بها دون أن يكون لها أوزان وصيغ في العربية تلفون ، أوتوموبيل ، تياترو ، تلغراف . . الخ من مئات الكلمات . فالإستعمال اذن يمكن أن يكون شرطاً من شروط التعريب وخاصة ما تقرّه المجامع اللغوية .

ويقول أستاذنا الدكتور حسن ظاظا في كتاب : « كلام العرب » : « وأسلافنا العرب منذ الجاهلية استعملوا كثيراً من الألفاظ الأجنبية في لغتهم واستعملوا السجنجل (المرآة) ، والقنطرة ، والناموس (القاعدة والقانون) وعقر الدار ، والبلغم والتبر ، والبستان ، والدفتر ، والاسقف ، والأبريز ، والأسفنط (من أنواع الشراب) والأزميل ، والبلور ، هذا فضلاً عن ألفاظ كثيرة جاءت بعد ذلك من حضارات متباينة اتّصل بها العرب بعد الإسلام ، فعرفنا كلمات مثل : الجهبذ ، الجوسق ، السنجات ، الاسطرلاب ، الكهرباء ، الهندام »[1] .

وعلى ذلك فإن إدخال الألفاظ الأجنبية ليس بدعاً ولا خطراً يخشى منه إذا تناوله الكتاب والعلماء والمستعملون للغة بما ينبغي من الوعي والإحتياط . إذن شرط استعمال الألفاظ الأجنبية عند أستاذنا الدكتور حسن ظاظا هو أن يكون المستعملون للغة على قدر كبير من الوعي والإحتياط وهذا يؤيد ما قلناه من أن الإستعمال وما تقوم به المجامع اللغوية من تعريب هو طريق سليم لاستعمال الألفاظ الدخيلة والمعربة دون أن يكون ذلك على حساب لغتنا العربية .

وجاء في الإشتقاق والتعريب (عبد القادر المغربي) قوله : « أما سيبويه وجمهور أهل اللغة ، فقد ذهبوا إلى أن التعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية مطلقاً فهم تارة يلحقونها بأبنية كلامهم كدرهم وزبرج ، وطوراً لا يلحقونها كابراهيم ، وآجر[2] . فرتب الكلم عند سيبويه ثنتان : عربية ومعربة ، ومدار التعريب عنده على الإستعمال وحده . وقد ذهب مذهبه عامة أهل اللغة فصرحوا بأنه لا يلزم في المعربات أن تجري على أمثلة الأوزان العربية ، بل إن جاءت فحسن لتكون مع إقحامها على العربية شبيهة بأوزانها .

(١) كلام العرب د. حسن ظاظا ص ٨٥ .
(٢) الإشتقاق والتعريب د. عبد القادر المغربي ص ٤٢ وما بعدها .

وقد يتفق أن تغير العرب الأسماء الأعجمية التي تعربها تغيراً لا يكون معه إلحاق بأوزانها ومناهج كلامها ، كقول الأعشى (وكسرى شهنشاه) أصل الكلمة (شاهان شاه) أي ملك الملوك[1] . فقد حذف منها الألفين الأولين حتى صارت (شهنشاه) وبقيت بعد هذا التغيير غير منطبقة على وزن من أوزان العرب ، قد يقال أن مذهب سيبويه هذا أرفق باللغة والمتكلمين بها، وأعون على حياتها واتساع إثرائها لا سيما في زمننا هذا الذي انتشرت فيه اللغات الأعجمية بيننا .

وأمرنا في التعريب على العكس من أمر العرب هم كانوا قلما يبقون الكلمة الأعجمية على هيئتها الأصلية ، ونحن قلما نحولها على أوزان لغتنا .

فتلغراف وتلفون وفوتوغراف وأوتوموبيل وتياترو وستاموغراف وبروجرام في كثير من نظائرها نكاد ننطق بها كما وردت على لسان أهلها وتسمى معربة ويسمى استعمالنا لها ، وإن لم نغيرها أو نلحقها، تعريباً على ما ذهب إليه سيبويه، وكأن سيبويه وأشياعه نظروا الينا وإلى ما يطرأ على لغتنا بعين الغيب ، فلم يشترطوا في التعريب سوى الإستعمال . ولو اشترطوا فيه تغيير الكلمة وإلحاقها بأوزاننا لضقنا ذرعاً بتلك الكلمات الأعجمية الكثيرة التي تنهال على لغتنا أيما انهيال ، وليس لنا من العناية وإنشاء المجامع ما يقوم بهذا الشرط ويفيه حقه ، على أننا مهما استحسنّا رأي سيبويه في عدم اشتراطه رد الكلمة المعربة إلى مناهج اللغة ، وأوزانها ، ينبغي أن نقف من تسامحه عند حدّ محدود ، وإلا تكاثرت الكلمات الأعجمية ذات الأوزان المختلفة والصيغ المتباينة في لغتنا الفصحى وخرجت على مر الأيام بذلك عن صورتها وشكلها ، وعادت كسائر اللغات العربية العامية في مختلف الأقطار الإسلامية فكم نحن إذن في حاجة إلى التدقيق في الكلمات المعربة وعدم فتح الباب على مصراعيه لكي يدخل إلى لغتنا كل ما نطق به الأعاجم بل علينا أن نختار ما نحتاجه من الكلمات وخاصة في العلوم والفنون وأسماء الآلات والأدوية ـ وما يناسب أوزان لغتنا وما يناسب تقدم الحضارة في العالم .

وبعد فمن هذا كله يتّضح لنا أن دخول الألفاظ الأجنبية إلى العربية ، وبمعنى آخر أن استعارة أو اقتراض ألفاظ من لغة إلى أخرى أمر طبيعي ولا خطر منه وإنما هي وسيلة من وسائل النمو اللغوي. وفي هذا يقول أستاذنا الدكتور حسن ظاظا أن الدخيل ليس هو الخطر المحدق باللغة ، وإنما يكمن الخطر في زعزعة النظام النحوي والصرفي وتشويهه ،

(١) المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٢٩٢ .

وإحلال غيره محله لأن النظام النحوي مرتبط بالفكر والذوق ارتباطاً مباشراً وهو يكون كالسمط الذي تنتظم فيه مراحل تاريخ الأدب والحضارة للأمة أما الألفاظ فإن دورها في حياة اللغة أقل أهمية من النحو والصرف[1] .

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن العرب القدماء أبدوا ذكاء وغيرة على لسانهم إذ أغنوه بآلاف الألفاظ الأعجمية التي لم تكن فيه غير أنهم جعلوها على صيغ عربية أو شبيهة بالعربية ولهم من المهارة في ذلك التحويل ما لا ينقضي منه العجب . ثم يقول : فهل خطر ببال غير الخبراء أن كلمة ترعة من الآرامية وبستان من الفارسية وبرج من اليونانية وفصح من العبرية وقنبلة من التركية ودينار من اللاتينية[2] .

وليس معنى هذا كما قلت إطلاق القول بالإستعارة من اللغات الأخرى وفتح الباب على مصراعيه لتدخل الألفاظ الأجنبية كيف شاءت ومتى شاءت ، ولكن لا بد أن يراعى في ذلك شروط الحاجة الماسة بالإضافة إلى وضع هذه الألفاظ بقدر الإمكان في قوالب عربية وأن يكون ذلك عند الضرورة الماسة والملحة .

فالحاجة إذن هي الشرط الأساسي للإستعارة والإقتراض من اللغات الأخرى أما إدخال ألفاظ أجنبية للإستعراض والتشدق بمعرفة لغة أجنبية فهذا أمر لا شك أنه يضعف اللغة ويؤدي إلى ظاهرة مرضية مما يؤدي بالتالي إلى سيطرة الألفاظ الأجنبية على اللغة الأصلية وقد يودي بها .

وبعد أن عرضنا في هذا الباب للإشتقاق والمجاز باعتبارهما عاملين من عوامل التوسّع اللغوي وأوضحت أثر ذلك في اللغة وكيف أن الإشتقاق والمجاز يستجيبان لضرورة الحياة فيجد فيهما المتحدث باللغة ما يريد من الألفاظ للتعبير عما يدور بخلده .

وعرضت كذلك لظاهرة الترادف والمشترك اللفظي والأضداد في اللغة باعتبار هذه الظاهرة عاملاً من عوامل التوسّع اللغوي وأوضحت أثر هذه الظاهرة في اللغة وتطورها ، وجاء في نهاية هذا الباب المستعار من اللغات الأخرى وأثر اللغات الأجنبية على اللغة العربية وموقف العربية من المفردات الدخيلة ، الذي أفردت له جدولاً في نهاية البحث .

---

(١) كلام العرب د. حسن ظاظا ص ٨٩ .

(٢) غرائب اللغة العربية : الأب رفائيل نخله اليسوعي ص ٨٦ .

وسيكون حديثنا في الباب الثاني عن العوامل المؤثرة في تغيير المعنى وقوانين التغير الدلالي وأثر الحضارة والبيئة في تغير المعنى وتطوّر الألفاظ ودلالتها ، وسنقف قليلاً عند علم الدلالة ونشأته لما لهذا من ارتباط بموضوع البحث .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البَابُ الثَانِي

أثر العوامل الخارجية في تحديد الدلالة اللغوية :

١ ـ علم الدلالة ونشأته .

٢ ـ العوامل المؤثرة في تغير المعنى .

٣ ـ قوانين التغيرّ الدلالي .

٤ ـ أثر الحضارة والبيئة في تغير المعنى .

٥ ـ أهمية البحث في الدلالة ودلالة اللفظ في المعجم .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

(١) « علم الدلالة ونشأته »

إن الحديث عن العوامل المؤثرة في تطوّر الدلالة من مناحيها المختلفة كالتطور مع العصر أو أثر الحضارة والبيئة على تطور المعنى لا بد وأن يسبقه تمهيد موجز عن علم الدلالة ونشأته والدراسات المختلفة التي تناولته والمحاولات الأولى التي درست هذا العلم الحديث ، إن علم الدلالة هو قمة الدراسات اللغوية ولكنه مع ذلك أحدثها ظهوراً وذلك يرجع إلى قلة اهتمام اللغويين المحدثين بمشكلة المعنى اهتماماً علمياً . ففي كتاب علم اللغة للدكتور السعران ، يقول : إن أول دراسة علمية حديثة خاصة بالمعنى هي تلك التي قام بها ميشل بريل في كتابه : «Essai de Semantique»

هذا المصطلح الذي أطلقه بريل على دراسته هذه هو كلمة « Semantique »من وضع بريل نفسه فقد كان على بريل أن يسمي هذه الدراسة باسم يميّزها عن سائر الدراسات اللغوية ولكن معنى Semantique عند بريل غير معناها الذي تعرف به الآن عادة ولو أن اللغويين الآن يعرفون هذا المصطلح تعريفات مختلفة .

لقد كانت الدراسة الدلالية عند بريل ومن جاء بعده بفترة غير قصيرة مقصورة على (الإشتقاق التاريخي) وأن بريل كان يرى في الأصول التي تحكم تغير المعنى خصائص عقلية مجردة وذلك مثل (الحاجة إلى الوضوح) ولكن بريل ومن خلفه كانوا لا يعطون الجوانب الإجتماعية وغير الإجتماعية للظروف الإنسانية التي يحدث فيها التغير أي اهتمام .

لقد كان لدراسة بريل في علم الدلالة أثرها في لفت أنظار اللغويين إلى مشكلة المعنى أو إلى تغير المعنى بوجه خاص فازدادت رغبة اللغويين في معرفة الأسباب التي

(١) علم اللغة : مقدمة للقارىء العربي ص ٣١٧ وما بعدها د. السعران.

تؤدي إلى تغيّر في المعنى فأخذوا يبحثون في تاريخ الحياة الثقافية للشعوب بحثاً عن الأسباب التي تؤدي إلى تغير في معنى الكلمة ، لقد وجد الباحثون أن ما تتعلق به الجماعات وما يكون لديها من مثل أعلى ، وجدوا هذا كله يختلف باختلاف العصور .

ومن السهل أن نتتبع هذه الإختلافات على مر العصور ، فمثلاً نجد أن متعلقات النبل والفروسية في العصور الوسطى كانت تتجمع في صورة رجل راكباً جواداً هو (الفارس) .

فكان لهذه الكلمة أن أصبحت أصلاً لكلمات كثيرة هي النبل والشهامة والفروسية والشجاعة والقوة .

من هنا نرى أن إدراك اللغويين لضرورة تضمين ما يرتبط بالكلمات من معنى وما تستدعيه الكلمات عند دراسة تاريخها وتغير معانيها أخذ يزداد ويزداد .

ولو استعرضنا معاً كلمة (الفارس) في عصرنا الحاضر لوجدناها تحمل معاني الشرف والنبل والشهامة والرجولة والشجاعة والقوة والبطولة الخ من المعاني النبيلة التي ترد على الخاطر عند ذكر كلمة فارس .

وإذا انتقلنا إلى كتابات غير اللغويين في البحث عن دلالة المعنى نجد أن (أوجدن وريتشاردز) قد كتبا كتاباً بعنوان « معنى المعنى »[1] ولقد ظهر هذا الكتاب بعد كتاب برييل بحوالي ست وعشرين سنة وأحدث أضعاف ما أحدثه كتاب برييل من تأثير لا سيما في الدارسين للمسائل اللغوية ، ومن اللغويين من يرى أن معنى المعنى ليس كما يوحي اسمه دراسة خالصة للمعنى من الناحية اللغوية ، بل **أنه يقدم نظرية في المعرفة** « (**الابستمولوجيا**) Epistemology» وأياً كان الأمر فإن مؤرخي الدراسات اللغوية يقرّرون أن هذا الإهتمام السائد بدراسة الدلالة منذ سنوات ، لا سيّما في الولايات المتّحدة الأمريكية ، قد أثاره بوجه خاص كتاب (معنى المعنى) .

والفائدة الكبرى التي أدّاها هذا الكتاب أن وضح ما تتصف به مشكلة طبيعة المعنى من تعقيد . وقد ألزم هذا الكتاب مؤلفين آخرين أن يدرسوا مشكلة المعنى من وجهات نظر مخالفة كما وضع الأستاذ (بردجمان) مثلاً ، وتفسير أوجدن وريشاردز للمعنى

---

(١) انظر: س اولمان : دور الكلمة في اللغة ترجمة د. كمال بشر ص ٥٧ وما بعدها.
انظر: علم اللغة: مقدمة للقارىء العربي ص ٣١٥ وما بعدها د. السعران.

يقوم على أساس (رياضي) (آلي) ، المعنى عندهما يرتد إلى أربعة عناصر هي : -

القصد ، والقيمة ، والمدلول عليه ، والإنفعال العاطفي .

ومن المحاولات التي ظهرت في دراسة الدلالة تلك التي قام بها الأستاذ (ب، د . ، بردجمان) وسمّاها (منطق الفيزياء الحديثة[1]) . أو إخضاع الألفاظ للتجربة بينّ الأستاذ بردجمان للقارىء المبتدىء تلك التغيرات الدلالية التي تطرأ على بعض الكلمات عندما يستعملها العالم المتخصص في موضوع تخصّصه . فكلمتان مثل « الزمان » و« المكان » من الكلمات اليومية المألوفة ولكن لكل من هذين المصطلحين عند الفيلسوف أو عالم الفيزياء مثلاً دلالة تختلف عن دلالته المألوفة في الأحاديث اليومية .

إن مشكلة المعنى دفعت الأستاذ بردجمان إلى أن يقترح وسيلة جديدة في « التعريفات » سمّاها (طريقة العمليات أو الإجراءات) وهذه الطريقة طبقها على أمثلة كثيرة في كتاب آخر له هو « الفرد الذكي والمجتمع » . «The intelligent individual» مستخرجاً بها بعض المفهومات الإجتماعية ، وقضية الأستاذ بردجمان هي : « أن التصور مرادف للعمليات (= للاجراءات) التي تختبره بها » وذلك كما تختبر الوزن في المعمل .

وعندما طبق بردجمان هذه الطريقة على التصوّرات الإجتماعية اتّضح أن نتائجه كانت مثبطة ، فهو يقول لنا ، إذا لم تستطع أن تختبر تصورات مثل (الديمقراطية) و(الواجب) و(الأخلاق) بواسطة (عمليات) فهي إذن تصورات لا معنى لها ويجب طرحها . وهكذا لا يتبقى آخر الأمر إلا الدوافع المركزة حول (الأنا) دوافع الأفراد الذين يكونون المجتمع .

ان بردجمان عندما يتكلم عن علم الدلالة يبالغ في إظهار أهمية (الأنا) ويهون من شأن تعاونه مع الآخرين .

وأنقد هنا نظرية بردجمان هذه لأنه اعتمد فيها أولاً على إخضاع الألفاظ للإختبارات أو العمليات كما سمّاها وبذلك يرفض كل الألفاظ المعنوية تقريباً لأنها حسب رأيه لا تخضع للتجربة .

وأقول أن الإنسان كائن حي يتفاعل ويتعامل مع الآخرين وأن الفرد يعيش في

(١) علم اللغة مقدمة للقارىء العربي د. السعران ص ٣٢١ .

مجتمع ولا بد أن يأخذ ويعطي هذا المجتمع ، لأن هذه هي سنة الحياة فلا بد من أن يتعاون السامع والمتكلم في فهم بعضهم الآخر ولا بد أن يخدم كلاً منهما الآخر عن طريق التعامل والتعاون ولا بد إذن أن يكون هناك معانٍ جديدة قد ظهرت عن طريق هذا التعاون وليس من الضروري أن تخضع هذه المعاني للإجراءات أو العمليات كما سمّاها بردجمان[1] .

إن الدلالة ومعنى الدلالة وتطور الدلالة خاضعة للمجتمع للفرد للإنسان هذا الإنسان هو الذي يعطيها دلالة جديدة وهو الذي يطوّرها وهو الذي يستعملها لذلك فإننا ننقد نظرية بردجمان هذه خاصة أنها تخضع الألفاظ للإختبار أو للإجراءات كما يحلو له أن يسمّيها وخاصة من حيث التطور الدلالي ، وإن كنت أؤيد إلى حد ما رأي ريتشاردز وإجدان في كتابهما (معنى المعنى) خاصة وأنهما أرجعا تفسير المعنى إلى العناصر الأربعة السالفة الذكر فإنني أجد فيها نوعاً من إشراك الإنسان ومن أثر المجتمع في تطور الدلالة وفي معرفة المعنى .

وبعد أن استعرضنا نظرية برييل واجدن وبردجمان في تطوّر المعنى ودلالته نرى أنه لا بد من مناقشة نظرية (دي سوسير) وخاصة أن كثيرين قد تأثّروا بنظريته .

يبني دي سوسير نظريته الإجتماعية في اللغة على أساس نظرية دوركايم الإجتماعية ، ودوركايم يعتبر ما يسمّيه (نشاط الجماعة) أو (النشاط الجماعي) مستقلاً عن أي فرد من الأفراد الذين ينتمون إلى المجتمع[2] .

إن للفرد عند دوركايم وجوداً خاصاً به ، ودوركايم يقرر أن الظواهر الإجتماعية ذات وجود خاص بها ، واللغة ظاهرة من جملة هذه الظواهر الإجتماعية ، ويرى دوركايم أن لخصائص السلوك أو (سماته) وجوداً مستقلاً ، وأن الأنواع العامة للسلوك الإجتماعي لا تعدو أن تكون تعميمات وأن ما قرّره « دوركايم » عن الظاهرة الإجتماعية يصدق على اللغة في نظرية دي سوسير اللغوية . ويصطنع دي سوسير (ثالوثاً) خاصاً به يتضمن تصوّرات ثلاث متكاملة .

١ ـ إن ما يسمّيه دي سوسير La Langage « اللغة » هو اللغة في أوسع معانيها أي اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة .

(١) علم اللغة : مقدمة للقارىء العربي د. السعران ص ٣٢٧ .
(١) نفسه ص ٣٢٨ .

٢ ـ أما ما يدعوه La Langue (اللغة المعينة : أي العربية أو الإنجليزية . . الـخ) فهـو يضمّ على وجه الخصوص نظام المفردات والنحو في أي عصر من عصور تاريخ لغة معيّنة ، وLangue أي هذه اللغة أو تلك عند دي سوسير « جماعية » أو « اجتماعية » .

٣ ـ أما التصور الثالث الذي يعبّر عنه «دي سوسير» بكلمة La Parole = (الكلام) فيعني به إظهار الفرد «للغة» La Langue وتحقيقه إياها عن طريق الأصوات الملفوظة أو عن طريق العلامات المكتوبة وما يدعوه دي سوسير La parole (الكلام) فردي وهـو واقع تحت سيطرة الفرد .

٤ ـ يفرق دي سوسير بين ما يسمّيه « القيمة اللغوية للكلمة وبين ما يسمّيه (المقصود) من الكلمة ويكفي لدراسة القيمة اللغـوية في رأيه أن ندرس عنصرين هما (الفـكرة) التي تدعو إلى « صورة سمعية » أو أصواتاً معينة . « والصورة السمعية التي تدعو » الفكرة[١] .

وإن معنى كلمة من الكلمات عند دي سوسير هو ارتباط متبادل أو علاقة متبادلة بين الكلمة (أو الاسم) وهي « الصورة السمعية » وبين « الفكرة » .

إن الكلمة « علاقة لغوية » ونحن عندما نفرق تفريقاً أساسياً بين فكرتين فنحـن نستعمل لذلك « علامتين لغويتين » مختلفتين ، فالتفكير دون كلمات (عائم) ويرى دي سوسير أن العلاقة اللغوية لا تخلق وحدة بين اسم ومسمى ، ولكن بـين فكرة وصـورة سمعية . والمقصود يقابل الرمز أو « العلامة » والعلامـة من ناحية أخـرى تقابـل سائر العلامات الموجودة في اللغة موضوع الدرس . وقيمة كل رمز أو علامته تتوقف على وجود سائر الرموز .

وضرب دي سوسير لذلك مثلاً بقطعة من ذات الخمسة فرنكات : هذه القطعة يتأتى استبدالها بكلمة معيّنة من شيء مختلف كالخبز مثلاً ، ونستطيع كذلك أن نقارنها بقيمـة مماثلة من نفس نظام العملة ، كقطعة ذات فرنك واحد مثلاً أو قطعة من عملة أخـرى كالدولار[٢] .

وأن دي سوسير كان صاحب فكرة تمييز الدراسة الوصفية للغة من الدراسة التاريخية

(١) علم اللغة : مقدمة للقارىء العربي ص ٣٣٠
(٢) المرجع السابق ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ .

لها . وقد طبق هذا التمييز عند نظره في المعنى حرص على وجوب التفريق بين دراسة المعنى دراسة (وصفية) أي في مرحلة معينة ، أو حالة معينة تجرد من تاريخ لغة من اللغات وتدرس بغض النظر عماّ قبلها وعماّ بعدها من مراحل أو حالات وبين دراسة المعنى دراسة تطورية .

نرى هنا أن دي سوسير يريد أن يقطع الصلة المتصلة بين الألفاظ والتي تستمر دون انقطاع بين الألفاظ على مر العصور فلو سلّمنا معه جدلاً ودرسنا الألفاظ في مرحلة معينة وبغض النظر عماّ قبلها وعما بعدها فإننا لا نستطيع أن نعرف تطور هذه اللفظة وكذلك تطوّر دلالتها إلا إذا رجعنا إلى العصر السابق الذي كانت مستعملة فيه وكذلك إلى العصر الذي تعيش فيه والعصر اللاحق الذي انتقلت إليه .

نقول أن دراسة دلالة الألفاظ دراسة متصلة وحلقة واسعة تنتقل فيها الألفاظ من عصر إلى عصر ومن حضارة إلى حضارة وهي في كل مرحلة تكتسب دلالة جديدة ومعنى جديداً ومعنى هذا ليس انقطاع الألفاظ أو انفصالها في عصر عن آخر وإنما الدلالات الجديدة التي اكتسبتها هذه الألفاظ هي فقط التي نستعملها ونتعامل بها ولذلك يخيل إلينا أنها بعيدة أو منفصلة عن العصور السابقة أو عن تاريخها اللغوي السابق .

وبعد ، فإن تغير المعنى كثيراً ما يلجأ إليه الانسان في حالة الضرورة ليسدّ النقص في ثروته اللغوية ، وليساير التطوّر الحضاري الذي يسير بسرعة دون أن ينظر إلى ما حوله .

٢ ـ « العوامل المؤثرة في تغير المعنى »

بعد أن تعرضت لدراسة نشأة علم الدلالة وناقشت بإيجاز المدارس المختلفة التي درست هذا العلم الحديث لما لهذا العلم من أهمية في حياة الإنسان ، أعود لدراسة المؤثرات الخارجية التي تؤثر على المعنى والتي تؤدي إلى تغيّر في المعنى الدلالي للألفاظ حيث أن الألفاظ متطوّرة متغيرة فلا بد أن يكون هناك عوامل مباشرة تؤثر مباشرة بهذه الألفاظ مما يؤدي بالتالي إلى تغير في هذه الدلالة فتؤدي معنى جديداً وتدل دلالة جديدة على معنى قديم أو كلمة جديدة إلى مدلول قديم .

ومن هذه الأسباب أو العوامل ما هو معروف لنا من قبل وهو : الحاجة إلى كلمة جديدة ، أو كلمة أقدر من غيرها على التعبير عن المقصود .

فإذا احتجنا مثلاً إلى كلمة مناسبة لإطلاقها على « الاسطوانة » المعروفة في عالم الغناء والموسيقى ، فأقرب طريق إلى ذلك هو أن نوسّع في معنى كلمة (تسجيل) بحيث تشمل « الأسطوانة » بالإضافة إلى عملية التسجيل نفسها[1] .

على أن هناك حالات أخرى لا حصر لها يكون تغيير المعنى فيها غير مرتبط بأية حاجة عملية ، حيث لا يعمل هذا التغيير على سدّ النقص الموجود في الثروة اللفظية ، وإنما يضيف أمثلة جديدة إلى المترادفات الموجودة بالفعل .

فالفعل (يموت) وما يشتق منه يصبح جائز الإستعمال في الكلام الدارج نحو (يموت فيه) (ويحبهاموت) . فاللغة لديها ثروة غنيّة من الكلمات التي نستطيع أن نختار منها ما نشاء .

إن تغير المعنى ليس إلا جانباً من جوانب التطور اللغوي ، ولا يمكن فهمه فهماً تاماً

(١) اولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د. كمال بشر ، ص ١٥٥ .

إلا إذا نظرنا إليه من هذه الزاوية .

كما نعلم أن اللغة ليست ساكنة بحال من الأحوال ، بالرغم من أن تقدمها يبدو بطيئاً في بعض الأحايين ، فالأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغير والتطور.

ولكن سرعة الحركة والتغير فقطهي التي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة .

فلو قمنا بمقارنة كاملة بين فترتين لغويتين متباعدتين لتكشف لنا الأمر عن اختلافات عميقة كثيرة ، من شأنها أن تعوق فهم المرحلة السابقة وإدراكها إدراكاً تاماً . فمما لا شك فيه أننا في حاجة إلى استعداد لغوي خاص كي نتمكن من فهم الملحمة الإنجليزية القديمة «Boewulf» مثلاً أو أن نتذوق أساليب النثر في عهد « الملك الفريد » بالرغم من أنه لم يكن هناك انفصال حقيقي بين الفترات التاريخية للغة الانجليزية[1] .

إن كل التغييرات التي تصيب اللغة ـ مهما اختلفت في طبيعتها وسرعتها ومجالها ـ تسير وفقاً لقاعدة أساسية واحدة هي أنها دائماً وأبداً تقع على مرحلتين : ـ

(١) مرحلة التغير نفسه أو الإبتداع والتجديد . ويظهر هذا في الكلام الفعلي وهو عمل فردي كالكلام نفسه . ولكن هذا لا يعني أنه مقصور على فرد واحد ، فقد يتصادف أن يتفق أفراد لا حصر لهم على الإبتداع في وقت واحد ، بل قد يحسّ عدد آخر من الجماعة اللغوية المعينة بأن هذا الإبتداع كان حاضراً بأذهانهم ، وكان في استطاعتهم أن يبدأوا به وربما فعلوا .

(٢) مرحلة انتشار التغير : إذا ما سمع الإنسان الشيء المبتدع في عبارة أو في عبارات علق بالذهن وترتب على ذلك استعمال الآخرين له ونفذ بالتدريج إلى نظام اللغة . وتأتي بعد ذلك مرحلة تسجيل الكلمات ومعانيها في معاجم اللغة .

ونرى أن المرحلة الأولى فردية والثانية اجتماعية ، معتمدة في أساسها على قوة التقليد ، هذا التقليد ربما يكون مقصوراً على المتكلمين البالغين . ولكن يجب ألا ننسى الدور الذي تقوم به الأجيال القادمة في عملية التجديد اللغوي . فهذه الأجيال حين

(١) اولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د. كمال بشر ، ص ١٥٦ .

اكتسابها للغاتها القومية تتعرض لاحتمالات سوء الفهم وتغيير القواعد والنظم الثابتة أو الانحراف عنها.

إن اللغة تنتقل من جيل إلى آخر على فترات تتخللها تغيرات وانحرافات دائمة ، وهذه الحقيقة ذاتها تؤدي إلى المرونة في الإستعمال اللغوي وإلى عدم ثبات الظواهر اللغوية أكثر من أي عامل آخر.

وبعد سوف نعرض هنا العوامل الرئيسية المباشرة والمؤثرة في تغير المعنى وهي : -

أ - الإستعمال اللغوي :

إن الألفاظ لم تخلق لتحبس في خزائن من الزجاج أو البلور فيراها الناس من وراء تلك الخزائن ثم يكتفون بتلك الرؤية العابرة ولو أنها كانت كذلك لبقيت على حالها جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر دون تغير أو تحوّل . ولكن الألفاظ وجدت وتعارف الناس عليها ليتداولوها ويستعملوها في حياتهم اليومية . كما يتعاملون بالعملة والسلعة . غير أن التبادل بها يكون عن طريق الأذهان تلك التي تتباين بين أفراد الجيل الواحد والبيئة الواحدة بل والأسرة الواحدة في التجربة والذكاء . وتتشكل وتتكيف الدلالة تبعاً لها. ويمكن تلخيص عناصر هذا العامل فيما يلي : -

أ- سوء الفهم : وتلك تجربة قد يمر بها كل منّا حين يسمع اللفظ للمرة الأولى فيسيء فهمه ويوحي إلى ذهنه دلالة غريبة لا تكاد تمت إلى ما في ذهن المتكلم بأية صلة ، ومثال ذلك أن تسمع شخصاً ما يقول: القدر. يمكن أن يساء فهمها ويأخذها السامع على أنها القِدر أو القَدر وكذلك كلمة الثورة قد يساء فهمها وأيخذها السامع على أنها الثروة ، ثم لا تتاح للسامع فرصة أخرى لتصحيح خطئه ويبقى اللفظ في ذهنه مرتبطاً بتلك الدلالة الجديدة.

وقد يروى للفظ الواحد عدة دلالات يتناولها الشعراء أو الناظمون فيجمعون بينها في أبيات من الشعر ويستدلون بها على تلك الدلالات المتباينة بعضها على بعض.

فكلمة (الغروب) مفردة أو جمعاً ذات دلالات ثلاث جمعها بعض الناظمين في قوله :

يا ويح قلبي من دواعي الهوى إذ رحل الجيران عند الغروب

أتبعتهـم طرفي وقـد أزمعـوا ودمع عينيّ كفيض الغروب
باتـوا وفيهـم طفلـة حـرة تفتر عن مثل أقاحي الغـروب

فالغروب في البيت الأول لوقت المغرب ، وفي الثاني للدلاء جمع دلو ، وفي الثالث للوهاد المنخفضة[1] .

ب ـ الابتذال «أو الانحطاط» :

هناك كثير من الألفاظ في كل لغة من اللغات يصيبها الابتذال وذلك لأسباب منها سياسية أو اجتماعية أو عاطفية . فحين نتذكر أن بعض الظروف السياسية قد تتطلب الحط من القاب ورتب اجتماعية ندرك السبب في انزواء بعض الألفاظ التي تعبر عنها من اللغة ـ ولعلّ أقرب مثل لهذا هو إلغاء الألقاب والرتب في مصر فانزوت كلمات مثل (باشا، بك، افندي) وغيرها من ألقاب تركية مرت بها تطورات في دلالتها وانحط قدرها على توالي الأيام.

ولعل أوضح الأسباب في ابتذال بعض الألفاظ تلك التي تتصل بالناحية النفسية العاطفية ، وذلك كأن يكون اللفظ قبيح الدلالة أو يتصل بالقذارة والدنس أو يرتبط بالغريزة الجنسية . فهنا نلحظ أن كل اللغات تفقد بعضاً من ألفاظها التي تعبر عن هذه النواحي ، فتندثر تلك الألفاظ وتنزوي ويحل محلها لفظ آخر أقل وضوحاً في دلالته وأكثر غموضاً أو تعمية ، مثل : قضاء الحاجة ، أنا ذاهب للحمام»[2].

جـ ـ إحياء ألفاظ قديمة ذات دلالات مندثرة وإطلاقها على مستحدثاته ملتمساً في هذا أدنى ملابسة ، وهكذا وجدنا أنفسنا أمام ذلك الفوج الزاخر من الألفاظ القديمة بصورة جديدة من الدلالة كالمدفع ، والقنبلة ، والدبابة ، واللغم ، والطيارة ، والطراد ، والسيارة ، والبريد ، والقاطرة ، والمدخنة ، والقطار ، والثلاجة ، والمذياع ، والذبذبات ، والتسجيل ، والجرائد والصحف ، والمجلات ، والهاتف ، والتلغراف . وغير ذلك من آلاف الألفاظ التي أحياها الناس واستعملوها وخلعوا عليها دلالات جديدة تطلبتها حياتهم اليومية الجديدة[3].

---

(١) دلالة الألفاظ ، د. ابراهيم انيس ص ١٣ وما بعدها.
(٢) انظر: علم اللغة مقدمة للقارىء العربي د. السعران ص ٣٠٥ وما بعدها.
(٣) اللسان والانسان د. حسن ظاظا ص ١٠٤ وما بعدها.

د ـ الإقتـراض :

وقد تدعو الحاجة إلى الإلتجاء إلى ألفاظ اللغات الأجنبية فيقترض منها ما تمس الحاجة إليه حيناً وما لا حاجة إليه حيناً آخر ، فاللغات تقترض بعضها من بعض ، ويقتصر الإقتراض عادة على الألفاظ والكلمات ولا تكاد تتعداها إلى العناصر اللغوية الأخرى كالتصريف والإشتقاق وتركيب الجمل.

أما الإقتراض الذي تدعو الحاجة إليه فقد عرفه القدماء كما عرفه المحدثون ، فقد اقترض العرب من الفرس واليونان ألفاظاً للتعبير عن أشياء ليست في بلاد العرب . وعمد القدماء إلى بعض تلك الألفاظ فحوروا من بنيتها وجعلوها على نسج الكلمات العربية وسمّوها بالمعربة وتركوا البعض الآخر على صورته وسمّوه بالدخيل ، ومن أمثلة ذلك :

الصراط: وأصله الكلمة اللاتينية ستراتا

الخندق: من الفارسية (خنده)

الاسفنط: وهو أجود أنواع الخمر

السكر: وهو المادة الحلوة المعروفة.

الشاي: فهو في الفارسية والتركية (تشاي)

البرتقال: فاكهة موطنها الأصلي في الشرق الأقصى وجلبها البحارة إلى حوض البحر المتوسط وسميت باسم بحارة البرتغال[1].

القرش: وهو العملة المعروفة مأخوذ من اللاتينية (جروسو)

الريال: اسم لنقد قديم عرف في المغرب وفي كثير من بلاد المشرق مأخوذ من كلمة Royal بمعنى الملكي.

البستره: مبستر: مأخوذة من باستير مكتشف عملية حفظ الحليب من التلف والتعفن .

١ ـ العوامـل التاريخيـة :

إن انتقال الكلمات من عصر إلى عصر آخر لا بد وأن يصاحبه تغير في مدلول هذه الكلمات نظراً لما يحدث من تغير وتطور في الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية وغيرها مما يلمس حياة الإنسان من قريب أو بعيد . وكما قلنا فإن الكلمات عرضة للتطور والتغير ويكون هذا واضحاً عند انتقال الألفاظ من عصر تاريخي إلى عصر آخر أو من فترة

(١) اللسان والانسان : د. حسن ظاظا ص ١٠٧ وما بعدها.

تاريخية معينة إلى فترة تاريخية جديدة حدث ما حدث فيها من تغير في حياة الناس وعاداتهم وتقاليدهم ومثلهم ومخترعاتهم وما جدّ عليهم من صناعات جديدة وعلوم وفنون حديثة كل هذا لا بد وأن يجاريه تطور في الألفاظ وتغير في الدلالة .

فكلمة «Ship» «سفينة» مثلاً قد تغيّرت صيغتها تغيراً لا يكاد يذكر منذ العهد الانجلوسكسوني ، ومع ذلك فإن السفن الحالية تختلف عن السفينة التي كان يبحر عليها قراصنة الشمال من عدة وجوه ، أي من حيث الحجم والتركيب والشكل والخواص الفنية الخ[1] .

ومعنى هذا أن المدلول قد لحقه التغير ولكن اللفظ الدال عليه قد بقي على حاله ، ومعناه كذلك أن التماثل الأساسي في الوظيفتين القديمة والجديدة للمدلول كان سبباً في إعاقة اللغة عن ملاحقة التقدم الحضاري . وهذه الظاهرة نفسها تطبق على المنظمات والمؤسسات ونحوهما .

فالبرلمان الإنجليزي اليوم يختلف إلى حد ما في لوائحه وقوانينه عن برلمانات القرن السابع عشر ومع ذلك فقد وجد أنه من الأصلح الإحتفاظ باللفظ الدال عليه . ولو فرض حدوث تعديل دستوري آخر ـ وكثيراً ما يناقش هذا التعديل في الوقت الحاضر ـ يرمي إلى تغيير الطريقة التي يتكون بها مجلس اللوردات مثلاً ، فإن هذا التعديل سوف لا يتضمن التخلص من الإسم ذي الشهرة التاريخية . وتغييره إلى (جمعية) أو (كونجرس) مثلاً . نعم إن المدلول حينئذ سوف يلحقه تغير جوهري ، ولكنه مع ذلك سوف يظل مرتبطاً بالمدلول القديم ومتصلاً به .

وفي العصر الإسلامي حدث تغيّر كبير في مدلول كثير من الألفاظ والمصطلحات الدينية والشرعية والفقهية واللغوية . وكانت ألفاظها موجودة قبل الإسلام ، ولكنها كانت تدل على معانٍ أخرى فتحولت للدلالة على ما يقاربها من المعاني الجديدة . فلفظ المؤمن كان معروفاً في الجاهلية ولكن كان يدل عندهم على الأمان أو الإيمان وهو التصديق . فأصبح في الإسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر وكذلك المسلم والكافر والفاسق ، وقس على ذلك الإصطلاحات الفقهية ، كالطهارة ، والعدة ، والحضانة ، والنفقة ، والإعتاق ، والإستيلاء ، والتعزير ، واللقيط ، والوديعة ، والعارية ، والشفقة ، والفرائض وغيرها .

(١) انظر : اللغة والمجتمع د. السعران ص ١٤ وما بعدها .

ولقد وضع علماء المسلمين ألفاظاً أو بدلوا معانيها الأصلية فأصبح لها معان جديدة ثم أصبح لتلك المعاني شروط وحدود ذكروها في كتبهم مثال ذلك ، الحج ، الزكاة ، النكاح ، الوضوء ، اليتيم ، الحضانة ، النفقة ، وإحياء الأرض الموات ، وأرض العشر ، وأرض الخراج وغير ذلك كثير[1] .

وهناك الألفاظ الإدارية التي استحدثت لما امتدت الفتوحات واتسعت رقعة الدولة ، لقد مسّت الحاجة إلى مصطلحات إدارية وسياسية فحوّروا معاني بعض الألفاظ العربية حتى صارت تفي بالأغراض المطلوبة وضمنوها معنى إصطلاحياً جديداً غير المعنى الذي كانت تعرف به في الجاهلية ، واقتبسوا بعض المصطلحات من الألفاظ الأعجمية التي كانت شائعة في البلاد المفتوحة .

وحدث مثل ذلك في مصطلحات القتال ، كالدبابة والعرادة ، والكبش والمنجنيق ، والمتطوعة ، والمسترزفه .

وفي المصطلحات المالية مثل : الجباية ، والمكس ، والسكة ، والراتب ودار الضرائب ، والضمان ، والمكوس ، وغير ذلك كثير .

نقول أن معظم هذه الألفاظ أصبحت تدل على مستحدثات جديدة لم تكن معروفة في العصر الجاهلي .

(١) اللغة كائن حي : جورجي زيدان ص ٦٥ ـ مراجعة : مراد كامل .

٢ ـ العوامل الإجتماعية :

إن كل مجموعة إنسانية مهما صغر حجمها لها لغتها الخاصة بها ، فهناك في الأسرة والمكتب والمدرسة والمصنع ، والمطعم ، والمعسكر ، تتوالد الكلمات والعبارات والمعاني الهامشية والألغاز وطرق التعبير الأخرى التي تختص بهذه البيئات والتي يصعب إدراكها على من لم يكن من هذه المجموعة . وهذا هو الشأن أيضاً في المجموعات الأكبر والأوسع ، تلك البيئات التي يربطها رباط المصالح المشتركة ، كالمهنة والحرفة والتجارة والإنتماء إلى مختلف فروع العلم والفن والصحافة والقوات المسلحة والكنيسة والهيئات الأكاديمية والرياضية . . الخ من هذه المجموعات ثروتها اللفظية الخاصة بها وهي ثروة تعكس خصائص الموضوعات والمناقشات التي يتناولها الأعضاء فيما بينهم ، وتسهل اتصالهم بعضهم ببعض ، ولكنها في الوقت نفسه تزيد في الهوة التي تفصلهم عن غيرهم ممن لا ينتمون إليهم .

هذا الإتجاه نفسه موجود في اللهجات الطبقية الخاصة ـ كلهجات السوقة واللصوص والحشاشين وغيرهم . ويقوي هذا الإتجاه في هذه اللهجات النزعة إلى خلق مصطلحات صادقة التعبير ، وحاوية لعناصر الفكاهة والدعابة ، وكاشفة عن الروح البيئية الخاصة ، وهذا يعني أن هناك اتجاهاً نحو الإبتعاد المتعمد عن الإستعمال اللغوي العام ، كما يعني الشعور بالحاجة الملحة إلى تقوية الأواصر بين أعضاء المجموعة وإلى إبعاد الدخلاء والمتطفلين[1] .

ومع هذا فإنه من المستحيل أن نضع حدوداً دقيقة بين لهجات اللغة الواحدة ، فكل واحد منا ينتمي إلى أكثر من مجموعة من هذه المجموعات اللغوية المتشابكة ، ونحن إذ

---

(١) اولمان : دور الكلمة في اللغة ص ١٥٣

(٢) انظر : اللغة والمجتمع د. السعران ص ٣٥ وما بعدها.

نتنقل من مجموعة إلى أخرى نحمل معنا الثروة اللفظية الخاصة بكل منها ، وهذا يعني أن المصطلحات الفنية الخاصة مثلاً لا بد أن تتعدى حدودها الأصلية ، وتنفد إلى الثروة اللفظية العامة ، وبخاصة حين تفقد مدلولات هذه المصطلحات أهميتها أو صفتها الفنية أو البيئية .

فلقد اجتازت المصطلحات « عقدة النقص » و« التفتيت النووي » و« الوجودية » و« هيكل الطائرة » الحدود الضيقة لعلم النفس التحليلي وفيزياء الذرة والفلسفة وصناعة الطائرات التي قد ابتكرت في الأصل من أجلها وتسربت إلى ثقافتنا العامة التي امتصتها امتصاصاً كاملاً . وهذا يطبق كذلك على كلمات اللهجات الطبقية الخاصة التي لا تكفّ عن الإنتقال إلى هذه الثقافة .

يتبيّن لنا من هذا أن كثيراً من كلمات الإصطلاحات المهنية والفنية قد تجد طريقها إلى اللغة المشتركة وتنفذ إليها والعكس بالعكس . وبهذه الطريقة ذاتها تنتقل معاني الكلمات من مجموعة لغوية إلى أخرى. فقد يحدث أن تستعمل إحدى البيئات الفنية الخاصة كلمة عادية في معنى جديد ذي صبغة فنية خالصة ، وربما يتبع ذلك دخول هذا المعنى الجديد إلى اللغة المشتركة ، بجانب المعنى القديم ، وقد حدث هذا للكلمات : الصلاة ، الحج ، الإذاعة ، الإخراج ، التمثيل ، التي اكتسبت معانيها الاصطلاحية المعروفة بها الآن بطريق استعمالها في هذه المعاني في الفنية الخاصة .

ويمكن القول على وجه العموم : إن الإتجاه في مثل هذه الحالات يميل نحو التضييق في معنى الكلمة حين تنتقل من الإستعمال العام إلى المجالات المتخصصة .

فالخط مثلاً بالنسبة لرجل سكة الحديد يعني أشياء تقل في عددها عما تدلّ عليه في اللغة العامة ، إن الخط في نظره هو الخط الذي يعرفه ويعهده أكثر من غيره .

نقول أن العوامل الإجتماعية بكل أنواعها أحد العوامل الكبرى في استمرار التجديد في الثروة اللفظية ، وذلك بالإضافة إلى ما له من تأثير فعال فى المعنى. فلو أخذنا مثلاً جماعة الصيادين وبحثنا في بعض الألفاظ والعبارات المستعملة في حياتهم اليومية ، مثل كلمة الطعم ، السنارة ، الشبك ، نجد أن هذه الألفاظ لها دلالات أخرى عند جماعة ثانية فمثلاً كلمة «الطعم» عند من يعمل في مجال العلوم والصحة مختلفة تماماً عند جماعة الصيادين ، وكلمة سنارة لها معنى آخر عند من يعملن بالحياكة ، وهكذا تتعدد دلالة الألفاظ من جماعة إلى أخرى كل حسب مهنته وبيئته ومجال عمله .

٤ ـ قوانين التغير الدلالي

بعد أن أوضحت العوامل المؤثرة في تغير المعنى كالحاجة إلى كلمة جديدة أو إحياء ألفاظ قديمة ذات دلالات مندثرة أو العوامل التاريخية أو العامل الإجتماعي وغيرها مما أثبتناه في موضعه سيكون حديثي عن قوانين التغير الدلالي وكيفية هذا التغير.

لقد كانت هناك جهود جادة منذ المعلم الأول « أرسطو » لدراسة تغيرات المعنى بشيء من التنظيم والتقنين ، غير أنهم حصروا جهودهم لقرون طويلة في تصنيف (المجازات) أو ما يعرف بانتقال المعاني من مجال إلى آخر لأسباب جمالية « فلم تكن هناك حتى نهاية القرن الماضي أية محاولة لتنظيم البحث في عملية انتقال المعاني خالية من مضموناتها الأدبية »[١] .

وجاء في كتاب دور الكلمة في اللغة « وبعد أن أصبح علم المعنى فرعاً مستقلاً من فروع الدراسات اللغوية اتّجه العلماء نحو تحليل أنواع التغير في المعنى تحليلاً منطقياً »[٢] .

لقد تبيّن لهم أن المعنى القديم أما أن يكون أوسع من المعنى الجديد أو أضيق منه أو مساوياً له ، ومن هنا جاء التقسيم الثلاثي الذي بنيت عليه الخطة المنطقية : ـ

أ ـ تعميم الدلالة أو توسيعها : ـ

يقول الدكتور ابراهيم أنيس في دلالة الألفاظ : « إن تعميم الدلالات أقل شيوعاً في اللغات وأقل أثراً في تطور الدلالات وتغيرها من تخصيصها »[٣] .

---

(١) دور الكلمة في اللغة : اولمان : ترجمة د. كمال بشر ص ١٦٤ .
(٢) المرجع السابق ص ١٦٤ وانظر : علم اللغة د. السعران ص ٣٠٢ .
(٣) دلالة الألفاظ د. ابراهيم انيس ص ١٥٠ .

ونلحظ هذا التعميم أكثر ما نلحظه لدى الأطفال حين يطلقون اسم الشيء على كل ما يشبهه لأدنى ملابسة أو مماثلة . ويأتي ذلك نتيجة لقلة محصولهم اللغوي وقلة تجاربهم مع الألفاظ . فقد يطلق الطفل لفظة حمار على كل حيوان يراه سواء أكان حصاناً أم بقرة أو خلافهما . وقد يطلق لفظة دجاجة على كل طائر يشاهده ، ويتوقف مسلك الطفل حسب أثر البيئة وتجاربه فيها .

وقد يطلق لفظ الأب على كل من يشبه أباه في زيه أو قامته ، وقد يطلق لفظ الأم على كل امرأة تشبه أمه في ثيابها أو صورتها .

ونجد أمثلة كثيرة من هذا التوسع أو التعميم مثل كلمة « البأس » في أصل معناها كانت خاصة بالحرب ثم أصبحت تطلق على كل شدة ، وأن الناس في خطابهم الآن يطلقون كلمة «الورد» على كل زهر وكلمة « البحر » على النهر أو البحر ، ومن هذا التوسع أيضاً تحويل الأعلام إلى صفات فالعلم « قيصر » قد يطلق ويراد به العظيم الطاغية ، ونيرون الظالم أو المجنون ، وحاتم الكريم المضياف و« عرقوب » المخادع القليل الوفاء[1] .

وبكلمة (مكتب) تدل على المكتب الخاص بالكتابة ، ومكتب المحاماة ، ومكتب المدير ، ومكتب البريد ، ومكتب الرئيس ، وكلمة (قطع) قطع الورقة ، قطع الشارع ، وقطع الثوب ، وقطع كلامه .

من هذا نرى أثر التعميم أو التوسيع في الألفاظ ومدى تأثيره على اللغة من حيث إعطاء معان أوسع وأشمل وعند استعمال اللغة يجد المتحدث بها مجالاً واسعاً لاستعمال الألفاظ والمعاني التي يريد ولهذا أثره في إنماء الثروة اللغوية وتوسيعها وتطور الألفاظ ودلالتها .

ب ـ تخصيص الدلالة :

كما تحدثت عن أثر التعميم في دلالة الألفاظ لا بد وأن أتحدث عن أثر التخصيص في دلالة الألفاظ موضحاً أثر ذلك في اللغة من حيث التطور والدلالة قال الدكتور ابراهيم انيس في كتابه « دلالة الألفاظ » : « إن الألفاظ في معظم لغات البشر تتذبذب دلالتها بين

(١) انظر دلالة الألفاظ د. ابراهيم انيس ص ١٥١ وما بعدها.

أقصى العموم كما في الكليات مثل كلمة «شجرة» التي تطلق على ملايين الأشجار، وأقصى الخصوص كما في الأعلام مثل كلمة (محمد) الدالة على شخص بعينه » . وإدراك الدلالة الخاصة أيسر على الإنسان من إدراك الدلالة الكلية التي يقل التعامل بها في حياة الناس .

وعلى قدر ما يصيب الذهن من رقي يكون استعداده لتقبل تلك الدلالات الكلية وعلى التعامل بها . وكذلك الأمم على قدر نهوضها وسمو التفكير بين أبنائها تكون لغاتها مستعدة لتلك الدلالات الكلية .

والمعروف لدينا أن الأطفال يدركون الدلالة الخاصة قبل إدراكهم الدلالة العامة فيبدأ الطفل حياته بأن يجعل من كل لفظ جديد على سمعه (علماً) على شيء معين فحين يسمع كلمة (سرير) يربطها بمهده ومكان نومه تظل في ذهنه زمناً ما أشبه بعلم على سرير وهو وحده .

والناس عادة ينفرون من الكليات في حياتهم اليومية ويفضلون الدلالات الخاصة التي تعيش معهم فيرونها ويسمعونها ويلمسونها ولذا يسهل عليهم تداولها والتعامل بها في حياة أكثر ما فيها ملموس محسوس . « وهم لقصور في الذهن حيناً أو بسبب الكسل والتماس أيسر السبل حيناً آخر يعمدون إلى بعض تلك الدلالات العامة ويستعملونها استعمالاً خاصاً »[1] فنجد في لهجات الخطاب عندنا كلمة « الطهارة » تخصّصت وأصبحت تعني (الختان) وكلمة الحريم بعد أن كانت تطلق على كل محرم أصبحت تطلق على (النساء) وكلمة العيش أصبحت تطلق على (الخبز) وكلمة العيال أصبحت تطلق على (الزوجة).

وبهذا نجد أن مدلول هذه الألفاظ أصبح مقصوراً على أشياء تقل في عددها عما كانت عليه الكلمة من قبل . إذ كانت تدل في الأصل على مدلولات عدة ثم ضاق معناها وأصبحت تدل على مدلولات محددة ومعان محصورة .

ونجد في الإنجليزية مثالاً على ذلك فكلمة «Meat» التي تعني الآن اللحم ، كانت دلالتها فيما مضى أعمّ وأوسع ، وكانت تعني الطعام . ولقد مرت هذه الكلمة بثلاث مراحل إلى أن أخذت معناها : ـ

(١) دلالة الألفاظ د. ابراهيم انيس ص ٣٩.

1 — food	Meat	flesh	flesh
2 — food	Meat	meat	flesh
3 — food	food	meat	flesh (1)

جـ ـ انتقال المعـــنى :

لقد أجمع اللغويون على أن نشأة الدلالة تبدأ بالمحسوسات ومن ثم تتطور إلى الدلالات المجردة حسب تطور العقل الإنساني ورقيه ، فكما أوضحت من قبل أن الطفل في سني حياته الأولى لا يدرك إلا المحسوسات وما حوله وما يتفاعل معه في بيئته ومن ثم بعد أن يتلقى تعليمه وبعد أن يتعرف على ما حوله ويدرك المعاني لهذه المحسوسات وكلما ارتقى هذا الانسان وتطور مع العصر ومع رقي الحضارة ومع النهضة الفنية والصناعية التي حوله كلما ارتقى تفكير هذا الإنسان على استخراج الدلالات المجردة وتوليدها والإعتماد عليها في استعماله اليومي . ونجد في العربية الكثير من الكلمات التي انتقلت من المعنى المحسوس إلى المعنى النفسي المجرد . وانتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد يتم عادة في صورة تدريجية . وتظل الدلالتان سائرتين جنباً إلى جنب زمناً طويلاً ، وخلاله قد تستعمل الدلالة المحسوسة فلا تثير دهشة أو غرابة . ونستعمل في نفس الوقت الدلالة المجردة فلا يدهش لها أحد .

فإذا عرفنا مثلاً أن المعاجم العربية تنص على أن «الرطانة» هي الابل مجتمعة وطبيعي أن يصدر عنها أصوات مبهمة لا يستطيع السامع تمييزها ، ويمكن لهذه الدلالة أن تعبر عن كل كلام مبهم بلغة أجنبية لا يستبين منه السامع شيئاً . وأن تصبح الرطانة ذات دلالة جديدة مجردة على حسب ما جاء في قاموس الفيروزبادي « الكلام بالأعجمية »[٢]

وهناك أمثلة أخرى منها :

الحقد : حقد المطر : احتبس وحقدت الناقة امتلأت شحماً .

والمدح : مدحت الأرض والخاصرة اتسعتا .

والقلق : الحركة والإضطراب ومن معناها الإنزعاج .

والافن : قلة اللبن ، فهل منه جاء الافن بمعنى السفه

المجد : من معانيه امتلاء بطن الدابة من العلف ومنها الجاه[٣] .

(1) Bloo Mfiled Language pag. 430.

(٢) انظر القاموس المحيط ، الفيروزبادي

(٣) انظر اللسان في هذه المواد.

وجاء في دلالة الألفاظ للدكتور المرحوم ابراهيم انيس : إن النقل بين الدلالات ليس مقصوراً على نقل الدلالة المحسوسة إلى المجردة أو العكس بل قد يتم بين المحسوسات بعضها مع بعض لصلة بين الدلالتين في المكانية أو الزمانية أو اشتراك في جزء كبير من الدلالة . فهناك ألفاظ كثيرة لوحظ تطورها في الدلالة فانتقل كل منها من دلالة إلى دلالة أخرى تشترك معها في المكان مثل (الذقن) حين تستعمل في خطاب الناس بمعنى اللحية ، ومثل (الشنب) حين يطلقونه على الشارب مع أنه بريق الأسنان ومثل (السماء) التي تروي في المعاجم أن من معانيها السحاب والمطر[1] .

أو تشترك معها في الزمان مثل : « الشتاء » بمعنى المطر . وما جاء في قاموس الفيروزبادي من حديثه عن كلمة « العشاء » نجد أنه لم يكن يحدده بوقت معين ونشعر من النص القاموسي أن « العشاء » قد تأرجحت دلالتها بين ثلاثة أزمنة متصلة من اليوم إذ يقول : « إن العشاء أول الظلام ، أو من المغرب إلى العتمة أو من زوال الشمس إلى طلوع الفجر »[2] .

أو تشترك الدلالتان في بعض المعنى مثل « النبل » حين يستعمل بمعنى الشريف أو العكس ، رغم أن « النبيل» « النجابة » والشريف هو « العلو » .

وبعد فهذه أهم مميزات التقسيم المنطقي إذ تمتاز بالبساطة والسهولة ، فهي تمكننا من تحديد نوع التغيير الذي يصيب المعنى بسرعة فائقة ، ولكن هذه المزايا تقابلها تضحيات باهظة الثمن فهذه الخطة لا تعدو أن تكون مجرد نوع من النظام الشكلي الذي لا يستطيع أن يمدنا بأية معلومات عمّا يكمن خلف عمليات التغير التي نقوم بدراستها[3] ، على الرغم من ذلك فإن تعميم الدلالة أو تخصيصها أو انتقالها فإن لهذه العوامل أثر في اللغة من حيث التطور وإيجاد ألفاظ جديدة ومدلولات جديدة في اللغة وما لهذا كله من أثر في اللغة من حيث النمو والإتساع . وإن كانت هذه العوامل محدودة التقسيم فإنها أضافت للغة ألفاظاً جديدة ومدلولات جديدة لم تكن مستعملة فعرفها الناس واستعملوها وأصبحت دارجة على الألسن وفي الكتب وحددت لنا الدلالة بعد أن كانت غير واضحة على الأقل في الاستعمال .

---

(١) انظر دلالة الألفاظ د. ابراهيم أنيس ص ١٦١ وما بعدها.
(٢) انظر القاموس المحيط : الفيروزبادى .
(٣) دور الكلمة في اللغة ، اولمان ، ترجمة د. كمال بشر ص ١٦٦ .

وبعد سوف أبحث في التقسيم النفسي للعوامل المؤثرة في دلالة الألفاظ وتطورها باعتبارها من العوامل الخارجة المؤثرة في حياة الألفاظ ومعانيها .

٢ ـ التقسيم النفسي :

جاء في « دور الكلمة في اللغة » ترجمة د. كمال بشر أن هناك علاقة بين المدلولات وبين الألفاظ تتحقق عن طريقين الأول المشابهة بين المدلولات والثاني العلاقة والرابطة بين هذه الألفاظ ومدلولاتها .

أ ـ المشابهة بين المدلولين :

إن أول ما يحصله الطفل من معان هو معاني المحسوسات ولا سيما معاني الكلمات الدالة على أعضاء جسمه ، وعلى الأدوات التي يستعملها يومياً ولكن الطفل بعد أن يكبر فإنه يسمع بعض الكلمات توقعه في الحيرة فمثلاً يسمع أمه تقول عين الابرة ، فهو تعلم أن لفظة عين تدل على العضو الحاس في رأسه والتي يبصر من خلالها ويشاهد الأشياء بها . فعند استعمال أمه استعمالاً مجازياً لهذه اللفظة بأن تقول عين الابرة فالذي جعلها تستعمل هذه اللفظة هو شدة التشابه بين هذا العضو في جسم الإنسان وبين الثقب في الإبرة الذي ينفذ منه الخيط ، هذا التشابه اللغوي هو الأساس النفسي للإستعارة . وهناك أمثلة أخرى شبيهة بهذا المثال : كإطلاق أسماء أعضاء الإنسان على الجمادات : ـ

رجل الكرسي ، يد الهون ، عين الماء ، وجه الجبل ، رأس بصل ، أسنان المشط ، أذن الفنجان الخ من الإستعمالات المنتشرة بين الناس والتي يكون للتشابه القوي بين مدلولاتها أثر كبير في استعمالها .

ومن النماذج الشائعة للإستعارة استخدام الكلمات ذات المعاني المادية للدلالة على المعاني المجردة مثل (جسم المشكلة) (عقدة المناقشة) و(ركز الفكرة)[1] .

وهناك نوع آخر من الإستعارات يعتمد على التشابه في الشعور نحو جانبي الإستعارة وفي نوع الإحساس بها أكثر من اعتماده على التشابه في الخصائص الجوهرية ، وذلك كقولنا « تحية عطرة ، استقبال بارد ، لون دافىء ، صوت حلو ، صوت ناعم ،

(١) دور الكلمة في اللغة ، اولمان ، ترجمة د. كمال بشر ص ١٦٨ .

أصفر الوجه ، أبيض القلب، الخ.[1]».

هنا يوجد الإحساس بأن هناك تشابهاً بين الدفء وبين لون معين وتشابهاً بين المذاق الحلو وبين الصفات الجميلة للصوت .

كل هذه المجازات تعتمد في أساسها على نوع من المشابهة بين المدلولات المختلفة وكما قلت لوجود الشبه القوي بين مدلولاتها كان هو الأساس في استعمالها ، ولهذا أثره الكبير في خلق ألفاظ جديدة ودلالات جديدة يكون لها الأثر في نمو اللغة وإثرائها من الناحية اللفظية .

ب ـ العلاقة بين المدلولين : ـ

كما ذكرت في المشابهة بين المدلولين وأن الشبه القوي بينهما هو أحد الأسس في استعمال الألفاظ استعمالاً مجازياً فإن العلاقة القوية بين المدلولين هي الأخرى الأساس في استعمال هذه الألفاظ استعمالاً مجازياً أيضاً . فعندما أقول اشترى فلان قطعة كشمير يتبادر إلى الذهن فوراً أن هذا الشخص قد اشترى قطعة قماش حرير منسوبة إلى مدينة كشمير .

وعلى هذا فالفكرتان مرتبطتان ببعضهما البعض في ذهن المتكلم أو أنهما تنتميان إلى مجال عقلي واحد ، هذا هو التفسير النفسي لهذا النوع من المجاز وهو ما يسمى المجاز المرسل . ويظهر ذلك في صور متعددة فقد يطلق الظرف على المظروف أو المحل على الحال كما في نحو (شرب كوباً) من (الماء) و« بيت الرجل » والمقصود به أهله أي زوجته وعياله .

وقد يطلق اسم الأداة أو الآلة على وظيفتها أو اسم العمل على آثاره ونتائجه كإطلاق « اللسان » على « اللغة » وإطلاق الكتابة بمعنى العمل على الكتابة على الحائط مثلاً . وكذلك قد يسمى الشيء باسم مخترعه أو مؤلفه أو مكانه الأصلي مثل : لبن مبستر ، فستق حلبي ، عنب فيومي ، شمام اسمعلاوي ، جوز هند ، شاي سيلاني ، برتقال غزاوي ، صابون نابلسي ، الخ من الإستعمالات المجازية والتي لها الأثر الكبير في اللغة من حيث تعدد الدلالة ومن حيث تطور الألفاظ وتطور معانيها .

(١) انظر علم اللغة مقدمة للقارىء العربي : د. السعران ص ٣٠٠ وما بعدها.

جـ ـ المشابهة بين للفظيـــن :

إن الحالة التي تنتقل إليها الدلالة ترتبط غالباً بالحالة التي انتقلت منها بإحدى العلاقتين اللتين يعتمد عليهما تداعي المعاني وهو أن حضور معنى الذاكرة يدعو بعض المعاني المرتبطة معه بعلاقة المجاورة أو المشابهة . فتارة يعتمد انتقال المعنى بسبب المجاورة المكانية كتحول معنى « ظعينة » ومعناها في الأصل المرأة في الهودج تحولت إلى معنى الهودج نفسه وإلى معنى البعير فأصبحنا نطلق ظعينة على البعير وعلى الهودج وذلك بسبب العلاقة المكانية بين هذه الألفاظ .

وفي العربية أمثلة على المشابهة اللفظية منها : جدث وجدف للقبر وطانه الله على الخير وطامه ، يعني جبله ومرث فلان الخبز في الماء ومرده ، ونبض العرق ونبذ ، وتحول معنى ذقن في العامية المصرية إلى معنى اللحية ، وتحول معنى العقيقة التي هي في الأصل الشعر الذي يخرج على الولد من بطن أمه إلى معنى الذبيحة التي تنحر عند حلق ذلك الشعر[1] .

د ـ العلاقة بين اللفظيـن : ـ

قد يؤدي وقوع الكلمتين معاً جنباً إلى جنب في عبارة تقليدية كثيرة الورود إلى نوع من الإختصار والإيجاز بحيث تقوم إحدى الكلمتين مقام العبارة كلها ، وهذا الضرب من الإختصار إنما يقع أكثر ما يقع في لغات المجموعات الواحدة المتخصصة حيث يساعد سياق الكلام على توضيح العلاقة بين أجزاء العبارة مثال ذلك : « الصاحبان » والمقصود أبو يوسف ومحمد ، و(الشيخان) والمراد (أبو حنيفة وأبو يوسف) و« الابهمان » عند أهل البادية ، السيل والجمل الهائج وعند أهل الأمصار « السيل والحريق » . و« المسجدان » مسجد مكة ومسجد المدينة . والخانقان ، المشرق والمغرب ، وقوله تعالى : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»[2] يعني مكة والطائف ، «الرافدان» دجلة والفرات .

---

(١) انظر علم اللغة د. السعران ص ٢٢٥ .
وانظر دور الكلمة في اللغة اولمان ترجمة د. كمال بشر ص ١٧٥ .
(٢) انظر المزهر : السيوطي جـ ٣ ص ١٧٤ .

هـ ـ انحطاط المعنى ورقيه :

لقد أثار انتباه الدارسين القدماء كثرة ورود ظاهرة الإنحطاط في تاريخ معاني الكلمات ، وأن المجال الإنساني بوجه خاص هو الذي تشيع فيه هذه الظاهرة لأسباب سياسية واجتماعية .

فنجد احياناً أن بعض الظروف السياسية قد تتطلب الحط من ألقاب ورتب إجتماعية ندرك السبب في انزواء بعض الألفاظ التي تعبر عنها اللغة . ولعل أقرب مثل إلى هذا هو إلغاء الألقاب والرتب في مصر ، فانزوت كلمات مثل : باشا وبك ، أفندي وغيرها من ألقاب انحط قدرها على توالي الأيام . « وأن كلمة «الوزير» في العربية لا تعني أكثر من الشرطي في الاسبانية ، ومساعد عشماوي في الإيطالية ومثل هذا يمكن أن يقال عن كلمة «الحاجب» التي كانت تعني في الدولة الأندلسية «رئيس الوزراء» ثم صارت على النحو المألوف الآن[1] .

ولعل أوضح الأسباب في ابتذال بعض الألفاظ تلك التي تتصل بالناحية النفسية العاطفية وذلك كأن يكون اللفظ قبيح الدلالة أو يتصل بالقذارة والدنس أو يرتبط بالغريزة الجنسية ، هنا نلحظ أن كل اللغات تفقد بعضاً من ألفاظها التي تعبر عن هذه النواحي فتندثر تلك الألفاظ ويحلّ محلها لفظ آخر أقل وضوحاً في دلالته وأكثر غموضاً وتعمية مثال ذلك (قضاء الحاجة) (أنا ذاهب إلى الحمام) « توالیت » « كابينة » الخ من الألفاظ المستعملة . وكذلك أسماء الملابس وخاصة الداخلية منها » .[2]

وكما يصيب الإنحطاط أو الإبتذال الألفاظ كذلك يصيبها الرقي والرفعة فمن ذلك كلمة « مارشال » الإنجليزية كانت تعني الغلام في الإصطبل الذي يتعهد الخيل ، أصبحت الآن أعلى الرتب العسكرية . ومن ذلك في العربية كلمة (بيت) كانت تدل على بيت الشعر ، أصبحت تدل على المسكن الكبير الضخم .

وبعد فإنني أستطيع أن أقول أن هذه العوامل كما بيّنتها آنفاً قد تؤدي قطعاً إلى تغير في دلالة المعنى وبالتالي تؤدي إلى خلق ألفاظ جديدة ودلالات جديدة لم تكن معروفة أو مستعملة من قبل وبهذا تؤثر تأثيراً مباشراً في حياة اللغة ، من حيث تطورها ونموها ومن حيث تعدد دلالتها وهذه العوامل النفسية وغيرها من العوامل الخارجية الأخرى لها أثرها

---

(١) انظر دلالة الألفاظ د. ابراهيم انيس ص ١٣٦ .

(٢) انظر علم اللغة مقدمة للقارىء العربي د. السعران ص ٣٠٦ وما بعدها.

المباشر والفعّال في تطور الألفاظ ودلالتها ولها أثر مباشر في نمو اللغة وتوسّعها وبالتالي يكون أثرها على أصحاب هذه اللغة من حيث الإستعمال اللغوي وما يجده المتحدث من يسر وسهولة في إيجاد ألفاظ في لغته تسد حاجته وتسعفه حين الحاجة والعوز .

وسنعرض لأنواع التغير التي تصيب معاني الكلمات موضحين أثر ذلك في حياة الألفاظ وتطورها وتغير دلالتها وأثر ذلك كله على اللغة .

الفصل الثاني

« أنواع التغير التي تصيب معاني الكلمات »

بعد أن درست العوامل المؤثرة في تغير الدلالة وأثر هذه العوامل على اللفظة ودلالتها واستحداث دلالات جديدة ودثور دلالات قديمة وما لهذا التغير والدثور من أثر على تطور وتغير الدلالة سوف أورد هنا أمثلة على أنواع التغيرّ الذي أصاب بعض الكلمات كي نؤكد ما ذكرناه حول هذا الموضوع .

١ ـ استخدام الكلمات :

إن مدلول الكلمة يتغير تبعاً للحالة التي يكثر فيها استخدامها ، فكثرة استخدام العام مثلاً في بعض ما يدلّ عليه يزيل مع تقادم العهد عموم معناه ويقصرّ مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله . ولدينا في اللغة العربية وحدها آلاف من أمثلة هذا النوع فمن ذلك جميع المفردات التي كانت عامة المدلول ثم شاع استعمالها في الإسلام في معانٍ خاصة تتعلق بالشعائر والعقائد ، أو النظم الدينية .

كالصلاة ، والحج ، والصوم ، والمؤمن ، والكافر ، والمنافق ، والركوع ، والسجود إلخ[١] .

فالصلاة معناها في الأصل الدعاء[٢] ثم شاع استعمالها في الإسلام فأصبحت تدل على العبادة المعروفة لأنها تشمل على مظهر من مظاهر الدعاء ، حتى أصبحت لا تدل على غيرها من معان .

---

(١) علم اللغة د. علي عبد الواحد وافي ص ٢٩٢ .

(٢) وقد جاء قوله تعالى (صل عليهم إن صلاتك سكن لهم) .

وكذلك الحج معناه قصد الشيء والإتجاه إليه ثم شاع استعماله حتى أصبح يدل على زيارة بيت الله الحرام . وقصر استعماله فقط ليدل على هذه الشعيرة فقط . وكذلك كلمة (المدام) فهي في الأصل ما سكن ودام ثم شاع استعمالها في الخمر لدوامها في الدن . ولأنه يغلي عليها حتى تسكن فأصبحت لا تنصرف لغير هذا المعنى .

وكثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسّع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم[1] فمن ذلك مثلاً في العربية كلمات مثل (البأس ، الورد ، الرائد ، النجعة) .

فالبأس في الأصل الحرب ثم استخدم في كل شدة فاكتسب من هذا الإستخدام عموم معناه .

والورد إتيان الماء ثم صار إتيان كل شيء ورداً ، والرائد طالب الكلأ ثم صار طالب كل حاجة رائداً . والنجعة طلب الغيث ثم أصبح كل طلب انتجاعاً .

وكثرة استخدام الكلمة في معنى مجازي تؤدي غالباً إلى انقراض معناها الحقيقي وحلول هذا المعنى المجازي محله . فمن ذلك مثلاً المجد والافن والوغى والغفران والعقيقة ، فالمجد معناه امتلأ بطن الدابة من العلف ثم استخدم في الإمتلاء بالكرم والشهامة حتى انقرض معناه الأول وأصبح معناه المجازي مستخدماً .

والافن معناه قلة لبن الناقة أصبح يدل على نقص في العقل .

والوغى هو اختلاط الأصوات في الحرب أصبح يدل على الحرب نفسها .

والغفران كان يدل على الستر وأصبح يدل على الصفح عن الذنوب ، والعقيقة كان يدل على الشعر الذي يخرج على الولد من بطن أمه إلى ما يذبح عند حلق ذلك الشعر .

وإستخدام الكلمة في فن من الفنون بمعنى خاص يجردها في هذا الفن من معناها اللغوي ويقصرها على مدلولها الإصطلاحي . ويدخل في هذا مصطلحات الآداب والفلسفة والقانون والإجتماع والعلوم والفنون . ونرى أن الكلمة الواحدة تستعمل في الشعر بمعنى وفي الرسائل بمعنى آخر وفي السياسة بمعنى ثالث وفي القانون بمعنى رابع وفي الفنون الحربية بمعنى خامس وفي الطبيعة بمعنى سادس وفي الطب بمعنى سابع .

من هذا نرى أن استخدام الكلمة يكسبها معنى جديد ودلالة جديدة .

(١) المرجع السابق ص ٢٩٣ .

أثر البيئة في التغير الدلالي

من العوامل المباشرة في التغيرّ الدلالي البيئة . وكلنا يعرف أثر البيئة في حياة الناس وبالتالي أثرها في اللغة ، وسوف نبحث هنا أثر البيئة في التغير الدلالي للألفاظ موضّحين ما للبيئة من أثر مباشر في هذا التغير والتطور .

من القوانين المقرّرة والتي لا خلاف عليها أن اللغة في تطوّر دائم ومستمر ، وإن لهذا التغيرّ والتطور أسباباً وعوامل تساعد على هذا التغير وتنميه . من هذه العوامل البيئة . إن اللغة تتأثر مباشرة بالبيئة لأن اللغة هي الوسيلة الوحيدة للتفاهم والتعامل بين أفراد المجتمع الواحد الذين يعيشون في بيئة واحدة ، فكل بيئة لها أثر على تغيرّ دلالة الألفاظ فمثلاً بيئة مجتمع النجارين نجد اللغة فيها متأثرة بهذا المجتمع ، ولو توسّعنا في دائرة البيئة لوجدنا أن بيئة الأغنياء تختلف عن بيئة الفقراء . ولوجدنا ألفاظاً تستعمل في هذه البيئة مخالفة للألفاظ المستعملة في البيئة المتوسطة الحال أو الفقيرة ، إذ نجد أن للبيئة أثراً مباشراً في الدلالة اللفظية وتغيرها واكتسابها دلالة جدية غير التي كانت تدلّ عليها .

ففي بيئة الأغنياء نجد ألفاظاً مترجمة من لغات أخرى مستعملة في هذا الوسط مثل : بارتي ، سواريه ، ماتنيه ، انكل ، تانت ، الخ من الألفاظ الأجنبية ، بينما مجتمع الفقراء أو متوسطي الحال لا يستعمل هذه الألفاظ مطلقاً .

ومن العوامل المؤثرة في تغيرّ الدلالة هو انتقال اللغة من السلف إلى الخلف . يقول الدكتور علي الواحد وافي في كتاب علم اللغة[1] كثيراً ما ينجم عن هذا الإنتقال تغير في معاني المفردات وذلك أن الجيل اللاحق لا يفهم جميع الكلمات على الوجه الذي يفهمها عليه الجيل السابق « ويساعد على هذا الإختلاف كثرة استخدام بعض المفردات في غير ما وضعت له عن طريق التوسع المجازي . فقد يكثر استخدام الكلمة مثلاً في جيل

(١) علم اللغة د. علي عبد الواحد وافي ص ٢٩٥ .

ما في بعض ما تدل عليه ، أو في معنى مجازي تربطه بمعناها الأصلي بعض العلاقات فيعلق المعنى الخاص أو المجازي وحده بأذهان الناس ، ويتحول بذلك مدلولها إلى هذا المعنى الجديد ، فكلمة القطار كانت تطلق في العصور القديمة على مجموعة من الابل في قافلة واحدة ثم أصبحت تطلق على مجموعة من العربات تقطرها قاطرة بخارية واحدة .

وكثيراً ما يتغير مدلول الكلمة على أثر انتقالها من بيئة إلى أخرى . فقد يخصّص مدلولها العام وتقصر على بعض ما كانت تدل عليه في البيئة الأولى ، وقد يعمّم مدلولها الخاص ، وقد تستعمل في غير ما وضعت له لعلاقة ما بين المعنيين ، وقد تنحط إلى درجة رفيعة في الإستعمال فتصبح من فحش الكلام وقد تسمو إلى منزلة راقية فتعتبر من نبيل القول ومصطفاه .

فنجد أن كلمة مثل : طماطم تدل على نوع من الثمر ففي القاهرة تطلق كلمة قوطه على نفس هذا الثمر وفي بيئة أخرى مثل بلاد الشام يقولون عن نفس الثمر بندوره . وفي مصر يقولون القرع والكوسه وكلا اللفظان يدلان على نفس الثمر المعروف . والقرع في بلاد الشام غير الكوسه .

ولو أخذنا لفظة العيش وهي التي تدل على هذا النوع من الطعام الذي يؤخذ من دقيق الحنطة ويوضع في فرن كي يكون جاهزاً للأكل نجد أن هذه اللفظة لها معنى آخر في دولة الكويت إذ تدل كلمة العيش على الأرز . وفي فلسطين يقولون الخبز . وهكذا نجد أن نفس الكلمة تدلّ على دلالات أخرى مغايرة أحياناً لما تدلّ عليه في بيئة معينة .

ولو أخذنا كلمة (مَرَه) عامية من (امرأة) نقول (جاءت المرة) في فلسطين مثلاً أو في بلاد الشام عامة ولكن لو قلت هذه الكلمة في مصر (مرة) لدلت على معنى آخر قبيح لأن البيئة المصرية تعارفت على كلمة سيدة مثلاً أو مدام أو ست ، وكلمة (حشيش) تعني في فلسطين العشب الذي تأكله الماشية .

وكما قلت أن اختلاف البيئات أو الطبقات والجماعات كثيراً ما ينجم عن هذا الإختلاف اختلاف في مدلول الكلمات وخروجها عن معانيها الأولى ويؤدي إلى ذلك ما يوجد بين الجماعات الناطقة باللغة الواحدة من فروق في المعيشة والجسم والنفس وفي شؤون الحياة السياسية والثقافية والإجتماعية والتربية والتفكير والوجدان والعادات والتقاليد التي تتمسك فيها كل جماعة ، وكذلك الظروف الطبيعية والجغرافية التي تحيط بكل بيئة من هذه البيئات ، وكذلك ما تزاوله كل جماعة من أعمال وما تقوم به من مهام

وظيفية ، وما تترك كل مهنة أو وظيفة من أثر في عقلية المشتغلين بها .

وكذلك حاجة كل طبقة إلى دقة التعبير وسرعته وإنشاء مصطلحات خاصة بصدد الأمور التي يكثر تكرارها في حياتهم وتستأثر بقسط كبير من انتباههم ، وما يلجأون إليه من استخدام مفردات في غير ما وضعت له أو قصرها على بعض مدلولاتها للتعبير عن أمور تتّصل بصناعاتهم وأعمالهم . فمن الواضح أن هذه الأمور كلها من شأنها أن تخرج بالكلمات عن مدلولاتها الأولى وتوجّه معانيها إلى كل طبقة ، وفي كل بيئة وفي كل جماعة وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها .

ويدخل في موضوع التغير الدلالي وأثر البيئة عليه استحداث كلمات جديدة في اللغة دعت الحاجة في الغالب إلى استحداث تسمية جديدة لها فأي مستحدث مادي أو معنوي أو أي اختراع جديد يجب أن نجد له لفظاً دالاً عليه فأي نظام حديث في الشؤون الإجتماعية أو الإقتصادية أو غيرهما ، أو نظرية جديدة أو فلسفة ، ويتم ذلك بإحدى الوسائل التالية :

أ ـ الأخذ من اللغات الأخرى : مثل تلغراف ، تلفون ، تلفزيون ، جيولوجيا ، مورفولجي ، ابونيه ، كرنيه ، تواليت ، صالون ، اتوبيس ، تاكسي ، ترين (القطار) .

ب ـ انتقال الكلمة من لغة إلى لغة ومن لهجة إلى أخرى . غترة في الكويت ـ غطاء الرأس ، جوته بمعنى الحذاء ، شو ، أي شيء ، عيش ـ الأرز ، بندورة في فلسطين بمعنى الطماطم في مصر ، الربيان بمعنى الجمبري في مصر . وفي صعيد مصر يقولون دبل بدلاً من جبل (ديت) بدلاً من جيت .

جـ ـ إحياء الأدباء والعلماء لبعض الكلمات المهجورة في اللغة مثل (مفازه) (فيافي) (اليم) .

د ـ تفرع الكلمة في صورة تلقائية أو مقصودة من الكلمات المستخدمة في اللغة ويتم ذلك عن طريق الإشتقاق بأوسع معانيه ، أو تكوين كلمة من كلمتين أو أكثر أو تسمية شيء جديد باسم مكانه أو مخترعه أو نحت أفعال من أسماء جامدة مثل: تبغدد من بغداد وإطلاق اسم فورد على نوع من السيارات لأن اسم صاحب المصنع فورد .

وإطلاق شركة جيني للزيت لأن صاحب الشركة هو بول جيني .

وكما أن الدلالات تتغير وتستحدث دلالات جديدة فهناك ألفاظ تنقرض وتختفي من الإستعمال وذلك يرجع للأسباب التالية : ـ

(أ) إنقراض مدلول الكلمة نفسه أو عدم استخدامه ويصدق هذا على الملابس والأثاث ووسائل النقل ، والنظم الإجتماعية ، وقد اختفى من اللغة العربية كثير من الألفاظ الدالة على نظم جاهلية قضى عليها الإسلام كالمرباع ، والصرورة ، والنوافج ، والرمي بالسهام ، ووأد البنات.

(ب) انعزال الكلمة وعدم ارتباطها بفصيلة من الكلمات معروفة الأصل متداولة الإستعمال ، فانعزال الكلمة أي عدم اتصالها بأسرة لغوية معروفة لا يقف أثره عند تعريض مدلولها للإنحراف عن وصفه الأصلي بل يعرضها للفناء ، مثل لفظة ششمه ، التي كانت تطلق على (الحمام) أو (بيت الخارج) .

(جـ) ثقل الكلمة على اللسان أو عدم تلاؤم أصواتها مع الحالة التي انتهى إليها تطور أعضاء النطق عند الانسان ، فإن هذا العامل لا يقف أثره عند تعريض أصواتها للإنحراف عن مخارجها الأولى بل قد يعرضها للإنقراض .

وبعد فإن هذا يثبت ويبيّن لنا أن اللغة العربية تتغيّر دلالتها وتنمو ألفاظ جديدة وتندثر منها ألفاظ أخرى وهذا كله خاضع لتطور البيئة والمجتمع والحياة والعصر الذي يعيشه الإنسان ، وكذلك انتقال الأفراد من بيئة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر ، وهذا بالضرورة يؤدي إلى ظهور دلالات جديدة وألفاظ جديدة استحدثت نتيجة الحاجة الماسّة إليها كي تساعد الإنسان على التعبير عن مخترعاته ومستحدثاته ، وكي تساير تطوّر الحياة البشرية .

« أثر الحضارة في تغير لغة الفرد »

بعد أن رأينا اثر البيئة المباشر في تطور وتغيّر الدلالة لا بد لنا من أن نبحث أثر الحضارة في تغيّر اللغة وبالتالي أثر الحضارة على الفرد والمجتمع وأثر ذلك في تغيّر لغة الفرد طبقاً لما يستجدّ من ألفاظ ونتيجة للمخترعات الحديثة وأثراً مباشراً للحضارة الجديدة .

لقد قلت أن اللغة كائن حي ينمو ويتطوّر ولا يستطيع الفرد أن يلم باللغة في عصر واحد وذلك لأن اللغة خاضعة للتطوّر الذي يحدث في العصر ولما يستجد في هذا العصر من اكتشافات أو اختراعات فلا بد لهذا من ألفاظ لتدل عليها . إذن فإن لغة الفرد في تغيرّ دائم ومستمر وأن محصوله اللغوي قطعاً يزداد عصراً بعد عصر نتيجة لما تعلمه من ألفاظ جديدة لمسميّات حديثة ، فهو إذن يسمع ألفاظاً جديدة يضيفها إلى ما يعرفه .

وفي كتاب اللغة والمجتمع للدكتور السعران : يقول الدكتور السعران : « إن الفرد في كل تجربة من التجارب الهامة التي يخضع لها يسمع ما لم يكن قد سمع . ولسنا في حاجة إلى أن نذكر أنه في كل حال من هذه الأحوال لا يسمع مفردات جديدة فحسب ، ولكنه يسمع كذلك تعبيرات جديدة ، وطرائق في الكلام حديثة »[1] . إن الصبي في المدرسة يتّصل بزملاء له يختلفون عن طبقته سناً وتجربة فيسمع من أولاد من هم أغنى من ذويه كلمات وعبارات لا يعرفها ، ويسمع من أولاد من هم أدنى من أهله مستوى كلمات وعبارات لم يكن له بها علم أيضاً . بل أنه يسمع من أولاد نظراء أهله ولو كانوا مثله سناً ، كلمات وعبارات لم يسبق له أن يسمعها من أبيه أو أمه أو من أخوته الكبار وسائر من اتّصل بهم من قبل .

هذا بالإضافة إلى ما يسمعه من جديد عن الألفاظ المتعلقة بالدراسة ونظامها ، وبالسلوك الذي يفرض عليه وما إلى ذلك ، وهكذا فلغة الفرد الواحد في زمن من الأزمان

(١) اللغة والمجتمع رأي ومنهج د. محمود السعران ص ٣٣.

تختلف عن لغته فيما سبق هذا الزمان وفيما لحقه أو يلحقه ، لأنه يكتسب كما قلت ألفاظاً جديدة ومعارف جديدة ومدلولات جديدة لم يكن يعرفها من قبل ذلك مثل : القطار ، السيارة ، التلفون ، التلغراف ، التلفزيون ، الراديو ، المدفع ، المستنقع ، الإنعزاليون ، القمر الصناعي ، المركبة القمرية ، تعدد المنابر ، تعدد الأحزاب ، الحرية ، الإستعمار الثقافي ، الصهيونية والعنصرية ، الآلة الكاتبة ، الكمبيوتر ، الحاسب الالكتروني ، الخ من الألفاظ الجديدة التي تدل على مخترعات حديثة لم يكن على علم بها من قبل .

وهذا كله له دور في إثراء اللغة . وفي تطورها وتغير دلالتها . وهذه بالنسبة للفرد أما الجماعة أو الطبقة نجد أنها خاضعة هي الأخرى لنفس هذه العوامل لأن الفرد عضو في هذه الجماعة أو الطبقة .

وكما أن لغة الفرد علامة مميزة له كذلك أن كل طبقة في المجتمع لها ما يميزها عن الطبقة الأخرى في استعمال الألفاظ والتعابير ، ففي الجماعة الواحدة تختلف لغة المتعلمين عن لغة الأميين ، والمتعلمون يختلفون لغة فيما بينهم باختلاف درجة تعلمهم وباختلاف أعمالهم ووظائفهم ومهنهم ، وباختلاف درجة ثرائهم .

ولغة الصيادين تختلف عن لغة النجارين وعن لغة الحدادين وكل من هذه تختلف عن لغة طلبة المدارس مثلا ، أو عن الموظفين الحكوميين .

وكذلك للدين أثره في اللغة فلغة المسيحيين تختلف عن لغة المسلمين أو اليهود مثلا من أفراد نفس الجماعة الكلامية .

إن وجود طرائق مختلفة من الحديث تميز طائفة من طائفة في الجماعة التي تتكلم لغة مشتركة حقيقة معروفة ، وهي قائمة في كل مجتمع ، ونحن نصنف الناس على أساس منها أن التغييرات التي تطرأ على أية لغة مشتركة حسب المستويات الإجتماعية يسمى كل منها (لهجة طائفية) (أو لهجة طبقية) .

ومن ألوان اللهجات الطائفية الموجودة في كل مجتمع تلك التي تسمى اللهجة السرية ، أو الكلام السري ، والمقصود بها تلك اللغة التي تستعملها طائفة تخشى سلطة المجتمع وتهرب من عقابه وتحاول أن تخفي عنه أمرها وذلك لهجة اللصوص ، ولهجة رجال العصابات ، ولهجة الحشاشين ، ومن إليهم ممن يتعاطون مخدرات يحرمها

مجتمعهم ، فالملاحظ أن كلاً من هذه الطوائف وأشباهها تصطنع مفردات وتعبيرات لا يعرف معناها من ليس منها أو من لم يتصل بها ويكشف عنها ، والذي تلجأ إليه هذه المفردات في الأغلب أنها تعطي بعض الكلمات المستعملة في اللغة المشتركة دلالات جديدة وتعتمد على الاستعمالات المجازية . وقد تستعمل كلمات مأخوذة من لغات أخرى أجنبية محرفة أو غير محرفة ، وقد تخترع بعض الكلمات والتعبيرات اختراعاً ، وأمثلة ذلك أن بعض الحشاشين يستعملون كلمة (سكر) أو (الصنف) بدلا من (حشيش) ، أو كلمة (غرزه) للدلالة على المكان الذي يجتمع به الحشاشون .

وهكذا نجد أن كل طبقة لها ما يميزها من الألفاظ المستعملة فيما بينها وكذلك نجد أن لكل مهنة أو صنعة أو وظيفة أثر كبير في الألفاظ المستعملة من قبل الأفراد ، وهذا بالتالي يضيف إلى اللغة مدلولات جديدة لم تكن معروفة من قبل .

ويقول الدكتور محمد المبارك في كتاب «فقه اللغة » وخصائص العربية : «إن ما يعتري الكائنات الحية من تبدل وتحول قد يعتري كذلك الألفاظ فتتغير من ناحية شكلها ومبناها ، كأن تتغير حروفها وأصواتها أو صيغتها وبناؤها أو من ناحية معناها »[1] .

فقد تنتقل الكلمة من معنى إلى آخر أو تضيف إلى معناها معنى آخر جديد دون أن تترك الأول فتتعدد بذلك المعاني التي تدل عليها وتستعمل في أي واحد منها على حسب الأحوال والمقامات ، والغالب أن يحصل هذا التبدل على مر الأيام وتقلبات العصور ويسمى في هذا الحال تطوراً لأنه انتقال بالكلمة من طور إلى طور .

ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة : أن كلمة طعن كانت تستعمل في العصر الجاهلي للضرب بالرمح ، ثم استعملت بعد الإسلام في علم الحديث . والرواية . فيقال فلان مطعون في روايته ، ثم استعملت في العصر الحديث بمعنى قضائي خاص كالطعن في الدعاوي والانتخابات .

وبقيت هذه المعاني كلها ملازمة للكلمة ويعين أحدها سياق الكلام . ومثلها كلمة السلوك فهي اصطلاح عند الصوفية منذ العصر العباسي واصطلاح حديث في علم النفس واصطلاح مدرسي يفيد الدلالة على أخلاق التلميذ .

إن هذه المعاني التي تتوالى على الكلمة الواحدة قد ينسخ الثاني منها الأول والتالي

(١) فقه اللغة وخصائص العربية : د. محمد المبارك ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

السابق كالبأس بمعنى الحرب ، والحج بمعنى القصد والزيارة ، وبندر أن نستعمل الألفاظ بغير معانيها الجديدة ، ولكن الحالة الغالبة أن يضاف المعنى الجديد إلى القديم فتجتمع في الكلمة الواحدة معان كثيرة . وتعددها ناشيء إما عن اختلاف الزمن الذي استعملت فيه ، أو اختلاف بيئة القائل أو طبيعته أو مهنته ولذلك كان من الضروري لتحديد معنى الكلمة معرفة العصر أي تاريخ النص والبيئة التي ينتمي إليها .

فكلمة منطق في الجاهلية وصدر الاسلام تفيد معنى الحديث والكلام ، وفي العصر العباسي وخاصة لدى علماء الكلام والفلسفة تفيد معنى القياس العقلي المقتبس من اليونان ، ولفظ الترجمة استعمل بمعنى العنوان ومنها قولهم (فقه البخاري في تراجمه) أي في عناوين أبواب كتابه في الحديث . واستعملت بمعنى تاريخ الرجال وأحوالهم . ومن ذلك كتب التراجم ، واستعملت بمعنى النقل من لغة إلى أخرى . ومنه الترجمان .

والزميل : كان معناها الرديف على البعير أو الذي يعمل مع صاحبه ثم غدت تفيد في العصر الحاضر الرفيق في العمل أو المهنة ، وكان المعنى الخاص نسبي وإن كان المعنى الجديد يشمله لأنه أعم .

وهذه المعاني المجتمعة في الكلمة الواحدة يتفرع بعضها من بعض وتتصل بالمعنى الأصلي للكلمة بنوع من الصلة .

فمنها المعنى الاشتقاقي أو الأصلي أو التاريخي وهو أقدم تلك المعاني وأولها اتصالاً بالكلمة واقتراناً بها ، وعنه تتفرع المعاني الأخرى ، وقد يبقى هذا المعنى مستعملا مع المعاني الأخرى أو يكون منسياً مهملاً . وأكثر المعاني الأصلية أو الاشتقاقية في العربية باقية مستعملة .

أقول أن المعاني المختلفة التي تحملها الكلمة خلال العصور وفي مختلف البيئات تبقى كامنة فيها يظهر أحدها الاستعمال في نص معين وتبقى المعاني الأخرى مخفية إلى حين استعمالها فتظهر . وهذا ما يؤكد لنا أن المعاني في تطور دائم مسايرة للأحداث متطورة مع العصر والحضارة والحاجة .

التغيرّ الدلالي والعلاقة بين اللفظ والمعنى

بعد أن تحدثنا عن العوامل المؤثرة في تحديد عمر الدلالة اللغوية وناقشنا العوامل المختلفة المؤثرة بذلك فإنني سوف أبحث في التغير الدلالي وعلاقة اللفظ بالمعنى الدال عليه موضّحين بذلك الرابطة بين الألفاظ ومعانيها وسوف نعرض للآراء المختلفة بخصوص هذا الموضوع منتهين ما نراه صواباً وحقيقة بالنسبة لموضوع بحثنا.

لقد اختلف اللغويون العرب والغربيون في طريقة دراسة علم اللغة وانهم لم يتفقوا على منهج واحد في دراسة علم اللغة « بل أن هناك اختلافات كثيرة بينهم في بعض المسائل العامة وفي كثير من المسائل التفصيلية ، ويرجع هذا الإختلاف إلى (المذهب الإجتماعي الذي ينتمي إليه هؤلاء اللغويون ، أو أولئك ، كما يرجع إلى اختلاف التأثير الذي عرض بكل منهم)[1]

فاللغويون الروس ينظرون إلى (اللغة) نظرة تختلف عن تلك التي يذهب إليها اللغويون في الغرب الرأسمالي ، كما أن دي سوسير قد تأثّر في معالجته للغة بمذهب اميل دوركايم في الإجتماع في حين تأثر بلومفيلد بمذهب السلوكيين ، ويقول الدكتور السعران : « ولقد يختلف المحدثون من أصحاب الدراسة اللغوية الجديدة في مسائل عدة ، ولقد يختلفون في مسائل جوهرية كتعريف اللغة نفسها أو تعريف (الكلمة) أو (الجملة) ، ولقد يختلفون في طريقة أخذهم لدراسة اللغة في جوانب معينة ، وقد يتباينون في غير ذلك ، ولكنهم يتفقون جميعاً في أن دراساتهم الجديدة (علمية) أن ما بينهم من اختلاف وافتراق وتباين هو مما ينشأ بين أصحاب أي دراسة لا تتردد في إضفاء صفة العلم عليها »[2] .

(١) فقه اللغة في الكتب العربية د. عبده الراجحي ص ٢٢ ـ ٢٣ .
(٢) المرجع السابق.

وبينما يقسّم الدكتور السعران مستويات (علم اللغة) إلى ثلاثة مستويات صوتية ، ونحوية (حيث يتكون النحو من الموفولوجيا والنظم) ودلالية، يجعلها الدكتور كمال بشر خمسة : ـ

ـ علم الأصوات ،
ـ والصرف ،
ـ والنحو ،
ـ والدراسات المعجمية ،
ـ وعلم المعنى[1]

وفي تعليق الدكتور كمال بشر على كتاب الدكتور السعران فيما يختصّ بعلم الأصوات حين جعله الدكتور السعران شاملاً لعلمي phonology, phonetics يذكر أن هذا الإتجاه نحو عدم التفريق بين هذين الفرعين هو ما سارت عليه المدرسة الإنجليزية ، وهو ما يعارض إتجاهاً أو اتجاهين آخرين مشهورين .

الإتجاه الأول مرتبط كل الإرتباط بفكرة الثنائية في الكلام الإنساني ، بفكرة تقسيمه إلى ما سمّوه « اللغة » Lougue وإلى ما سمّوه (الكلام الفعلي) Parol وهذه نظرية دي سوسير ، والرأي عند أصحاب هذه المدرسة هو أن الفوناتيك phonetics وظيفته دراسة أصوات الكلام أي دراسة الأصوات الفعلية الحقيقية . أما الفونولوجيا فتتناول أصوات اللغة ، أي الوحدات الصوتية للغة المخزونة في ذهن الجماعة المعينة[1] .

أما **الاتجاه الثاني** فينظر إلى الفوناتيك كما لو كان شيئاً لا يندرج تحت علم اللغة ، أو بحسب ما يفهم من كلامهم ليس فرعاً من علم اللغة ، إنما هو علم له استقلال من نوع ما ، ولكن الدراسات اللغوية في حاجة إليه حاجتها إلى بعض العلوم الأخرى .

ومن ثم يستعمل هؤلاء الدارسون مصطلحين مستقلين ومختلفين للدلالة على وجهة نظرهم . فهناك أولا المصطلح Linguistics (علم اللغة) ولا يشمل (الفوناتيك) وفي مقابل هذا يستعملون phonetics للدلالة على علم الأصوات بوصفه علماً مستقلاً . أما إذا أرادوا الجمع بين علم اللغة وعلم الأصوات كليهما فيطلقون عليهما ، (وبالطبع على غيرهما) Linguisticsinces وهي عبارة تساوي « علوم اللغة بصيغة الجمع »[2] .

(١) المرجع السابق ص ٢٣ ـ ٢٤ .
(٢) دراسات في علم اللغة د. كمال بشر ص ٢٢ ـ ٢٣ القسم الأول

ويقول الدكتور كمال بشر في موضع آخر على « علم الدلالة » : « علم الدلالة بالمعنى العلمي الدقيق أحدث فروع علم اللغة كلها فلم يحظ بشيء من الإهتمام إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحاضر . وهو في الوقت نفسه أصعب المستويات اللغوية وأشقّها على نفوس الدارسين . ذلك لأنه يعرض لمشكلة المعنى[1] والمعنى اللغوي كما هو معروف موضوع يتعلق بكل شيء في حياة الإنسان ثقافته وخبراته وقيمه ومثله وعاداته وتقاليده ومهنته . . الخ . وليس من السهل على الدارس أن يحدّد هذا كله ويتعرف عليه تعرفاً دقيقاً إلا بدراسة طويلة شاقة قد تستغرق حياته كلها .

لهذا نجد أن هناك بعض اللغويين من أراد إخراج مشكلة المعنى نهائياً من البحث اللغوي . ويرى فريق آخر أن علم الدلالة نفسه ليس في حقيقة الأمر من فروع علم اللغة وإنما هو حقل للدرس يرتبط بميادين أخرى كثيرة كالمنطق والفلسفة وعلم النفس والإجتماع الخ .

ولا بد أن نقف هنا قليلاً أمام هذه النظرية التي تريد فصل علم المعنى عن اللغة . ونقول أن علم المعنى هو قمة الدراسات اللغوية وأن اللغة أياً كانت تخدم المعنى . فالمعنى هو نهاية المطاف لأية لغة ، وأن اللغة تعبّر عن معنى في نفس المتكلم والسامع ، إذن لا بد أن يكون المعنى مرتبطاً باللغة ارتباطاً دقيقاً ، وأقول أليس المنطق والفلسفة والإجتماع علوم كلها تكتب وتدرس بواسطة لغة ونعبر عن هذه العلوم بهذه اللغة ، وأقول أيضاً أن اللغة ظاهرة اجتماعية حضارية فلا يمكن فصلها عن معناها ولا يمكن إيجاد حضارة بدون لغة وهذا ما يمتاز الإنسان به عن غيره ، إذ إن لغته استطاعت أن تنتج حضارة ، ولم نسمع عن حضارة مجموعات الحيوانات المختلفة أو غيرها من الكائنات الحيّة .

وبعد أن عرضنا الدراسات المختلفة في أنواع مختلفة من المدارس اللغوية الغربية الرأسمالية والروسية الشيوعية نعرض هنا للدراسات اللغوية عند الهنود . يقول الدكتور أحمد مختار في كتابه : البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب : لقد جذب موضوع العلاقة بين اللفظ والمعنى اهتمام الهنود ربما قبل أن يجذب اهتمام اليونانيين . وقد بدأ جمهور كبير من فلاسفتهم المناقشة بأن تحدثوا عن ثلاثة أقسام مختلفة في جوهرها هي ما يسمى بالكلمة word ، الإدراك conghition والمحتوى content[1]

(١) نفس المرجع السابق ص ٣٢.
(٢) البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، د. أحمد مختار ص ١٠١ دار الثقافة ، بيروت ، سنة ١٩٧٢ .

ففي حين تعتبر الكلمة مركّبة من وحدات صوتية ضمّ بعضها إلى بعض فان الشيء المحسوس (بقرة) مثلاً ينظر إليه باعتباره نوعاً معيناً من الحيوانات له أعضاء معينة ، أما الإدراك أو التصوّر فهو الربط بين اللفظ والشيء المدلول عليه . وهو يستلزم معرفة سابقة بها .

ولكن إذا كان الدال والمدلول عليه أمرين متباينين وليس هناك علاقة أساسية بينهما ، فكيف يمكن للفظ أن يدل على فكرة معينة أو على شيء ما؟ .

لقد اختلفت آراء الهنود في الإجابة على هذا السؤال واصطبغ بعضها بصبغة لاهوتية أو فلسفية .

أ ـ نجد بعضهم يرفض فكرة التباين بين اللفظ والمعنى قائلاً : إن كل شيء يتصور مقترناً بالوحدة الكلامية wordelement الخاصة به أو الدالة عليه ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، وعلى هذا فنحن نعتبر الكلمة عنصر من العناصر المكونة للشيءObject تماماً ، كما نعتبر الطين السبب المادي أو الرئيسي لكل المواد الترابية ، فكما أن تصور الطين مشترك في كل إدراكات الأشياء التي يعرف أنها معمولة من الطين ، مثلا الإناء والصحن والقدر ونحوها ـ فكذلك تصور الوحدة الكلامية[1] .

ب ـ ونجد بعضاً آخر يصرّحون بأن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة وفطرية أو طبيعية وربما كان أصحاب هذا الرأي هم أنفسهم الذين يعتبرون نشأة اللغة على أساس محاكاة الأصوات الموجودة في الطبيعة .

وأياً كان الأمر فقد اعترض على هذا الرأي بأن الكلمة الواحدة قد تؤدي إلى معنيين في مكانين فكيف نقول أن العلاقة بين اللفظ والمعنى قديمة وفطرية ومثلوا لذلك بكلمة caurd التي تعني (لصاً) وفي بعض مناطق الهند تعني (أرزاً مطبوخاً) أقول هذا لا يضير العلاقة بين اللفظ والمعنى ، فكلمة caurd التي تعني لصاً في منطقة ما من الهند يجب أن يكون هناك علاقة بين اللفظة ومعناها ، وكذلك نفس الكلمة التي تعني أرزاً مطبوخاً فلا بد من وجود علاقة تربط اللفظ بالمعنى ، وتدور جماعة منهم على هذا الإعتراض بقولهم أننا ندعي أن هذه العلاقة بين اللفظ والمعنى قديمة فطرية وندعي كذلك أنها كانت محددة بأداء اللفظ لمعنى واحد .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٢ .

أما تعدّد معاني بعض الكلمات فإنه لا يهدم قاعدتنا ، أو على الرغم من أن خاصة التعبير واحدة ومحصورة فهي قابلة للتنوّع تبعاً لتنوع العلاقة العرفية من بيئة لبيئة . ومعنى هذا أن أصحاب هذا الرأي لا يرفضون فكرة الإستعمال الإصطلاحي رفضاً باتاً وإنما يؤخرونه لمركز ثانوي ويعتبرونه عاملاً مساعداً .

جـ ـ أما الـ Vaisesikas [1] وهم جماعة من الفلاسفة اللغويون الهنود ـ فيقولون بوجود نوع من العلاقة الضرورية وغير المتنوعة بين اللفظ والمعنى شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان وهم يشرحون وجهة نظرهم قائلين : لا بد من الإعتراف بأن كلمة معينة تملك نوعاً من العلاقة مع فكرة معينة مدلول عليها بها وإلا فما السبب في ربطها بها ؟ . إننا نتصور النار والدخان لأنهما يتفقان في علاقة السببية والأثر ، ولكن ماذا يمكن أن تكون العلاقة الموجودة بين الكلمة والشيء الذي تدل عليه ؟

إنه من الواضح أنه لا توجد علاقة طبيعية بينهما كالعلاقة بين النار والدخان . وإنما العلاقة اصطلاحية أو عرفية فكلمة (بقرة) لا صلة لها بالشيء المسمّى مثل الدخان والنار فالفرق بينهما أن الأخير علاقته طبيعية ومستقلة عن إرادة الإنسان . أما الأول فعلاقته عرفية أقامها اصطلاح مجموعة معينة ، أو فرق آخر هو أن المعنى المشار إليه بكلمة ما يختلف من مكان إلى مكان بخلاف العلاقة بين الدخان والنار التي هي ثابتة لا تختلف من وقت لوقت ولا من مكان لمكان . ومعنى هذا أنه على الرغم مما قد يبدو من تطرف في رأي هؤلاء إذ يزعمون وجود علاقة ضرورية أو لزومية بين اللفظ والمعنى فإنهم لم يبعدوا عن الواقع حين قرّروا أن هذه العلاقة عرفية اصطلاحية ناشئة عن إتقان الجماعة اللغوية .

ذ ـ وأما الـ Naiyaykes [2] وهم جماعة أخرى من الفلاسفة ـ فيرفضون فكرة وجود أي علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى كما يرفضون وجود علاقة طبيعية بينهما ويعتبرون أي محاولة من هذا النوع تعسفاً وتجاوزاً للحد المعقول وهم يرون أن الصلة بينهما مجرد علاقة حادثة مرتجلة . ولكن طبقاً لإرادة إلهية ومع هذا فعلى الرغم مما يبدو في آراء هذه المدرسة من مسحة علمية ، فإنهم لم يستطيعوا التخلص من العامل الميتافيزيقي حين قرروا أن المعنى الأساسي للفظ لم يأت عن طريق الإصطلاح وإنما جاء عن طريق الإله .

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٣

(٢) المرجع السابق .

ومن ناحية أخرى ، فعلى الرغم مما يبدو من وفاق بين أصحاب هذا الرأي وفلاسفة اليونان في رفض وجود علاقة طبيعية أو ضرورية بين اللفظ والمعنى فالخلاف بين الفريقين ما يزال كبيراً . فالأولون يرون أن هذه العلاقة من صنع الله في حين يرى الآخرون أنها عملية اجتماعية اصطلاحية .

وأقول هنا بما أن اللغة اجتماعية اصطلاحية فلا بد أن تكون العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة اجتماعية إصطلاحية تعارف عليها أبناء المجتمع الواحد . وأقول لو أن اللغة كانت وقفية لما حدث هذا التطور في اللغة ودلالتها ، ولبقيت على حالها ، ولا أريد أن أدخل في حلقة الخلاف بين من يقول باصطلاحية اللغة ومن يقول بأنها من عند الله أو توفيقية . ولكن ألمس الجانب الهام في هذا وهو ما يخدم البحث خاصة من حيث الدلالة وتطورها وتغيّرها ، فالواضح لي والذي أثبتته الأبحاث أن اللغة اجتماعية اصطلاحية ، ولهذا نجد أن اللغة في تطوّر وأن الألفاظ والدلالة في تغيّر من عصر إلى عصر ومن حضارة إلى حضارة ومن جيل إلى جيل ، نقول أننا نعرف اليوم ألفاظاً ودلالات لم نكن نعرفها من قبل وهذا دليل قاطع على أن اللغة في تطوّر وتغيّر .

وجملة القول فالعلاقة بين اللفظ والمعنى هي علاقة بين لفظ ومدلول علاقة تمكن كل واحد منهما من استدعاء الآخر .

عندما نقول كلمة (طاولة) فإن الذهن يستحضر مدلول هذه اللفظة ، وهو عبارة عن صورة لهذه القطعة من الخشب محمولة على أربعة أرجل خشبية يستعملها الإنسان في حياته اليومية ، واصطلح الناس إسماً لها هو المنضدة ـ أو الطاولة ـ .

فالعلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة أساسية ضرورية كي تؤدي اللغة مفهومها وما ترمز إليه لأن اللغة لو انفصلت عن معناها لأصبحت قوالب مفرغة لا فائدة منها ، إذ أنه لا بد لكل لفظة من معنى تدل عليه حتى تكتسب هذه اللفظة قيمة معنوية لأنها تؤدي عملاً ما وتدل على معنى ما في حياة الإنسان والمجتمع .

أهمية البحث في دلالة الألفـاظ

بعد أن تحدثنا عن علاقة اللفظ بالمعنى وأهمية هذه العلاقة وما توصلنا إليه من أنه لا بد أن يكون هناك مدلول تدل عليه الألفاظ وإلا لأصبحت هذه الألفاظ قوالب فارغة لا حسّ فيها ولا حراك لأن القيمة الحقيقية للألفاظ هو أداء معنى وتعبير عن إحساس وأفكار المتكلم واستجابة من السامع لهذا الكلام وفهم ما سمعه وإلا فإن اللغة تكون عاجزة عن أداء وظيفتها وهي التفاهم بين أفراد المجتمع الواحد المتلاغين بلغة واحدة.

وبعد: تتوقف حياة الإنسان في كثير من القضايا على فهم النصوص فهماً صحيحاً ودقيقاً، ففي ميدان السياسة والحقوق والقانون مجالات كثيرة للإختلاف على دلالة الألفاظ، وفي المعاهدات الدولية والإتفاقات التجارية والإقتصادية، وفي ميدان الدين وخاصة الفقه الإسلامي تحتل النصوص موقفاً خاصاً ويتعلق على فهمها تحديد الأفكار في العقائد والأحكام في قضايا المعاملات والعبادات، ويقع لذلك الاختلاف في فهم مراد الشارع وتحديد معاني الألفاظ في القرآن والحديث.

ففي مجال السياسة نجد أقرب مثال على دلالة الألفاظ ما جاء في قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بخصوص العدوان الإسرائيلي على الأراضي العربية عام ١٩٦٧ والقاضي بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة فكلمة Land بمعنى الأرض ترجمها المترجم الإنسحاب من أرض عربية لأن أداة التعريف the لم تكن مسبوقة بكلمة Land ومن هنا جاء الإختلاف على الإنسحاب هل هو من كل الأرض المحتلة أم من بعضها؟.

أما في مجال الدين فقد عنى علماء أصول الفقه بكثير من مسائل الألفاظ ودلالاتها وبحثوا في العام والخاص والحقيقة والمجاز والمشترك والمترادف مع أنها من مسائل علم اللغة لأن استنباط الأحكام من النصوص منوط في كثير من الأحيان بتحديد الرأي في فهم هذه المسائل اللغوية وتمحيصها وتحليلها[1].

(١) فقه اللغة وخصائص العربية د. محمد المبارك ص ١٥٩.

ولابن جني في هذا الباب كلام يدل على نفاذ فكر ودقة فهم وذلك قوله : « إن أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها ، وحاد عن الطريقة إليها ـ فإنما استهواه ضعفه في اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافة بها »[1] .

وأصل الإعتقاد التشبيه لِلّه تعالى بخلقه فيها. وذلك أنهم سمعوا قول الله سبحانه وعلا عما يقول الجاهلون علواً كبيراً ، (يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله)[2] وقوله عز اسمه (فأينما تولوا فثم وجه الله)[3] وقوله (مما عملت أيدينا)[4] وقوله (ويبقى وجه ربك)[5] وقوله (والسموات مطويات بيمينه)[6] ونحو ذلك من الآيات الجارية هذا المجرى.

وقوله في الحديث (خلق الله آدم على صورته) . حتى ذهب بعض الجهال في قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) إنها ساق ربهم ، ونعوذ بالله من ضعف النظر وفساد المعتبر[7] .

ونضيف إلى ما تقدم عن تعلق فهم النصوص ببحث دلالة الألفاظ أن تذوق النصوص تذوقاً سليماً ، ومعرفة مواقع الألفاظ ، ومعرفة مواطن الجمال ومواضع الدقة ، وبراعة القول فيها ، يمكن أن يعينّ على حصول ملكته وتنميتها الإطلاع على هذه المباحث اللطيفة من علم للغة . مباحث دلالة الألفاظ وما يكون للفظ من معانٍ متعددة تتناوب في الظهور بحسب سياق الكلام وما يلقيه الإستعمال من ظلال على اللفظ وما يتعاقب عليه خلال العصور من معانٍ وبذلك يعين هذا النوع من علوم اللغة النقد الأدبي على آداء وظيفته بما يمده به من نظرات وفيرة في قوانين الألفاظ.

على أن البحث في معاني الألفاظ لا تقتصر فائدته على مثل هذه الفوائد العملية والثمرات الأدبية فحسب بل أن له مع ذلك نتائج علمية وقيمة نظرية ، ذلك أنه طريق لكشف بعض الحقائق المتعلقة باللغة ، وصلتها بأهلها ، بعقليتهم وبيئتهم وعاداتهم . فإن فهم لغة من اللغات يتوقف بداهة على معرفة مفرداتها وتراكيبها . وليس من اليسير

( ) الخصائص: ابن جني جـ ٣ ص ٢٥٠ .
( ) سورة الزمر آية ٣٩
(١) سورة البقرة آية ١١٥ .
(٤) سورة يس آية ٧١.
(٥) سورة الرحمن آية ٢٧ .
(٦) سورة الزمر آية ٦٧ .
(٧) الخصائص : ابن جني جـ ٣ ص ٢٥٠ .

فهم مفردات الألفاظ ومعرفة ما تنطبق عليه وما يدخل في مدلولها وما لا يدخل فيه ، وما أكثر ما ينخدع المرء بظاهر اللفظ في لغة من اللغات حتى يدخل تحت هذا اللفظ ما لا يدخل فيه أهل تلك اللغة أو أهل عصر بعينه .

وقد ينخدع باستعمال عصره للفظ من الألفاظ فيحمل هذا اللفظ حين يرد في نص قيل في عصر آخر المعنى نفسه ـ على أنه قد يختلف اختلافاً كبيراً . ولهذا كان من العسير أن يقال لفظ في لغة اللفظ المقابل له في لغة أخرى في جميع المعاني بحيث يتطابقان في جميع مشتملاتهما وجزئياتهما ومن هنا تأتي استحالة الترجمة الحرفية .

وهذا يقرر ويؤكد أهمية البحث في التغير الدلالي للألفاظ وكذلك يؤكد وجود تطور مستمر على مر العصور والأزمان وفي مختلف البيئات للألفاظ ودلالتها .

لهذا فإن علم الدلالة علم هام جداً لأنه يمسّ حياة الإنسان في مختلف مناحيها الثقافية والإجتماعية والإقتصادية والصناعية والسياسية ، وما يمارسه الإنسان في حياته اليومية من أعمال فهو يكتسب في كل يوم معرفة جديدة وخبرة جديدة ويضيف إلى معلوماته معلومات جديدة في كل ما يتطور وفي كل ما يستحدث في العصر الذي يعيش فيه ، فيضيف إلى معرفته ألفاظاً جديدة لمستحدثات جديدة لم يكن على علم بها من قبل ويضيف دلالات جديدة لألفاظ كانت دلالتها قديمة أو يستحدث ألفاظاً قديمة لدلالات حديثة .

وهكذا نجد أن دلالة المعنى لها أهمية خاصة بالنسبة للإنسان في حياته فهو يعيش في مجتمع يتعامل مع أخوة له في هذا المجتمع ووسيلتهم الوحيدة هي اللغة ، الألفاظ، العبارات ولا بد لهذه من معان تدل عليها ولا بد من معرفة الإنسان معرفة تامة بهذه المدلولات وبهذه المعاني حتى يستطيع التعامل والعيش في هذا المجتمع وحتى يستطيع أن يعبّر عما يريد ويفهم ما يسمع .

دلالة اللفظ في المعجـــم

بعد أن عرضت للعوامل المؤثرة في التغيّر الدلالي وبحثنا قوانين التغيّر الدلالي وما يترتب على هذا التغير من ظهور دلالات جديدة نتيجة لهذا التغير والتطور . وقلت أن هذا التغير يرجع لعوامل مختلفة منها السياسي والإقتصادي والإجتماعـي ومـا يحـدث في العصر من تغيرات وتطورات ، وانتهيت إلى أهمية البحث في التغير الدلالي لأن الدلالة هي قمة الدراسة اللغوية وهي خلاصة ما يؤخذ من اللغة .

بعد هذا لا بد لنا من إعطاء فكرة سريعة عن المعاجم العربية ودلالة اللفظ في هذه المعاجم ، وهل استطاعت معاجمنا أن تساير تطور وتغيّر الدلالة أم بقيت ساكنـة على ما كانت عليه في العصور الأولى حين جمعت اللغة؟

نقول من المفروض أن المتكلم بلغته القومية لا يحتاج إلى شرح ألفاظها ولكن تمسّ الحاجة للمعاجم لأن اللغة كما عرفنا تتطوّر وتتغيّر عبر التاريخ وفي مختلف البيئات التي يعيش فيها أهلها . فتستحـدث ألفـاظ وتمـوت أخـرى ، وتختص فئـات مختلفـة بألفـاظ اصطلاحية مغلقة على غيرها من البشر كمصطلحـات الجنـدية والبحـرية والصناعـة ، والزراعة الخ . فيظهر في اللغة ما يسمى الغريب وهو يحتاج إلى المعجـم ليضبـط نطقـه ويشرح معناه ، فاللغة كما قلنا أصبحت تورث كالفكر وأصبح المعجم بالنسبـة لهـا هو الخزانة التي تحفظ هذا الميراث.

كذلك قد يخطر بالفكر معنى لا يجد الإنسان له لفظاً يناسبه فيما وعته ذاكرتـه من الألفاظ فيلجأ إلى نوع خاص من المعاجم يمدّه باللفظ الصحيح للفكرة التي يريد التعبير عنها .

ولن أستطرد في ذكر أنواع المعاجم التي ظهرت حتى الآن ، ولكن أكتفي بذكر أمثلة من هذه المعاجم متتبعاً معنى الكلمة بها موضحاً مدى حرص أصحاب هذه المعاجم على

النقل من بعضهم البعض ، وتأثر بعضهم ببعض .

فليس منهم من اتجه إلى البحث في تاريخ الألفاظ وتطورها جيلاً بعد جيل أو القيام ما قام به المحدثون في المعاجم من التعرض إلى الناحية التاريخية أو الاشتقاقية للّفظ أو الدلالة الاجتماعية للّفظ .

من أجل هذا كله تقدم أحد المستشرقين وهو (فيشر) بتقرير إلى المجمع اللغوي بيّن فيه عيوب المعاجم القديمة ومما يؤخذ عليها .

وما يعنينا هنا من هذا التقرير ما قرره (فيشر) بصدد البحث الدلالي للألفاظ ففي رأيه أن المعاجم القديمة قد اضطربت في شرح مدلولات الألفاظ واتصفت بعدم الدقة في هذا الشرح[1] .

كما اختلف أصحاب تلك المعاجم في مدلولات كثير من الألفاظ مما أدى إلى سوء الفهم لكثير من النصوص ، كذلك يأخذ (فيشر) على معاجمنا القديمة أنها خلت من البحث في تاريخ الكلمة وتطور الدلالة فيها وتسجيل أول استعمال لها وآخر من استعملها من الشعراء أو الكتّاب حتى أواخر القرن الثالث الهجري . حيث انتهت عصور الاحتجاج فلا بد من الدقة في تحديد الدلالات والتعرض للدلالات المتعددة للكلمة مرتبة ترتيبا تاريخيا وعقليا على حسب تفرعها بعضها من بعض[2] .

فالدلالة العامة تتطور عادة إلى دلالة خاصة ، والدلالة الحسية تتطور عادة إلى دلالة مجردة . وفي الحق نجد أن كثيرا من الألفاظ في المعاجم قد أهمل شرحها فجاءت دلالتها غامضة أو مبتورة وبعدت بهذا عن الدقة التي هي من أهم صفات المعجم الجيد ، فمن مصنفي المعاجم من كان يكتفي برمز (م) أمام الكلمة مشيرًا بهذا إلى أن دلالتها معروفة في حين أنها مجهولة ، ومنهم من قنع بوصفة الكلمة بعبارة تقليدية غامضة كقوله (نبات في الصحراء) او قوله (دويبه) أو (طائر) أو (موضع) أو نحو هذا من شروح مختصرة مبتورة لا تكاد تعتبر شيئا . والذي يهمنا في بحثنا هذا هو المعنى ونقسم المعنى إلى ثلاثة أنواع : ـ

(١) دلالة الألفاظ د. ابراهيم انيس ص ٢٤٤ .
(٢) انظر المعجم العربي نشأته وتطوره ، د. حسين نصار.

أ ـ المعنى اللغوي
ب ـ المعنى السياقي
جـ ـ المعنى الاجتماعي

أ ـ أما المعنى اللغوي فهو يشمل كل ما يمكن أن تدل به الأصوات اللغوية والتركيب اللغوي على المعنى[1] .

ب ـ المعنى السياقي : ما يوضحه سياق الحال ويشمل : ـ

أ ـ صفات المشتركين في الكلام مما يكون له تأثير :

١ ـ النشاط اللغوي للمشتركين
٢ ـ النشاط غير اللغوي للمشتركين (الصمت ، الضحك ، الاشارة)
٣ ـ الأشياء التي قد يكون لها تأثير .
٤ ـ أثر الكلام (هل كانت استجابة بالكلام أو بغير الكلام)

وهناك مثل فلسطيني لتوضيح هذه النظرية في دراسة المعنى فعبارة (الله يعوض عليك) لا تفهم لغير الفلسطيني إلا إذا شرحت في سياقها وتكون عناصر السياق : ـ

أ ـ بائع ومشتري
١) المشتري يطلب شراء شيء ويدفع الثمن .
٢) البائع يعطيه المطلوب ويقبض ثمن البضاعة ويقول له :
(الله يعوض عليك)
٣) ينصرف المشتري على أثر الكلام .

العبارة ذاتها (الله يعوض عليك) مستعملة في مصر بطريقة النطق المصرية ، فاذا شرحناها اختلفت عناصر السياق .

١ ـ شخصان يعرف أحدهما بأنه حزين جدا ، والآخر يحاول أن يواسيه في الحزن يقول له (الله يعوض عليك) (ما تزعلش نفسك)

٢ ـ الحزين : يقول عبارة مثل (الحمد لله)

وهكذا فان سياق الحال له تأثير مباشر على تحديد المعنى المقصود .

(١) المعاجم اللغوية د. محمد أبو الفرج ص ١٢ .

جـ ـ المعنى الاجتماعي :

وهذا هو المعنى الذي يفهمه الفرد في المجتمع من ألفاظ لغته ، وينفق معه على هذا الفهم بقية أفراد المجتمع ، ويتعلمه الأطفال إلى أن يكبروا فيفهموا لغة مجتمعهم .

ومن اللغويين من يجعل المعنى المعجمي محصورا في المعنى اللغوي ولكن العادة جرت على أن يوضح المعجم المعنى الاجتماعي وأن يجعله الأساس فيه ، وهو يوضح بعض المعنى اللغوي وخاصة ما يتركه النحو ما يكون شاذا ، وقد يشار فيه ما يوضح المعنى السياقي .

أقول أن لكل كلمة من كلمات اللغة لها دلالة معجمية اجتماعية ، تستقل عما يمكن أن توحيه أصوات هذه الكلمة أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدلالة الاساسية التي يطلق عليها الاجتماعية .

فكلمة (الكذاب) تدل على شخص يتصف بالكذب وتلك دلالتها الاجتماعية أقول أنه يجب أن توجه العناية في المعاجم إلى الدلالات الاجتماعية وأن تتخذها هدفا وأساسا لما للدلالة الاجتماعية من أهمية ولأنها تعطي المعنى الاجتماعي الذي يريده الفرد .

وأورد هنا مثالا لما اتفقت عليه المعاجم في شروحها وتفسيرها لمعاني الألفاظ مرتبة ترتيبا تاريخيا . فلو أخذنا كلمة (الرعاف) نرى ما جاء في شأنها بمعاجمنا القديمة مرتبة على النحو التالي :

١ ـ الجمهرة لابن دريد : رعف الرجل يرعف ، ويرعف رعفا والاسم الرعاف ، والرعاف الدم بعينه وأصل الرعف التقدم من قولهم فرس راعف أي متقدم فكان الرعاف دم سبق فتقدم

قال الشاعر الأعشى :

به يرعف الالف[1] اذا ارسكت غداة الرهان اذا النقع ثارا

(١) من جمهرة اللغة جـ ٢ ص ٣٨٠
الأنف هكذا في الجمهرة.

٢ ـ تهذيب اللغة للأزهري : وقيل للدم الذي يخرج من الأنف رعاف لسبقة علم الراعف .
وقال الليث الراعف أنف الجبل وجمعه الرواعف والراعف طرف الأرنبة .
ابو عبيد والأصمعي رعف (كمنع ونصر) .
ابو حاتم عن الأصمعي رعف (كمنع ونصر) .
ولم يعرف رعف ولا رعف في فعل الرعاف .

٣ ـ الصحاح للجوهري : (الرعاف) الدم يخرج من الأنف وقد (رعف) يرعف كنصر ينصر (ورعف) بضم العين لغة فيه ضعيفة .
والراعف : الفرس الذي يتقدم الخيل .
والراعف طرف الأرنبة وأنف الجبل .

٤ ـ (لسان العرب لابن منظور) الرعف : السبق : ورعفه يرعفه رعفا : سبقه .
والرعاف : دم يسبق من الأنف رعف يرعف ويرعف رعفا ورعافا .
ورعف ورعف قال الأزهري ولم يعرف رعف ولا رعف في فعل الرعاف .
قال الجوهري ورعف بالضم لغة فيه ضعيفة والراعف : الفرس الذي يتقدم الخيل .
والراعف : طرق الأرنبة والراعف أنف الاجبل .

٥ ـ القاموس المحيط للفيروزبادي : رعف كنصر ومنع وكرم وسمع رعف خرج من أنفه الدم ـ رعفا ورعافا كغراب .
والرعاف أيضا الدم بعينه ، ورعف الفرس كمنع ونصر وسبق .
والراعف طرف الأرنبة وأنف الجبل والفرس يتقدم الخيل .

ولو نظرنا إلى هذه المعاني لوجدنا وجه الشبه بينهما واضحا جليا ، ولوجدنا أيضا أن معظم من وضعوا المعاجم قد نقلوا عن بعضهم البعض ونلمس أيضا من هذه المعاني أنها لم تساير التغير الدلالي للألفاظ وما يصاحبها من تطور حضاري واجتماعي ولم نجد منهم من يقول رعف بمعنى سال الدم ، وهو المتعارف عليه اجتماعيا .

ونورد هنا بعض النقاط الهامة في معالجة المعاجم اللغوية كما أوردها الدكتور محمد أبو الفرج مترجمة عن مؤتمر اللغويين والمعجميين عقد في جامعة انديانا بامريكا في نوفمبر سنة ١٩٦٠ .

١) يجب أن يأخذ المعجم في الاعتبار نوعا خاصا من المستعملين له وحاجاتهم فمثلا قاموس انجليزي ـ عربي ليساعد غير المتحدثين بالعربية على معرفة العربية .

٢) لا بد أن تكون كل المواد واضحة الترتيب في موضعها وتوضع الصيغ الشاذة كمواد قائمة بنفسها إن أمكن ، وإلا فيشار إلى موضعها في المادة الاصلية .

٣) لا بد أن توضح الخصائص النظمية الاساسية لكل مادة من أنواع التفاعيل ، حروف الجر ، الخ .

٤) يجب الاشارة بدقة الى المستويات المختلفة للاستعمال إن وجدت ، لغة التأدب ، العامية ، الفاحشة ، الخ . وهذا يجب في حالة اللهجات وما شابهها .

٥) من المستحب إعطاء إيضاح كامل للدلالة ، وإذا أمكن ، نوضح الأضداد والمرادف والمشترك اللفظي .

٦) التمييز بين المعاني الأصلية والمعاني الثانوية على أساس لغوي[1] . وأضيف هنا بند آخر وهو : ـ

٧) ضرورة إيجاد معجم مصور وهو شيء ناقص في معاجمنا العربية ، حيث توضح الصورة احيانا ما يغمض على الانسان ، وتكون عاملاً مساعداً على فهم المعنى .

وبعد وإمام هذا كله يتبين لنا ما نعانيه من نقص معجمي في لغتنا العربية اذ ما زلنا نعيش في هذا الميدان في العصور الوسطى عالة على الفيروزبادي ولسان العرب نكرر ما جاء فيهما ولا نزيد فيه إلا النزر اليسير .

وأقول أن المعنى الكلاسيكي المتبع في معاجمنا لا يخدم المعنى الاجتماعي ولا يأخذ في الاعتبار الحالة الاجتماعية التي قيلت فيها : اللفظة أو استعملت . فالحالة الاجتماعية والنفسية مرتبطة ارتباطا تاما بالمعنى فكثيرا ما نسمع ألفاظا في حالة نفسية معينة تعطي لنا معنى مغايرا لو سمعناها في حالة نفسية أخرى ومغايرة للحالة الأولى . فلو سمع الانسان كلمة مثل (ثدي) وهو في حالة نفسية معينة فمثلا لأثارت في نفسه الغرائز والهواجس ، ولكن لو سمع نفس الكلمة في حالة أخرى مثلا لو رأى امرأة وهي ترضع ابنها من ثديها وهي في حالة بؤس وشقاء لكان لذلك أثر مغاير في نفسه . ونجد

(١) المعاجم اللغوية د. محمد أبو الفرج ص ٢٢ .

أن كلمة (ثدي) ستوحي له بالشفقة والعطف والرحمة على هذه المرأة التي ترضع وليدها في حالة البؤس ، أقول أن المعنى الاجتماعي والمعنى العاطفي يغاير تماما المعنى المعجمي الكلاسيكي القديم .

أقول أن دلالة المعنى في المعجم يجب أن تهتم بالناحية الاجتماعية والنفسية وأن تراعي العوامل المؤثرة في دلالة الألفاظ وما يطرأ عليها من تغير نتيجة لهذه المؤثرات .

وبعد أن عرضت في هذا الباب الى العوامل المؤثرة في تغير المعنى وقوانين التغير الدلالي وأثر الحضارة والبيئة في تغير المعنى وأهمية البحث في الدلالة ولما لهذه العوامل من تأثير مباشر في حياة اللغة ، سنعرض في الباب الثالث والأخير من هذا البحث في عوامل التطور والتغير في حياة الألفاظ وأثر اختلاف لهجات القبائل في اللغة وأثر التصحيف والتحريف في بعض الألفاظ ودلالتها ، وكذلك أثر العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من علاقات سائدة في المجتمع وأثر هذا كله على تطور اللغة وتغير دلالتها باعتبارها عوامل خارجة عن اللغة وأثر هذه العوامل في حياة لغتنا .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البَابُ الثَالِث

عوامل التطور والتغير في الألفاظ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

عوامل التغير والتطور في الألفاظ

أ ـ اختلاف لهجات القبائل :

لقد تعرضت اللغة العربية للتطور مثل سائر اللغات الحية وتقلبت على أحوال شتى فتنوعت ألفاظها بالنحت والابدال والاشتقاق والمجاز ، ودخلها كثير من الألفاظ الأعجمية في أعصر مختلفة قبل أن تدون وتضبط في أزمنة لم يدركها التاريخ .

وإنما نستدل على ذلك من درس ألفاظها ومقابلتها بأخواتها وغيرها . واللغة العربية التي وصلت إلينا هي اللغة المشتركة في الجزيرة العربية وكانت قبل الإسلام لهجات عدة تعرف بلهجات القبائل وبينها اختلاف في اللفظ كلهجات تميم وربيعة ومضر وقيس وهذيل وقضاعة وغيرها كما هو مشهور .

ولقد كان أهل مكة من قريش أهل تجارة وسفر شمالا إلى الشام والعراق ومصر وجنوباً إلى بلاد اليمن وشرقاً إلى الخليج العربي وما وراءه وغرباً إلى بلاد الحبشة فضلا عما كان يجتمع حول الكعبة من الأمم المختلفة وفيهم الفرس والانباط واليمنية والأحباش . والمصريون ، غير الذين كانوا ينزحون إليها من جالية اليهود والنصارى ، فدعا ذلك كله الى ارتقاء اللغة بما تولد فيها أو دخلها من الألفاظ مما لا مثيل له في اللغات الأخرى ، وزاد ذلك الاقتباس خصوصا بالنهضة التي حدثت في القرنين الأول والثاني قبل الإسلام بنزول الحبشة والفرس في اليمن والحجاز على أثر استبداد ذي نواس ملك اليمن وكان يهودياً فاضطهد نصارى اليمن في القرن الخامس الميلادي وخصوصاً أهل نجران ، فطلب

إليهم اعتناق اليهودية فلما أبوا قتلهم حرقاً وذبحاً ، فاستنجد بعضهم بالحبشة فحمل الأحباش على اليمن وفتحوها ثم أنف أحد أمرائها (ذي يزن) فاستنجد الفرس ولما فتح الفرس اليمن أقاموا فيها واختلطوا بأهلها بالمبايعة والمزاوجة وتوطنوا وكانوا يفدون إلى الحجاز وأهل الحجاز يترددون إليهم»[1].

مما تقدم يتبين لنا أن العوامل المختلفة التي مرت على العرب في الجزيرة العربية كانت مؤثرة بهم وما حدث من ظهور لهجات مختلفة في الجزيرة العربية كان هذا التأثير أحد عوامله . وهناك عوامل أخرى نوردها هنا بإيجاز شديد لأن موضوع اللهجات العربية موضوع واسع ويحتاج الباحث فيه إلى كتابة كتب حتى يفيه حقه ولكن سوف أتناول اللهجة وأثرها في إثراء العربية موجزا أشد الايجاز .

قبل أن أعرض أسباب نشأة اللهجات لا بد وأن نعرف ما هي اللهجة ؟ اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات افراد هذه البيئة ، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث ، فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات[2] .

ويقول الدكتور ابراهيم أنيس : وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح المحدثون على تسميتها باللغة ، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص ، فاللغة تستمل عادة على عدة لهجات ، لكل منها ما يميزها وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية ، والعادات الكلامية تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات . والمحدثون من علماء اللغات يسمون الصفات التي تتميز بها كل لغة بالعادات الكلامية ، لأنها ليست إلا مجرد عادات نشأ عليها أبناء هذه اللغة وتأثروا بها جيلاً بعد جيل ، حتى أصبحت طابعاً لهم يميزهم عن غيرهم من المتكلمين بلغات أخرى .

وتلك العادات الكلامية هي عادات مكتسبة لا أثر للوراثة فيها[3] .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : جورجي زيدان جـ ص ٤٣ .
(٢) اللهجات العربية د. ابراهيم انيس ص ١١
(٣) المرجع نفسه، ص ١٢ .

ويضرب لنا الدكتور ابراهيم أنيس مثلاً على تعلم الأطفال لغة الاباء فيقول : ان الأطفال في مراحل تعلمهم لغة آبائهم لا يتكلمون بالسليقة وانما يتعلمونها كما يتعلم الكبير أية لغة أجنبية مع ذلك الفارق الهام الذي يسرع بالطفل إلى اتقان لغة أبويه ، وهو تلك الفرص المستمرة التي تتاح للطفل في تعلمه من اتصاله الوثيق ببيئته اللغوية.

ويقسم المحدثون تلك العادات الكلامية في دراستها إلى ثلاثة فروع : ـ

١ ـ ما يتعلق بالأصوات وطبيعتها ، وكيفية صدورها (Phonetics)
ب ـ وما يتعلق ببنية الكلمات ونسجها (Morphology)
جـ ـ وما يتعلق بتركيب الجمل (Syntax)

فالصفات التي تتميز بها كل لغة تتألف من هذه العناصر اللغوية الثلاثة والبحث في عادات كل لغة يعرض إلى كل منها[١] :

وهناك فرع رابع يعرض له الباحث في اللغات وهو معاني الكلمات ودلالتها (Semantics) والبحث في هذا لا يقل عن البحث في العناصر الأخرى أهمية[٢] .

أما الصفات التي تتميز بها اللهجة فتكاد تنحصر في الفرع الأول أي الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها ، فالذي يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي .

وتتميز بيئة اللهجة بصفات صوتية خاصة تخالف كل المخالفة أو بعضها صفات اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة . غير أن اللهجة قد تتميز أيضا بتقليل من صفات ترجع إلى أبنية الكلمة ونسجها ، أو معاني بعض الكلمات .

ولكن يجب أن تكون هذه الصفات الخاصة التي مرجعها بنية الكلمة ودلالتها من القلة بحيث لا تجعل اللهجة غريبة على أخواتها ، بعيدة عنها عسرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى في نفس اللغة .

لأنه متى كثرت الصفات الخاصة بعدت باللهجة عن أخواتها فلا تلبث أن تستقل وتصبح لغة قائمة بذاتها[٣].

(١) اللهجات العربية د. ابراهيم انيس ص ١٣ .
(٢) نفسه.
(٣) نفسه ص ١٤.

فلا بد أن تشترك لهجات اللغة الواحدة في الكثرة الغالبة من الكلمات ومعانيها . وفي معظم الأسس التي تخضع لها بنية الكلمات ، وفوق هذا وذاك تركيب الجمل ، فإذا اختلفت معاني معظم كلماتها ، واتخذت أسساً خاصة في بنية كلماتها وقواعد خاصة في تركيب جملها لا تسمى حينئذ لهجة ، بل لغة مستقلة ، وإن ظلت تتصل وغيرها بوشائج تجعلها جميعاً تنتمي إلى فصيلة واحدة من الفصائل اللغوية .

فالفصيلة الواحدة تتألف من عدة لغات ترجع جميعها إلى أرومة واحدة ، وقد احتفظت كل منها بصفات يسهل على اللغوي إرجاعها إلى ذلك الأصل القديم . والعناصر التي تحتفظ بها لغات الفصيلة الواحدة هي تلك العناصر الخالدة التي لا يصيبها إلا قليل من التغير رغم مرور الزمن عليها ورغم تطور فروع الفصيلة الواحدة[1] .

وتلك العناصر القديمة تكاد تنحصر في الأمور الآتية : ـ

١ ـ الضمائر
٢ ـ الأعداد
٣ ـ أسماء الإشارة والموصول .
٤ ـ الاشتراك في معاني نسبة كبيرة من الكلمات .
٥ ـ أدوات الربط بين أجزاء الجملة .
٦ ـ الاشتراك في كيفية تركيب الجمل .

وتتألف اللغة عادة من عدة لهجات تتميز كل لهجة منها بصفات صوتية خاصة يضاف إليها في بعض الأحيان اختلاف ضئيل في بنية بعض الكلمات ومعانيها[2] .

أما تلك الصفات الصوتية التي تميز اللهجات ، فيمكن أن تلخص في النقط الآتية :

(١) اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية .
(٢) اختلاف في وضع أعضاء النطق في بعض الأصوات .
(٣) اختلاف في مقياس بعض أصوات اللين[3] .
(٤) تباين في النغمة الموسيقية للكلام .

---

(١) اللهجات العربية د. ابراهيم انيس ، نفس الصفحة .
(٢) نفسه ص ١٥ .
(٣) انظر للمؤلف كتاب « الأصوات اللغوية » ص ٣٠ .

(٥) اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض .
(٦) اختلاف في صفة بعض الأصوات اللغوية من جهر وهمس أو شدة أو رخاوة .

تلك هي أهم الصفات التي نلحظ بعضها أو كلها في لهجات اللغة الواحدة . وليس من الضروري أن نجد كل هذه الفروق ممثلة في لهجات لغة من اللغات بل قد نشهد بعضاً منها فقط .

وتتباعد اللهجات أو تتقارب بعضا من بعض على قدر اشتمالها على الصفات السابقة وعلى شيوع تلك الصفات فيها .

وقد يكون للغة الواحدة لهجات متقاربة لا يفرق بين لهجة وأخرى سوى صفتين أو ثلاث من تلك الصفات في حين أن لهجات بعض اللغات متباعدة لا تكاد تستبين للسامعين ولا يكاد يفهمها كل الأفراد في شعب من الشعوب .

بعد هذه العجالة في تعريف اللهجة وصفاتها ومميزاتها وخصائصها نعود إلى الأسباب التي تؤدي إلى ظهور لهجات .

ويقول الدكتور عبده الراجحي في اللهجات العربية[1] :

وتنشأ اللهجات عادة لعدة أسباب :

١ ـ أسباب جغرافية :

نحن نعلم أن للطبيعة أثرها في اللغة فاذا كان أصحاب اللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة وتختلف الطبيعة فيها من مكان لآخر كأن يكون هناك جبال ووديان أو أنهار تفصل بين نقطة وأخرى بحيث تسبب هذه الموانع انعزال مجموعة من الناس عن المجموعات الأخرى . فان هذا يؤدي مع مرور الزمن إلى ظهور لهجة تختلف عن لهجة ثانية تنتمي إلى نفس اللغة . وحتى بعد المسافات بين المجموعات يؤدي إلى ظهور هذه اللهجة كما هو حادث في مصر نجد لهجة الصعيد المصري تختلف عن لهجة أبناء الريف ولهجة أبناء الريف تختلف عن لهجة أبناء المدن الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية وحتى لهجة أبناء القاهرة تختلف عن لهجة أبناء الاسكندرية وهكذا وكذلك أبناء البيئة الصحراوية تختلف لهجتهم عن أبناء البيئة الزراعية .

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عبده الراجحي ص ٣٧ وما بعدها.

٢ ـ أسباب اجتماعية :

نحن نعلم أن المجتمع مكون من طبقات ونظراً لوجود هذه الطبقات لا بد من وجود لهجات تختلف حسب هذه الطبقات فنجد أن الطبقة الارستقراطية مثلاً تتحدث بلهجة تختلف عن لهجة الطبقة الوسطى والدنيا من المجتمع وكذلك اختلاف الثقافة أيضاً له تأثيره في اختلاف اللهجات واختلاف المهنة فنجد أن النجارين لهجتهم تختلف عن لهجة الحدادين ولهجة البحارة وصيادي السمك تختلف عن لهجة المزارعين لذا نجد أن كل جماعة لها لهجة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة[١] .

٣ ـ احتكاك اللغات واختلاطها نتيجة غزو او هجرات او تجاور :

إن الاحتكاك بين اللغات أمر لا بد منه نظراً لتطور الحضارة وتنوع المصادر التي تؤثر في حياة الانسان ، وان هذا الاحتكاك بين اللغات يعد من أهم الأسباب التي تؤدي إلى نشأة اللهجات[٢] .

وإن فندريس يقول (ان تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعد أمرًا مثاليا لا يكاد يتحقق في أية لغة . بل على العكس من ذلك فان الأثر الذي يقع على لغة ما من لغة مجاورة لها ، كثيرًا ما يلعب دورًا هامًا في التطور اللغوي[٣].

وفي التاريخ شواهد كثيرة على أثر هذا الصراع اللغوي ، فاللهجات العربية التي انتشرت في البلاد الاسلامية بعد الفتح دليل عليه ، ولهجاتنا العامية الحالية مظهر من مظاهر الاحتكاك اللغوي[٤] .

٤ ـ أسباب فردية :

من الحقائق المقررة أن اللغة إذا « كانت واحدة فهي متعددة بتعدد الأفراد الذين يتكلمونها ، ومن المسلم به أن لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفترق »[٥] . واختلاف الأفراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن إلى نشأة لهجة إلى جوار اللهجات

(١) اللغة لفندريس : ترجمة الدواخلي والقصاص ص ٣١٥.
(٢) اللهجات العربية د. ابراهيم انيس ص ٢٠
(٣) اللغة لفندريس ص ٣٤٨.
(٤) اللهجات العربية د. عبده الراجحي ص ٣٨.
(٥) اللغة لفندريس ص ٢٩٥.

الموجودة . ويمكن أن يلحق بهذا (خطأ الأطفال) « و(القياس الخاطىء) فكثيرًا ما نسمع الأطفال يقولون (أحمره وأخضره وأصفره) عن (أحمر وأخضر وأصفر) فاذا ما ترك الأطفال دون تقويم لسانهم يمكن لهذه الألفاظ مع مرور الزمن أن تصبح عادات لهجية ، ويمكن أن نضع في هذا المجال ما روي من أن لهجة تميم في بناء اسم المفعول من الأجوف على مفعول فيقولون « مبيوع ومديون » قياسا على الفعل الصحيح[1] .

فاللهجات العربية التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام لا تختلف أسباب وجودها عن هذه الأسباب العامة التي ذكرناها في نشأة اللهجات فنرى أن البيئة الجغرافية للجزيرة العربية واسعة ومترامية الأطراف ، ونجد أن الطبيعة تختلف فيها من منطقة إلى منطقة فنجد السهول والوديان والصحراء الشاسعة والجبال العالية ، ونجد البدوي يستقرّ في المكان الذي يجد فيه الماء والعشب أو في مكان يعتبر ملتقى قوافل ومجموعات من مكان لآخر طلباً للماء والكلأ ، وهاجر من هاجر من أهل اليمن إلى وسط شبه الجزيرة وشرقها وشمالها ، وهاجر من هاجر من الحجاز إلى اليمن .

وتجاورت لهجات مع لهجات ومع لغات أخرى ، فلهجات القبائل العربية التي كانت تنزل بداية الشام أو العراق مثلاً كانت تجاور لغات كالأرامية والعبرية . والإحتكاك معها أدّى إلى ظهور لهجات متعددة.

ونحن نعلم أن اللغة العربية لم تكن لغة متوحّدة توحداً كاملاً بل كانت لها لهجات كثيرة تختلف فيما بينها اختلافاً يكبر أو يصغر حسبما يكون بينهما من تقارب أو تباعد لكن هذه اللهجات المختلفة لم تكن تمنع من وجود لغة مشتركة عامة يصطنعها أصحابها فيما يعن لهم من فن أو من جد القول[1] .

لقد اتّفق القدماء تقريباً على أن لهجة قريش هي أعلا اللهجات العربية وأفصحها وهي التي سادت الجزيرة العربية قبل الإسلام .

يقول ابن فارس : « أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحلهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة ، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمدﷺ فجعل قريشاً قطان حرمه ، وجيران بيته الحرام وولاته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة

(١) اللهجات العربية د. عبده الراجحي.
(٢) نفسه ص ٤٠

للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم. وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم. وكانت قريش، مع فصاحتها وحسن لغتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها. فصاروا بذلك أفصح العرب[1].

ويقول السيوطي في المزهر « ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنه تميم وقلقلة بهراء وكسكسة ربيعة وكشكشة هوازن وتضجيع قيس وعجرفية ضبة[2] .

يتّضح لنا من هذا أن لغة قريش كانت السائدة فقريش منها النبيﷺ ولهجتهم كما يقول القدماء خالية من العيوب التي ذكرناها.

ويقول الدكتور عبده الراجحي في اللهجات العربية :

« والذي لا شك فيه عندنا أن سبباً واحداً هو الذي جعل لهجة قريش هي المفضلة ، ذلك أن النبيﷺ قريشي أما إن قريشاً لهم نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فتلك مسألة يرفضها الدرس اللغوي الصحيح.

إذ أنه ـ كما يقول سابير ـ لا معنى لأن نقول أن هناك لغة ـ مهما تكن ـ أكثر فصاحة أو أكثر ارتباطاً من لغة أخرى ، قد تكون أكثر تعقيداً أو أكثر صعوبة[3] .

ولن أخوض في مجال تفضيل لهجة قريش عن غيرها من اللهجات لأن مجال البحث هو اللهجات العربية وأثرها في نمو اللغة وإثرائها وهذا ما أحدده لنفسي في هذا البحث حتى لا أتيه مع الآراء المختلفة حول لهجة قريش وغيرها من حيث التفضيل .

أياً ما كان الأمر فإن الجزيرة العربية كان بها لهجات متعددة تنتسب كل لهجة إلى أصحابها وهذا ما ذكرناه من قبل نتيجة للأسباب التي ذكرناها في نشأة اللهجات وإلى جانب هذه اللهجات العربية كانت هناك لغة مشتركة تكوّنت على مر الزمن وهذه اللغة لا تنتسب إلى قبيلة أو بطن من بطون قريش أو الجزيرة العربية وإنما تنتسب إلى العرب جميعاً . ما دامت النصوص الشعرية والنثرية لا تكاد تختلف فيما بينها وهذه النصوص

(١) الصاحبي في فقه اللغة ابن فارس ص ٢٣ .
(٢) المزهر في علوم اللغة للسيوطي جـ ١ ص ١٢٨ .
(٣) اللهجات العربية د. عبده الراجحي ص ٤٢ .

ليست قرشية أو تميمية أو هذيلة فقط ، بل هي من قبائل مختلفة ، مما يدل على أن هذه اللغة المشتركة هي التي كان الأدباء والشعراء يصطنعونها في فنهم القولي[1] .

ومع وجود هذه اللغة المشتركة احتفظت اللهجات المختلفة ببعض خصائصها فقريش لها خصائصها اللهجية كما أن لتميم ، ولطيء أو لغيرها خصائصها اللهجية . ولقد دخل كثير من هذه الخصائص اللغة الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم والتي تمثّلها القراءات القرآنية[2] .

وبعد هذا العرض السريع لأسباب نشأة اللهجات لا بد وأن نذكر القبائل المتعددة في الجزيرة العربية ونعرف لهجاتها التي كانت تتحدث بها ومن ثم نتطرق إلى صلب هذا البحث وهو الكلمة ودلالتها في اللهجات وأثر اللهجات في تطوّر هذه الدلالة وتعددها .

يقول الصاحبي في فقه اللغة[3] : أما (العنعنة) التي تذكر عن (تميم) ـ فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عيناً ، يقولون (سمعت عن فلان قال كذا) يريدون (أن) . وروى في حديث (قيله) « تحسب عني نائمة » قال (أبو عبيد) أرادت تحسب أني ، وهذه لغة تميم . قال ذو الرمة : ـ

أعن ترسمت من خرقاء منزلة
ماء الصبابة من عينيك مسجوم

أراد « أن » فجعل مكان الهمزة عيناً .

وأما (الكشكشة) التي في (أسد) ، فقال قوم : إنهم يبدلون الكاف شيناً فيقولون « عليش » بمعنى « عليك » وينشدون :

فعيناش عيناها وجيدش جيدها ،
ولونش ـ إلا أنها غير عاطل

وقال آخرون : يصلون بالكاف شينا ، فيقولون (عليكشي) .

وكذلك (الكسكسة) التي في ربيعة ـ إنما هي أن يصلوا بالكاف سينا فيقولون « عليكسي »

---

(١) اللهجات العربية د. عبده الراجحي ص ٤٢ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٩ .
(٣) الصاحبي في فقه اللغة ص ٢٤ .

وحدّثني عليّ بن أحمد الصاحبي ، قال سمعت (ابن دريد) يقول :

حروف لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة ، فإذا اضطروا إليها حوّلوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها .

فمن تلك الحروف الحرف الذي بين الباء والفاء مثل « بور » إذ اضطروا ، فقالوا : « فور » .

ومثل الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم ـ وهي لغة سائرة في اليمن ـ مثل « جمل » إذا اضطروا قالوا « كمل »[1] .

قال : والحرف الذي بين الشين والجيم والياء : في المذكر « غلامج » وفي المؤنث « غلامش » .

فأما بنو تميم « فإنهم يلحقون القاف باللهاة حتى تغلظ جداً فيقولون » القوّم فيكون بين الكاف والقاف ، وهذه لغة فيهم . قال الشاعر :

ولا أكول لكدر الكوم : قد نضجت
ولا أكول لباب الدار : مكفول

وكذلك الياء تجعل جيماً في النسب ، يقولون « غلامج » أي « غلامي » . وكذلك الياء المشددة تحول جيماً في النسب ، يقولون « بصرج » و(كوفج) قال الراجز :

خالي عويف وأبو علج
المطعمان للحم بالعشج
والغداة فلق البرنج

وكذلك ما أشبهه من الحروف المرغوب عنها . كالكاف التي تحوّل شيناً .

وأما من زعم أن (ولد اسماعيل) عليه السلام يعيرون (ولد قحطان) انهم ليسوا عرباً ، ويحتجون عليهم بأن لسانهم (الحميرية) وأنهم يسمّون اللحية بغير اسمها ـ مع قوله تعالى « لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي » .

وإنهم يسمّون الذيب (القلوب) مع قوله تعالى (وأخاف أن يأكله الذئب) ويسمّون

(١) الصاحبي : فقه اللغة ص ٢٥ .

الأصابع (الشناتر) وقد قال تعالى : « يجعلون أصابعهم في آذانهم » وما أشبه هذا . فليس اختلاف اللغات قادحاً في الأنساب[1] .

ونحن وإن كنا نعلم أن القرآن نزل بأفصح اللغات ، فلسنا ننكر أن تكون لكل قوم لهجة مع أن (قحطان) تذكر أنهم (العرب العاربة) وأن من سواهم (العرب المستعربة) وأن اسماعيل عليه السلام بلسانهم نطق ومن لغتهم أخذ ، فليس هذا موضع مفاخرة .

ونورد هنا بعض أوجه الإختلاف في اللهجات العربية .

أحدها ـ الإختلاف في الحركات كقولنا (نَستعين) و(نِستعين) بفتح النون وكسرها ، قال (الفراء) هي مفتوحة في لهجة قريش وأسد وغيرهم يقولونها بكسر النون .
والوجه الآخر ـ الإختلاف في الحركة والسكون مثل قولهم (مَعكم) و(مَعْكم)
أنشد الفراء :

ومن يتق فان الله مَعْه
ورزق الله مؤتاب وغاد

ووجه آخر ـ هو الإختلاف في إبدال الحروف نحو (أولئك) و(ألا لك) أنشد الفراء :
ألا لك قومي لم يكونوا أشابة وهل يعظ الضليل أألالكا؟

ومنها ـ قولهم «أن زَيْداً و«عن زَيْداً» .

ومن ذلك ـ الإختلاف في الهمز والتليين نحو (مستهزؤن) و(مستهزون) . ومنه الإختلاف في التقديم والتأخير نحو (صاعقة) و(صاقعة) . ومنها الإختلاف في الحذف والإثبات نحو (استحييت) : و(استحيت) و(صددت) و(أصددت)[2] .

ومنها الإختلاف في الحرف الصحيح يبدل حرفاً معتلاً نحو « أما زيد » و«ايما زيد» .

ومنها الإختلاف في الإمالة والتفخم في مثل « قضى و » و« رمى » فبعضهم يفخم وبعضهم يميل .

---

(١) فقه اللغة : الصاحبي ص ٢٦ مطبعة المؤيد سنة ١٩١٠م.
(٢) فقه اللغة ، الصاحبي ص ١٩ .

ومنها الإختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله ، فمنهم من يكسر الأول ومنهم من يضم فيقولون « اشتروا الضلالة» و (اشتروا الضلالة).

ومنها الإختلاف في التذكير والتأنيث فإن من العرب من يقول (هذه البقر) ومن يقول (هذا البقر) و(هذه النخيل) و(هذا النخيل) .

ومنها الإختلاف في الإدغام نحو « مهتدون » و« مهدون » .
ومنها الإختلاف في الإعراب نحو « ما زيد قائماً » و« ما زيد قائم » .

و« إن هذين » و« إن هذان » وهي بالألف لهجة بني الحارث بن كعب .
ومنها الإختلاف في صورة الجمع نحو (أسرى) و(أسارى) .
ومنها الإختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل (هذه أمة) ، (وهذه أمت) ومنها الزيادة نحو (انظر) و(أنظور) أنشد الفراء:

الله يعلـم أنـا في تلفتنـا يوم الفـراق إلى جيراننـا ـ صور
وإنني حيث ما يثنيني الهوى بصري من حيث ما سلكوا ـ أدنو فأنظور[1] .

ومنها التضاد ، روي أن (زيد بن عبدالله بن دارم) وفد على بعض ملوك حمير فسلم عليه وانتسب فقال له الملك « ثب » أي أجلس . وظن الرجل أنه أمره بالوثوب أي القفز ، فقال لتجدني أيها الملك مطواعاً ، ثم وثب فمات ، فقال الملك ما شأنه : فأخبروه بقصته وغلطه في الكلمة ، فقال ، ليست عربيتهم بعربيتنا من ظفر حمر ، أي من دخل ظفار فليتكلم الحميرية .

وبعد أن أوردنا هذه الإختلافات في اللهجات نعود إلى صلب بحثنا وهو : « أثر تعدد هذه اللهجات في تطور الألفاظ ودلالتها » .

ويرجع الدكتور ابراهيم أنيس العوامل التي أثرت في بنية الكلمة والتي دعت إلى اختلافها إلى العوامل التالية :

١ ـ قبائل تميل إلى صوت لين خاص ، وهذا لا يكون إلا في الإختيار بين الكسرة والضمة ، لأن كلاً منهما صوت ليّن ضيق .

(١) الصاحبي في فقه اللغة ص ٢٢ .

وعلى هذا إذا روي لنا أن فعلاً من الأفعال الثلاثية الصحيحة جاء من باب (ضرب ونصر) رجحنا أن إحدى القبائل كانت تنطق به من باب (ضرب) والأخرى من باب (نصر) .

٢ ـ الميل إلى نسج خاص في مقاطع الكلمة ، فبعض القبائل تؤثر المقاطع الساكنة على المقاطع المتحركة ، ومن هذه قبيلة (تميم) التي روي عنها أنها كانت تؤثر تسكين وسط الكلمة المتحرك . وإلى هذه القبيلة يمكن أن ننسب تلك اللهجة التي تجوز تسكين عين الفعل الماضي الثلاثي ، فيقولون في (كتب) (كتْب) .

٣ ـ ميل القبائل المتحضرة إلى تحقيق كل أصوات الكلمة ، وإعطاء كل صوت حقه في النطق ، في حين أن القبائل البدوية تميل إلى تأثر الأصوات بعضها ببعض . ومثل هذا يؤدي إلى اختلاف بنية الكلمة الواحدة بين هذين النوعين من القبائل.

٤ ـ والعامل الهام في هذه العوامل هو أخطاء الأطفال وما يترتب عليها : ـ

أ ـ قد يصعب على الطفل تقليد الكبار في نطقهم لكلمة من الكلمات ثم يهمل أمر هذا الطفل فينشأ على الخطأ وتصبح الكلمة ذات صورة جديدة في لهجته .

ب ـ قد يخطىء الطفل في سمع الكلمة فيرتب أصواتها ترتيباً مختلفاً ، وتصبح فيما بعد ذات وضع مختلف عن الكلمة الأصلية .

جـ ـ قد يقيس الطفل قياساً خاطئاً فيشتق وضعاً جديداً غير معروف في لهجة آبائه ثم يصبح هذا الوضع معترفاً به بين أبناء جيله[1] .

ويمكن أن نضيف إلى ما تقدم عامل آخر هو احتمال خطأ الرواة في النقل ولا سيما بعد تدوين اللغة ، وذلك الخطأ الذي سمّاه القدماء بالتصحيف ، ولنا عودة خاصة لهذا النوع من التغيّر في بنية الكلمة .

وقد روى ابن جني أمثلة لكلمات مختلفة البنية مثل : ـ

بغداد ، وبغدان ، مغدان ، وطبرزل ، وطبرزن[2] .

وقالوا للحية : أيم واين ، واعصر ويعصر.

ورغوة اللبن ورغوته ، ورغوته ورغاوته ، ورغاوته ، ورغايته .

---

(١) اللهجات العربية د. ابراهيم انيس ص ١٢٤ وما بعدها.

(٢) ابن جني: الخصائص جـ ١ ص ٣٧٢. يقال سكر طبرزل، وطبرزن. وهو السكر الأبيض ، واللفظ معرب من الفارسية .

وكقولهم : الذرح ، والذرّح ، والذريح ؛ والذرّاح ، والذرح والذرنوح[1] .

ومن عل ، ومن علاء ومن علو ، ومن علو ، ومن علو ، ومن علو ، ومن عال ، ومن معال . فإذا أرادوا النكرة قالوا من عل[2] .

ويقول ابن جني : وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لهجات لجماعات ، اجتمعت لانسان واحد ، ورويت عن الأصمعي قال : « اختلف رجلان في الصقر ، فقال أحدهما : (بالصاد) وقال الآخر : السقر (بالسين) فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه ، فقال : لا أقول كما قلتما ، إنما هو الزقر .

أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة كيف أفاد في هذه الحال إلى لهجته لهجتين أخريين معها . وهكذا تتداخل اللهجات .

ومن هذا يتّضح لنا كيف يمكن اجتماع اللهجتين ، واللهجات في كلام الواحد من العرب .

ولن أستطرد في الكلام عن اللهجات وأنواعها وقبائلها لأن الكلام عنها يطول ويطول ، ويحتاج إلى مجلدات وهذا ليس من صلب بحثنا وإنما بحثنا يتركز كما ذكرت على عامل هام هو أثر هذه اللهجات في تطوّر معاني الألفاظ ودلالتها .

إن التطور الدلالي يحدث تدريجياً وحسب تطور الحياة الإجتماعية ، لكنه ينتهي في الغالب إلى تغيّر في المعنى . ولقد حاول كثير من اللغويين أن يحصروا ما يطرأ على المعنى من تغيّرات في أنواع التغير الإنحطاطي والمتسامي ، والتغيّر نحو تخصيص المعنى ، أو تعميمه ، أو نحو الضد .[3]

ولكن إذا كانت هذه التغيّرات غالباً ما تكون خاضعة للتغيّر الإجتماعي فإن من أسباب هذا التغير اختلاف اللهجات في اللغة الواحدة وهذا ما نجده في لغتنا العربية من (الترادف) و(المشترك) و(الأضداد) مما يجعلنا نقول أن السبب في ذلك هو اختلاف القبائل في استعمال الألفاظ .

ويقول الدكتور عبده الراجحي في كتاب « اللهجات العربية »[4] :

(١) لمرجع السابق ص ٣٧٣ : الذرح : هو دويبه أعظم من الذباب شيئاً .
(٢) المرجع السابق ص ٣٧٤ .
(٣) دلالة الألفاظ د. ابراهيم انيس ص ١٤٨ ، ص ١٥٥ .
(٤) اللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عبده الراجحي ص ١٩٥ .

« والآن هل نجد في القراءات القرآنية ما يشير إلى فروق لهجية على المستوى الدلالي ؟ والحق أننا لا نجد من هذا الضرب إلا كلمات قليلة وكلها من القراءات الشاذة ، وذلك أمر طبيعي إذ إن القراءات لم تكن تختلف في اللفظة ذاتها بل كانت تختلف فيها من ناحية أدائها ومعظم هذه الإختلافات على ما رأيت اختلافات صوتية .

وكما نعلم أنه يجب أن نرجع الإختلافات هذه إلى الصرف والصوت والدلالة والنحو ، فإذا كانت القراءات القرآنية واختلاف الصوت فيها أحد هذه العوامل فإن العوامل الأخرى مكملة لها . وبهذا نجد أن الإختلاف في ألفاظ بعض لهجات القبائل يرجع إلى الإختلاف في الصرف والنحو والدلالة بالإضافة إلى الإختلاف في الصوت . كما وجدنا في القراءات القرآنية المختلفة .

ونعرض هنا نماذج من الإختلاف في القراءات القرآنية حسب ما أوردها الدكتور الراجحي : ـ

١) قرأ الجمهور « فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام » وقرأ ابن أبي عبله : (فولِّ وجهك تلقاء المسجد الحرام) .

هذه القراءة تقدم لنا لفظتين بمعنى واحد ، وهما (شطر) و(تلقاء) ويذكر أبو عبيد أن التلقاء معناها (النحو) في لهجة كنانة .

فنحن إذن أمام لفظتين مترادفتين تؤديان معنى واحداً وهو النحو والقصد .

ويقول الدكتور الراجحي « أن لفظة (شطر) معناها المعجمي ونصف الشيء ، وهو ما نظنه الأصل الأول لمعاني هذه اللفظة ، ثم كان من معانيها المتطورة بعد ذلك النحو أو القصد » .

وأما اللفظة الثانية (تلقاء) فنحسب أن المعنى الأصلي لها مأخوذ عن (اللقوة) وهي داء يكون في الوجه يعوج منه الشدق فكأن تلقاء مأخوذة من اتجاه الوجه في ناحية بعينها .

ولنرى الآن استعمال اللفظتين في القرآن :

١ ـ « فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ » البقرة ١٤٤ .
٢ ـ « وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ » البقرة ١٤٩ .
٣ ـ « وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ » البقرة ١٥٠ .

٤ ـ « وحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوْا وُجُوهكُمْ شَطْرَهُ » البقرة ١٤٤ .
٥ ـ « وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوْا وُجُوهكُمْ شَطْرَهُ » البقرة ١٥٠ .
ووردت تلقاء في ثلاثة مواضع : ـ

(١) « وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا » الاعراف ٤٧
(٢) « قُلْ مَا يكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي » يونس ١٥ .
(٣) « وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ » القصص ٢٢ .

ويبدو لنا من هذه الإستعمالات القرآنية أن لفظة (شطر) أخص من (تلقاء) إذ من الواضح أن الأولى مستعملة في المواضع كلها مع الفعل (ولّى) ومع (الوجه) (وجهك أو وجوهكم) بينما استعملت (تلقاء) استعمالات مختلفة بغير هذا التحديد ولم نعثر في استعمال آخر على (شطر) مسبوقة بحرف جر كما استعملت (تلقاء) كذلك (من تلقاء نفسي) .

وإذا كان صحيحاً ما ذكره أبو عبيد من أن (تلقاء) معناها النحو في لهجة كنانة ، فنحن نعرف أن كنانة من القبائل الحجازية التي كانت تجاور قريش[1] .

قرأ الجمهور « أني أراني أعصر خمراً » وقرأ ابن مسعود « أعصر عنباً »[2] . وهذه القراءة تقدم لنا لفظتين الأولى (خمراً) فيقول عنها البلاغيون أنها نوع من المجاز وهو تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه . وأما الثانية (عنباً) فاستعمال اللفظة على وجه الحقيقة ، ولكن أبا عبيد يذكر أن لفظة (خمر) إنما هي لهجة في العنب ، ويقول أنها لهجة عمان .

ولقد استعملت لفظة (خمر) في القرآن في أربعة مواضع :

١ ـ «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ والمَيْسَرِ » البقرة ٢١٩
٢ ـ « إِنَّما الخَمْرُ وَالمَيْسَرُ والأَنْصَابُ والأَزْلامُ » المائدة ٩١
٣ ـ « وَأَنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبين » محمد ١٥
٤ ـ « قال أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَاني أَعْصِرُ خَمْراً » يوسف ٣٦

(١) اللهجات العربية د. عبده الراجحي ص ١٩٦، ص ١٩٧ .
(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عبده الراجحي ص ١٩٧ .

وواضح من هذه الآيات أن اللفظة قد استعملت على حقيقتها في المواضع كلها فيما عدا الموضع الذي نحن بصدده .

أما اللفظة الثانية (عنب) فهي مستعملة أيضاً في القرآن على حقيقتها في نحو :

١ ـ « أَوَ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ » الاسراء ٩٧

٢ ـ « فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَباً وَقَضْباً » عبس ٢٨

ومن اليسير أن نتصور التقارب بين دلالة اللفظتين إذ إن الخمر « ما أسكر من عصير العنب لأنها خامرت العقل »[1] .

ويبدو أن كلا من اللفظتين كانت تدل على معنى الأخرى ، فإذا كانت الخمر هي العنب في لهجة عمان على ما ذكر أبو عبيد فإن أبا حنيفة قال : إن العنب هو الخمر وزعم أنها لهجة يمانية وهم يستشهدون على هذه اللهجة بقول الراعي :

ينازعني بهاندمان صدق شواء الطير وعنب الحقينا

(يريد الخمر) .

ويقول الدكتور الراجحي : « ولكن الراجح عندنا أن استعمال (الخمر) . بمعنى العنب أو العنب بمعنى الخمر ليس إلا نوعاً من الإستعمال المجازي . »

أيا ما يكون الأمر فإن اختلاف لهجات القبائل أدى إلى وجود كثير من الألفاظ المترادفة والتي كانت تستعمل في كل قبيلة بمعنى واحد وإن اختلفت الألفاظ . فنجد أن كلمة (البر ، الحنطة ، القمح) كلها تدل على معنى واحد وهو هذا الغذاء الذي يطحن ومن ثم يوضع في الفرن ويتحوّل إلى خبز يأكله الناس ، وكلنا يعرف حادثة (السكين) و(المدية) مع الرسولﷺ وأبا هريرة ، مع اختلاف قبيلة الرسولﷺ وقبيلة أبي هريرة ، وحادثة ملك اليمن ، والتي كان من نتيجتها أن قفز الرجل من القصر ولقي حتفه ، لاختلاف اللهجات بين نزار. فالوثب عندهم بمعنى الطمر والقفز ، والوثب في ظفار اليمن بمعنى الجلوس. وكذلك المشترك اللفظي الذي ذكرناه في موضعه ، فنجد أن الكلمة الواحدة تحمل أكثر من معنى. فكلمة العين: بمعنى العين المبصرة ، وعين الماء ، والعين الرجل في قومه ، والعين الجاسوس ، والعين الحسد ، وعين الركبة ، وغيرها . والأضداد أيضاً هي أن تتكلم قبيلة بلفظة وتتكلم قبيلة أخرى بنفس اللفظة ولكن بمعنى يغاير المعنى في القبيلة الأولى ، كلفظة الجون تحمل معنى الأبيض والأسود.

(١) اللسان لابن منظور (خمر) .

وقد ذكرت كل هذا في مكانه ولا أريد الإستطراد ولكن ذكرت هذه الأمثلة حتى أقول أن اختلاف اللهجات كان سبباً من الأسباب التي أدت إلى تطور اللفظة العربية والتي أدت إلى إثراء العربية.

ومهما اختلفت الآراء حول ذلك ، فإن في اختلاف اللهجات العربية أثر كبير على العربية نفسها وعلى سعتها وكثرة مفرداتها ، ومع أن القراءات القرآنية المختلفة ذات أثر قليل في التوسع في الإستعمال الدلالي في الألفاظ فإن لغة المحادثة العامة بين أفراد القبائل المختلفة ذات أثر أوسع وأشمل في التوسع في الدلالة اللفظية وفي التوسع في مفردات العربية ، وحتى لو كان الإستعمال مجازياً فإن هذا أيضاً له أثره الكبير في التوسّع الدلالي في الألفاظ.

وجملة القول إن اختلاف اللهجات العربية عمل على إثراء اللغة العربية بعدد كبير من الألفاظ وما تدلّ عليه هذه الألفاظ من دلالات مختلفة .

وعلنا نجد في تجميع اللغة ما يؤيد ما ذكرناه من أثر اللهجات وتعددها على اللغة العربية ، ولن أخوض في دراسة جمع اللغة دراسة تاريخية ولن أتعرض للآراء المختلفة في هذا الموضوع ولكن سأتناول الموضوع بما يخدم بحثي هذا من حيث ظهور ألفاظ جديدة ومختلفة في كل لهجة من لهجات العرب وعند معظم الرواة الذين اهتموا بجمع اللغة .

يقول الاستاذ أحمد أمين في « ضحى الإسلام »[1] : « ان جمع اللغة سار في مراحل ثلاث : ـ

١ ـ جمع الكلمات حيثما اتفق ، فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر ، ويسمع كلمة في اسم السيف ، وأخرى في الزرع والنبات وغيرها في وصف الفتى أو الشيخ إلى غير ذلك ، فيدوّن ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع ، كالمحدث كان يسمع حديثا في الوضوء وحديثا في البيع وحديثا في الميراث فيجمع ذلك كله على ما سمع من غير ترتيب ، ودليل ذلك ما روي عن العلماء الأولين في روايتهم وعن صحفهم في تفسير كلمات متفرقة لا يربطها رابط .

(١) أحمد أمين ، ضحى الإسلام جـ ٢ ص ٢٦٣ ، ص ٢٦٤ .

٢ ـ جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد ، كالمحدث يجمع أحاديث الصلاة ويسميها كتاب الصلاة ، وأحاديث البيع ويسميها كتاب البيع ، كما فعل مالك في الموطأ ، والذي دعا هذا في اللغة ، على ما يظهر أنهم رأوا كلمات متقاربة بالمعنى ، فأرادوا تحديد معانيها ، فدعاهم ذلك إلى جمعها في موضع واحد . مثال ذلك ما روي عن الأصمعي : « من أصوات الخيل الشخير النخير والكرير فالأول من الفم . والثاني من المنخرين ، والثالث من الصدر ، ومثل قوله : « الهتل من المطر أصغر من الهطل » أو رأوا كلمات متقاربة اللفظ متقاربة المعنى ، فأرادوا تحديد معانيها في دقة . مثال ذلك ما قال الكسائي : « القضم للفرس » و« الخضم للانسان » ومثل « القبض الأخذ بأطراف الأنامل ، والقبض الأخذ بالكف كلها » و« القد طولا ، والقط عرضا » الخ . . .

أو رأوا كلمة واحدة وضعت لمعان مختلفة ففسروها ، كالذي قال الأصمعي : « العين النقد من الدراهم » والدنانير وليس بفرض ، والعين مطر أيام لا يقلع والعين عين الانسان ، والعين عين البئر ، والعين عين الميزان ، والعين عين النفس أن يعين الرجل رجل ينظر إليه فيصيبه بعين الخ .

ولكن هذه المحاولة لم تكن مستقصية ولا وافية ، بل كانت خطرات وأمثلة منثورة .

ولقد ألف في هذه المرحلة كتب ذات موضوع واحد ، فألف أبو زيد كتاباً في المطر ، وكتاباً في اللبن ، وألف الأصمعي كتباً كثيرة صغيرة كل كتاب في موضوع ، فكتاب في النخل ، والكرم ، وكتاب في الشاء ، وكتاب في الابل ، وكتاب في أسماء الوحوش ، وكتاب في الخيل ، وكتاب النبات والشجر الخ ، ولبيان نوع التأليف في ذلك نسوق مثلاً :

قال الأصمعي في كتاب النخل والكرم : ـ

« من صغار النخل الجثيث ، وهو أول ما يطلع من أمه ، وهو الودي والهراء والفسيل . وإذا كانت الفسيلة في الجذع ولم تكن مستأرضة فهو من خسيس النخل والعرب تسميها الراكب .

ويقول : ومن نعوت سعفها وكربها وقلبها : يقال للفسيلة إذا أخرجت قلبها قد

انسفت ويقال للسعفات اللواتي يلين القبلة « العواهن » في لهجة الحجاز . أما أهل نجد فيسمونها « الخوافي » .

وأصول السعف الغلاظ « الكرانيف » الواحدة كرنافة والعريضة التي تيبس فتصير مثل الكتف هي الكربة ، وشحمة النخلة هي الجمّار ، فإذا صار للفسيلة جذع قيل قد قعدت ، وفي أرض بني فلان من القاعد كذا وكذا ، والسعف هو الجريد عند اهل الحجاز ، واحدته جريدة وهو الخرص وجمعه خرصان ، والخلب الليف واحدة خلبة[1] .

٣ ـ وضع معجم شامل لكل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة وأول من فكر في هذا الموضوع ـ الخليل بن أحمد . فكر في أن يجمع كل ما عرف من ألفاظ العرب في كتاب مرتب وقد سمي كتابه كتاب العين باعتبار أول أجزائه ـ كما سمي أبو تمام كتابه بالحماسة لأنه أول باب من أبوابه العشرة .

وقد راعى في هذا الترتيب مخارج الحروف ، فبدأ بحروف الحلق ثم ما بعدها من حروف الحنك ، ثم الأضراس ثم الشفة ، وجعل حروف العلة آخراً .

ويبدأ من حروف الحلق بالعين لأنه من أقصى حروف الحلق ، وقد لوحظ عليه أن العين ليست أقصى الحروف مخرجاً ، وإنما أقصاها الهمزة ثم الهاء .

ولن أخوض فيما دار حول كتاب العين من جدل لأن هذا ليس موضعه .

هذه هي المراحل الثلاث لجمع اللغة ، ثم جمع المعجم ، وكانت كل مرحلة من هذه المراحل تسلم إلى ما بعدها . ولا يعكر على هذه الفكرة إلا أن الخليل وهو واضع الفكرة الثالثة كان أسبق زمناً من أبي زيد والأصمعي واضعي الفكرة الثانية ، ولكن نقول بأن الثلاثة تعاصروا زمناً طويلاً . فالخليل عاش من (١٠٠ ـ ١٧٥) والأصمعي من (١٢٢ ـ ٢١٣) وأبو زيد توفي سنة ٢١٥هـ . فقد عاشوا زمناً طويلاً وربما سبق الأصمعي وأبو زيد بالتأليف في المفردات .

هذا وكل ما ينطبق على اللغة ينطبق على الأدب . فقد كانت اللغة ممتزجة بالأدب امتزاجاً تاماً وهي المعبرة عنه ، ولقد كان لكل قبيلة أدبها كما كان لها لهجتها ، فتروي خطب خطبائها وشعر شعرائها ، ويحفظ الخلف آثار السلف .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦٥ .

على كل حال اتجه علماء الأدب إلى جمع المختارات ومن أقدم ما وصل إلينا من ذلك العصر : المفضليات ، والأصمعيات ، وجمهرة أشعار العرب . وقد روى المفضل القصائد كلها كاملة .

أما الأصمعيات فمجموعة قصائد تنسب إلى الأصمعي وهي سبع وسبعون قصيدة[1] .

أما جمهرة أشعار العرب فكتاب ينسب إلى أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، والجمهرة مختار من الشعر الجاهلي والمخضرم .

بعد أن جمعت اللغة والأدب نوعاً من الجمع جاء علماء النحو والصرف ففلسفوا اللغة كما فلسف الفقهاء آيات الأحكام من القرآن والأحاديث وفتاوى الصحابة والتابعين وكما فلسف المتكلمون العقائد .

وكما نعلم أن الرواة كانوا يجمعون ما يسمعون من القبائل المختلفة اللهجات فكان من الضروري أن يوجد في اللغة الترادف والمشترك والأضداد كما بينا ذلك في موضعه . ولهذا نقول أن جمع اللغة كما بينا آنفا كان هو الآخر عاملاً من عوامل نمو اللغة وإثراء ألفاظها نظراً لما كان في لهجات القبائل من اختلاف في الألفاظ ومدلولاتها فجمع الرواة ما جمعوا من هذه اللهجات وبهذا ظهر واضحاً أن اختلاف لهجات القبائل على أنواعها أدى إلى وجود ألفاظ ومعان مغايرة لألفاظ ومعان مستعملة عند قبيلة أخرى . فإذا ما سمعت هذه القبيلة أو تلك ، تلك الألفاظ أو المعاني فإنها تضيف إلى ما تعرفه من ألفاظ ألفاظاً جديدة ومعان جديدة وبالتالي يؤدي هذا إلى إثراء اللغة ونموها .

وقبل أن أنهي كلامي عن العوامل المؤثرة في تغير الألفاظ لا بد وأن نلمس أثر التصحيف والتحريف في الألفاظ ودلالتها .

فالتصحيف مصدر صحّف وهو أن يخطىء القارىء في قراءة الكلمة وروايتها لاتفاق في صورة أحرف الكلمتين ، واختلاف في النقط ، أما الحركات فقد تختلف وربما لا تختلف[2] .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٦ .

(٢) نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها ، الأب انستاس ماري الكرملي مطبعة العصرية ، الفجالة ، سنة ١٩٣٨م الطبعة الثانية وما بعدها .

وقد وقع هذا الأمر منذ القديم في اللغة حتى أن أبا عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهاني المتوفى سنة ٣٦٧هـ وضع تأليفاً بديعاً سماه : (التنبيه على حدوث التصحيف) وقد نبه فيه على التصحيف الذي وقع في متون الأحاديث النبوية ، وكلمات البلغاء كالإمام علي بن أبي طالب وفي الأشعار القديمة والأمثال السائرة[1] .

أما أمثال التصحيف فأكثر من أن تحصى ولكن نورد هنا بعض الأمثلة فقط .

قال أبو الفضل جمال الدين في مادة (ق ب ع) : وفي حديث الآذان : إنه اهتم للصلاة كيف تجمع لها الناس فذكر له (القبع) فلم يعجبه ذلك يعني البوق . رويت هذه اللفظة بالباء (أي القبع) والتاء (أي القتع) والثاء (أي القثع) والنون (أي القنع) وأشهر وأكثرها النون .

ومن المصحَّف اللفثون ، واللفنون ، واللفدود . وهو الخيشوم . وقالوا : أمر مدعمش ومدغمس ومدخمس ومدهمس . ومتهمس أي مستور . ولا جرم أن الأصل هو من مادة (د م س) من دمس الظلام دموسا : اشتد . والدمس من الأمور : العظام . والدمس أي ما غطى يقال شيء دامس أي مغطى ، ثم زادوا المادة هاء في الوسط ليدلوا بها على اشتداد الأمر وهي تزاد كذلك للتعظيم على ما ورد مثله كثير في اللغة . وأما سائر الأحرف فمبدلات منها ، والتصحيف في العربية كثير لا يقدر .

أما الاحتباء في التصحيف أو الاحتباء فهو أن تقرأ الكلمة ناقلا لفظة حرف أو نقطتي حرف إلى حرف آخر . وقد أحدث هذا الاحتباء أوهاماً وأغلاطاً شنيعة ، وربما لم يحدث أدنى ضرر .

فمثال الضرر ما جاء في أصل هذا المثل وهو : « أجهل خاصي المخنثين » فقد قيل إن جماعة من المخنثين ـ كانوا في المدينة في خلافة سليمان بن عبد الملك الأموي ، فأراد أن ينفيهم منها وكان عامله فيها أبا بكر عمر بن حزم . فكتب إليه يقول : أحص من عندك من المخنثين ، واتفق أن نقطة من السطر الأعلى وقعت فوق الحاء فصارت خا ، فخصاهم[2] .

---

(١) التنبيه على حدوث التصحيف ، حمزه بن حسن الأصفهاني ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ـ مكتبة النهضة ـ بغداد سنة ١٩٦٧ .

(١) نفسه .

وقد يسبب هذا التصحيف كلمات جديدة من غير أن يحدث فيها معاني حديثة فقد قالوا مثلا: العنرب والعترب والعيرب وهو السماق. الحال والخال الجال بمعنى الراية.

وقالوا النخاريب والتخاريب : خروق كبيوت الزنابير والثقب التي يمج النحل العسل فيها .

وفي هذا الكثير ويطول بنا المقام لو أردنا جمع هذا النوع من اللغة ولكن نكتفي هنا بهذه الأمثلة دالة على ما يحدثه الاحتباء من تغيير في دلالة اللفظ أحياناً وما يسببه من ضرر أحياناً أخرى .

وهناك نوع آخر من التصحيف وهو تشابه رسم الحروف :

ومشابهة الحروف بعضها لبعض أوقع أعظم العلماء واللغويين في مجادلات طويلة أضاعت من السلف كثيراً من أوقاتهم ومن ذلك :

البرق والريرق والريزق وهو عنب الثعلب[1] .

وأما التحريف فهو تشابه أحرف الكلمة بعضها لبعض في النوع : والشكل والعدد ، والترتيب لكنها تختلف في الحركات أو في الحركة السكون ، فأمثلة الأول : اللباب كسحاب : الكلأ القليل ـ واللباب كغراب : المختار الخالص من كل شيء .

واللباب كفراش : أوساط الصدر والمناحر ، واحدها لبة.

وقد ترد الكلمة الواحدة بحركات ثلاث ولا يتغير شيء من معناها : كالسم مثلا للثقب ولهذا القاتل المعروف . فقد وردت فيه الحركات الثلاث .

وقد يختلف المعنى باختلاف الحركة : فالحب مثلا بالفتح البزر وبالكسر المحبوب والمحب . وبالضم : الجرة الضخمة .

فان لم يكن القارىء واقفا على معاني تلك الكلمات باختلاف حركاتها خبط منهن خبط عشواء .

وأما المحرف باختلاف الحركات والسكنات فمشهور أيضا في اللغة مثال ذلك امرأة جلبّانه وجلبنانه وجلبنانه : مصوّتة ، صخابة ، مهذاره ، سيئة الخلق .

(١) المرجع السابق ص ٢٨ .

فقد تختلف المعاني باختلاف مواقع الحركات والسكنات وربما لا تختلف .

أقول بعد هذا العرض الموجز لاختلاف اللهجات وأثره في اللغة وكذلك التصحيف بأنواعه أقول أن اللغة العربية تأثرت بهذه المؤثرات التي ذكرناها فكان لهذا أن ظهرت ألفاظ جديدة ومعان جديدة أصبحت مألوفة لنا بعد أن استعملت ودارت على الألسن .

وهنا لا بد لنا أن نذكر بأن اختلاف الدلالة يجب أن يتأثر بالعوامل الآتية : اختلاف الصوت ، أو اختلاف بالنحو أو الصرف أو في الدلالة نفسها .

الفصل الثاني

٢ ـ اختلاف النظم والعلاقات الاجتماعية

لقد ذكرت أن اللغة كائن حي ينمو ويتأثر بما حوله شأنه شأن الكائنات الحية الأخرى ، وأن اللغة تحمل خصائص المتلاغين بها ، ولا شك في أن للعوامل الاجتماعية أثر كبير في اللغة . ونعرف تماما أن هذه العوامل تختلف من مجتمع إلى آخر وتختلف كذلك في المجتمع الواحد باختلاف العصور وباختلاف الطبقات والفئات والأعمال التي تمارسها كل فئة .

وأن دراسة السلوك اللغوي لأي فرد على جانب كبير من الأهمية فاللغة من صنع المجتمع ففي المجتمع يكون استعمالها وتعلمها والتعامل بها وبالتالي نموها وتطورها .

إن كل أمة تعتز بلغتها وتريد لها الحياة والاستمرار نظراً لما لهذه اللغة من أهمية كبرى إذ إن اللغة هي الوسيلة الوحيدة للتعبير عن آمال هذه الأمة وهي الوسيلة الوحيدة التي تكتب بها حضارة الأمة وتاريخها ومجدها وصناعتها وفنونها وآدابها وكل ما يتصل بها وهي الوسيلة الوحيدة التي تنقل للأجيال حضارتهم وتحفظ لهم تراثهم .

إننا نلمس أهمية اللغة بالنسبة لأي أمة من الأمم خاصة عندما تتعرض دولة أو أمة أو شعب من الشعوب للاستعمار والاحتلال والاضطهاد فإن الدولة المحتلة تفرض لغتها على الشعب المحتل وتحاول أن تطمس لغته ، بأن تستعمل الدولة المحتلة لغتها في المؤسسات الحكومية والمدارس وغيرها من دور العلم والمعرفة .

والأمثلة على ذلك كثيرة وواضحة جلية فلو بدأنا بالاستعمار والاحتلال المنتهي

والذي حاربته الشعوب وانتصرت عليه لوجدنا أن إيطاليا فرضت لغتها على ليبيا وفرنسا فرضت لغتها على التونسيين والجزائريين والمغرب وبلاد الشام ، ونجد أن بريطانيا فرضت لغتها على مصر وهكذا.

وفي الاحتلال والاستعمار المعاصر نجد ذلك واضحاً تمام الوضوح بما تقوم به دولة العدوان والاغتصاب في فلسطين من فرض العبرية على أبناء الوطن المحتل والذي يقاوم بشتى الوسائل هذا الاحتلال كما قاوم أشقاؤه العرب الاحتلال والاستعمار الثقافي الذي تفرضه دولة الاحتلال على أبناء فلسطين في المدارس وفي المعاملات الحكومية .

أقول إذن لا بد وأن تترك هذه الدول المحتلة بصماتها في حياة الشعوب المستعمرة ولو لفترة قصيرة فنجد في اللغة القومية ألفاظاً وعبارات من لغة المحتل لا تزال تستعمل في اللغة القومية ولكن لهذه الألفاظ إذا ما وجدت القبول والتداول من الناس أن تستمر في الحياة مع اللغة القومية جنبًا إلى جنب.

فكثير من الكلمات الدخيلة دخلت إلى اللغات القومية عن هذا الطريق وقدر لبعضها أن يدور على الألسن والأقلام فعاشت واستمرت وقدر للبعض الآخر الإهمال وعدم الاستعمال فاندثرت وماتت .

ونظراً لأهمية اللغة القومية بالنسبة لأي أمة من الأمم فقد عمدت الصهيونية إلى بعث اللغة العبرية ، إذ رأت الصهيونية أن من أهم عوامل تجمع اليهود هو بعث العبرية . وبهذا نرى الأهمية القصوى للغة القومية باعتبار أن اللغة ـ كما ذكرت ـ هي الوسيلة الوحيدة المعبرة عن آمال الأمة وآلامها وعن حضارتها وتقدمها وعن فنونها وآدابها .

ولقد تأثرت لغتنا العربية باللغات المجاورة أو لغات المستعمرين الذين مروا بأرض العرب فأخذت لغتنا من هذه اللغات وأثرت لغتنا بلغات المحتل وأصبح هناك تبادل في المفردات اللغوية وهذا ما يعطي اللغة ألفاظاً جديدة لم تكن معروفة من قبل في اللغة .

وأورد هنا بعض الألفاظ الأوروبية في العربية . باص ، أوتوموبيل ، دوش ، تاكسي ، بلاتوه ، سواريه ، ماتينيه ، وهناك مئات من المفردات الأوروبية وغيرها من اللغات التي دخلت العربية واستعملت من قبل الناطقين بها .

وعن هذا الطريق انتقل من اللغات الأوروبية كثير من الكلمات العربية مثل : في

الانجليزية Lemon, sugar, cofee, cumin, Domesk في الفـرنسية : Limon, safru, cotou, cumin, domas أقول أن اللغة عرضة للأخذ من اللغات الأخرى وكذلك العطاء لغيرها من اللغات الأخرى شأنها في ذلك شأن الكائن الحي الذي يأخذ ويعطي، يأخذ ما يحتاجه من المجتمع ويؤثر في المجتمع سلوكه وتصرفاته وعاداته وتقاليده وكما عرفنا اللغة هي الوسيلة الوحيدة للتفاهم بين أفراد الشعب لذلك فهي عرضة للتأثير والتأثر بغيرها .

أ ـ اللغة ونشاط الجماعة السياسي

عرفنا أن اللغة القومية هي عنصر أساسي في حياة الأمم والشعوب . فبواسطة هذه اللغة يتم التفاهم والتعاون وذلك في جميع أنشطة الحياة . ففي مجال السياسة مثلاً ـ وكما نعلم أن السياسة وجه من وجوه الحياة الاجتماعية للانسان يحتاج الفرد إلى لغة كي يتعامل بها وهذه اللغة عرضة للتغير حسب النظم السائدة في ذلك المجتمع . فلا بد من دراسة اللغة من الناحية الوصفية والتاريخية . ولا بد من دراسة عناصر لغة السياسة من المصطلحات والتعبيرات التي تستعملها الأنظمة السياسية المختلفة ، سواء من ناحية الدعاية أو في التعامل مع النظم الأخرى .

يقول الدكتور محمود السعران في « اللغة والمجتمع »[1] : إن وسائل الاقناع الكلامية تختلف من نظام إلى نظام آخر ، ففي النظام الفاشستي الهتلري أو الموسوليني تختلف عنها في نظام ديمقراطي ، وتختلف كذلك في النظام الشيوعي الروسي مثلاً عن النظام الشيوعي الصيني .

كل هذه الاختلافات لا بد وأن تترك بصماتها على حياة اللغة العامة .

فلو درسنا لغة الانتخابات مثلاً سنجد هناك الألفاظ الانتخابية التي تدعو لانتخاب مرشح معين والتنفير من انتخاب سواه. مع بيان اختلاف هذه الألفاظ باختلاف طبقة الناخبين والمرشحين.

فنجد مثلا يافطة تقول « انتخبوا مرشحكم الامين » وأخرى تقول « من أخذ أجره حاسبه الله على العمل » وأخرى تقول « خير من يمثلكم » ورابعة تقول «سأعمل على توفير المواد التموينية للشعب » وخامسة « انتخبوا ابن منطقتكم البار » . . . الخ.

(١) اللغة والمجتمع د. محمود السعران ص ٤٦.

هذا عدا المهرجانات التي يقيمها المرشحون والتي تتوالى فيها الكلمات الحماسية والدعائية للمنتخب . وفي أماكن أخرى تقام ولائم ويدعى الناخبون لهذه الولائم وتلقى القصائد والخطب .

وهناك الدعاية في الصحف والمجلات والاذاعة أحياناً ، فوسائل الإعلام المختلفة لها دور كبير في مثل هذه الحالات .

إذن لا بد من حدوث تطور في دلالة الألفاظ في كل مجتمع من المجتمعات وحسب نظام هذا المجتمع فمثلاً في المجتمعات الفقيرة تجد المرشح يحاول مخاطبة العاطفة عند هؤلاء الناس فيستعمل الألفاظ الملائمة لذلك ، مثل (ابن منطقتكم) (ابنكم) (الذي سيعمل على مساعدتكم) . وكذلك باقامة الولائم وتقديم الطعام لهؤلاء الناس .

أما في الأماكن التي يتمتع أهلها بالثراء فوسيلة الإقناع تختلف هنا . فيخاطب العقل ، سيقول مثلاً (لنعمل معاً على تحقيق الأهداف) (لنقاوم الظلم والتسلط) إلخ من الألفاظ المستعملة في مثل هذه التجمعات .

كما قلت اللغة تخضع لمثل هذه الحالات لأنها هي الوسيلة الوحيدة المعبرة عن الإنسان ، فنجد أن ألفاظا جديدة ظهرت . ونجد أن دلالات تبدلت ، وهذا كله كما ذكرت يخضع لمستوى الجماعة الذين تخاطبهم فإذا كان مستوى الجماعة فقيراً كانت الألفاظ كما ذكرت . وإذا كان مستوى الجماعة على مستوى من الثراء والرقي العقلي والثقافي فلا بد من استعمال وسائل الاقناع تمشياً مع ازدياد الوعي عند أفراد الشعب ، وحسبًا لتقدمه الحضاري .

(٢) فلو درسنا لغة المراسم[1] : نجد أن هذه اللغة في تغير دائم حسب رئيس الدولة فمثلاً عندما يصدر رئيس الدولة مرسوماً في الشؤون السياسية . كتأليف وزارة ، أو إقالة وزارة ، أو افتتاح برلمان أو تأجيله ، أو تعطيله لوجدنا أن هذه المراسيم تختلف من حكم إلى آخر ومن رئيس إلى آخر ، فمثلا مرسوم تكليف أحد الأشخاص بتأليف وزارة في زمن الحكم الملكي في مصر تختلف عن المرسوم الذي يصدر الآن في هذا الخصوص . وكذلك نجد أن هذا المرسوم يختلف أيضا من رئيس لآخر ، فنجد ألفاظاً كانت مستعملة في الماضي أي زمن الملكية (باشا ، بك) (عطوفة) (مولاي) وغيرها من الألفاظ .

(١) اللغة والمجتمع د. السعران ص ٤٧ .

أما الآن فنجد (السيد) (الدكتور) (سعادة) (الأخ) (عزيزنا) إذن ظهرت في هذا العصر ألفاظ لها دلالات جديدة واستعمالات جديدة .

كما أن خطب تولي المناصب في الدولة ، كخطاب العرش في الأردن مثلاً وخطاب رئيس الجمهورية في مصر ، تظهر لنا ألواناً مختلفة من استعمال اللغة في الميدان السياسي ، ونجد أنها تختلف كما ذكرت من رئيس إلى ملك أو من نظام لآخر .

ولو درسنا الألفاظ والتعبيرات المستعملة في الحروب ، تمهيداً لها أو في أثناءها أو بعد انتهائها لوجدنا هناك كثيراً من الألفاظ قد تغيرت وتبدلت وحلت محلها ألفاظ جديدة تستعمل في العصر الحاضر .

ففي الحرب العالمية الثانية اتخذت كلمة (الديمقراطية)[1] لوناً جديداً وتغيرت دلالة « الحلفاء » فبينما كانت تتضمن في نظر (الغربيين) بغضاً للروس لأنهم لم يكونوا (حلفاء) من قبل ، أصبحت أثناء الحرب الثانية تعني ـ من جملة ما تعنيه ـ مشاركة الروس في التخلص من عدو مشترك .

كما أن عبارتي «العالم الحر» و. «الأمم الحرة» كانتا أثناء الحرب تدلان على جملة الشعوب المعادية لألمانيا واليابان وإيطاليا ، ولكن بعد أن اشتدت « حرب الأعصاب » بين « الكتلة الشرقية » و« الكتلة الغربية » بعد انتهاء الحرب ، أخذت هاتان العبارتان تنطويان على المعاداة للكتلة الشرقية . كما أن الكلمات الإنجليزية المقابلة (العرق والدم والدموع) التي وردت في خطاب تشرشل ، أثناء الحرب ترمز عند الانجليز وعند كثير من حلفائهم إلى وجوب مولاة الجهود والدأب والصبر، والتماسك لإحراز النصر.

وتذكر لغة الحرب بلغة « السلام » والدعوة إليه والتحذير من الانسياق إلى الحرب .

وفي العصر الحاضر نسمع كلمات جديدة مثل (العالم الثالث) ، (الشعوب النامية) (دول عدم الانحياز ، حلف شمال الأطلسي ، حلف وارسو ، معاهدة الدفاع المشترك ، القوة النووية ، الصاروخ ، الأقمار الصناعية ، الطائرات العملاقة ، حاملة الطائرات ، الغواصات ، الأساطيل) ، (تقرير المصير) (حق تقرير المصير) (إعادة الحقوق) (التمييز العنصري) (التفرقة العنصرية) (دولة المواجهة) (جبهة التحرير) (منظمة

(١) اللغة والمجتمع د. السعران ص ٤٧ .

تحرير) (عمليات انتحارية) (حرب العصابات) (المحاور) (تعزيز القوات ، المناورات العسكرية ، رتل من الدبابات) (الحرب الباردة) .(النزيف الدموي ، السلام العادل في الشرق الأوسط ، إحقاق حقوق شعب فلسطين ، الهجوم المفاجئ ، اقتلاع الصهيونية) الخ من مئات الألفاظ المستعملة في عصرنا والتي اكتسبت دلالات جديدة .

وإن دراسة التغييرات الدلالية التي تصحب أي ثورة من الثورات لعلى جانب كبير من الأهمية . فالحركات الثورية كالثورة الفرنسية[1] والثورة الشيوعية والثورة المصرية سنة ١٩١٩ تنعكس في اللغة قيمها ومعنوياتها والوضع الذي تحدثه ، ويبرز ذلك في أنها تميت كثيراً من الألفاظ إذ تميت أو تريد أن تميت كثيراً من الأفكار والعادات ، وتحيي وتخلق كثيراً من الألفاظ لأنها كثورة تحيي وتخلق عادات وأفكار وقيم جديدة ، وتغير دلالات كثيرة لأنها ستغير كثيراً من العادات والقيم السائدة .

ولو درسنا أثر الثورة المصرية في اللغة لاتضحت لنا حقائق كثيرة ، فكثير من الكلمات التي كانت تحمل معنى الهزء والسخرية أصبحت تحمل معنى العزة والفخار ، مثل الفلاح ، الفلاحون ، العمال .

ونجد عبارة (الهلال مع الصليب) في ثورة سنة ١٩١٩ رمزاً للأخوة بين المسلمين والمسيحيين . واستعمال (أخواننا المسيحيين) أو (الأقباط) . وما صاحب ذلك من ظهور الأناشيد الوطنية والحماسية كل هذا أثر في اللغة .

أما ثورة سنة ١٩٥٢ فلها دور كبير ولها أثر فعال في اللغة فقد حكم بالموت على كثير من الكلمات والعبارات من لغة الكتابة بوجه خاص مثل (حضرة) (أفندي) (باشا) (صاحب العزة) (صاحب السعادة) (صاحب الرفعة) (صاحبة العصمة) و(البرنس) و(الأمير) و (الأميرة) و(سمو الأمير) و(الملك) و(صاحب الجلالة) و(الملكة) (وصاحبة الجلالة) .

وظهرت ألفاظ جديدة في الكتابة مثل (السيد) (سيادتكم ، سيادة) (سيادته) و(النظام الجمهوري)(الجمهورية المصرية بدلا من مملكة مصر)و(القصر الجمهوري) بدلا من (القصر الملكي) و(الديوان الجمهوري) و(مرسوم جمهوري) و(جيش الجمهورية) وكثر استعمال ، كلمة (التحرير) (جيش التحرير) و(مديرية التحرير)

(١) اللغة والمجتمع د. السعران ص ٤٨ .

(العزة) (الكرامة) ، (القومية العربية) و(التأميم) (الاتحاد الاشتراكي العربي) (تعدد المنابر) (يمين) و(يسار) و(وسط) (مجلس الشعب) (ميدان التحرير) .

ونجد أن هناك عبارات أخرى بعد عدوان إسرائيل على العرب سنة ١٩٥٦ ، مثل : (العدوان الثلاثي) (بور سعيد الخالدة) شعب بورسعيد الصامد .

وفي عدوان سنة ١٩٦٧ (العدوان الصهيوني الغاشم) و(نكسة) و(هزيمة) وفي حرب رمضان سنة ١٩٧٣ (حرب التحرير) (عبور القناة) (أبطال العبور) (حرب رمضان المجيدة) (معركة المصير) (التضامن العربي) (عودة جميع الأراضي المحتلة) (حرب الاستنزاف) (الانسحاب الاسرائيلي) (خطوة خطوة) (النمو الاقتصادي) (عهد الحريات) (التنسيق العربي) (وحدة الهدف) (وحدة المصير) .

من هذا كله نجد أن الألفاظ في تطور دائم وأنه في كل عصر لا بد للغة من مسايرة هذا العصر وما يحدث فيه من تطور ، ونجد كذلك أن هذه الألفاظ أصبحت تدل في مجملها على دلالات جديدة لم تكن مستعملة من قبل .

واللغة العربية في جميع أرجاء الوطن العربي الكبير تتأثر بالتطور الذي يحدث في أي من الأقطار العربية نتيجة للرابطة القومية والدينية والتاريخية . فمثلا نقول (الأخ السوداني الشقيق) أو (الأخ الفلسطيني) (جامعة الدول العربية) (الرابطة الإسلامية) (القومية العربية) (الدفاع عن العروبة)و (فلسطين الشهيدة)و (عودة شعب فلسطين) (وحدة اللغة) (وحدة التاريخ) (التاريخ المشترك) (المؤتمر الإسلامي) (مؤتمر القمة العربي) الخ من العبارات المتداولة والمستعملة .

ويدخل في لغة السياسة ما يصدر من بيانات سياسية بين دولتين أو أكثر من الدول واستعمال ألفاظ سياسية في هذه البيانات .

(الصادقة) (المودة) (الأخوة) (التحالف) (المصلحة المشتركة) (التعاون المتبادل) (الاحترام المتبادل) (العدو المشترك) (إقرار السلام العالمي) (تدعيم الاقتصاد) (تدعيم العلاقات) .

ولو أردنا التوسع في هذا المجال لطال بنا المقام ولكن نكتفي بهذا القدر من هذه الأمثلة على لغة السياسة وأثر هذه اللغة في ظهور ألفاظ وعبارات جديدة ودلالات جديدة أيضا .

نقول أن اللغة في تطور دائم ومستمر فتموت ألفاظ وتستحدث ألفاظ جديدة حسب حاجة المجتمع لهذه الألفاظ . وتكتسب هذه الألفاظ دلالات جديدة نتيجة الاستعمال والتداول .

ب ـ تطور الحياة الاقتصادية وأثره في تطور اللغة

نحن نعلم أن اللغة هي الوسيلة في التعامل والتفاهم ولـذا لا بد لهـذه اللغـة من مسايرة تطور الحياة في جميع مناحيها فالتطور الاقتصادي في أمة من الأمم يتبعـه تطـور لغوي وذلك حتى تستطيع هذه اللغة تلبية حاجة المتكلمين بها . ومن الطبيعي أن يتفاوت هذا التطور حسب البيئات المختلفة والجماعة الإنسانية .

يقول الدكتور السعران : إن طريقة العد وما في اللغة أو اللهجة من أعـداد لا يزالان عند بعض القبائل في مرحلة بدائية ساذجة ، وهما يبلغان عند أعظم الأمم حضارة درجة عالية من التفصيل والتعقيد ، وهذان يختلفان عند أصحاب اللغة الواحدة حسب حظ المتكلم من الثقافة .

ونحن مع الدكتور السعران في هذا الرأي حيث أن الأمم البدائية والتي لم تنـل قسطاً من الحضارة والتعليم لا تزال تعتمد على المحسوسـات بالعـد ولا تزال تستعمـل الطرق البدائية في العدّ ، ونجد الدول المتقدمة علميا وحضارياً تعتمد أرقى الأساليب في العد ونجدها تستعمل أعقد الأجهزة في ذلك وما العقل الالكتروني إلا وسيلة من هذه الوسائل وما الكمبيوتر إلا أحد هذه الأجهزة الحديثة .

فمع التطور الحضاري ظهر عندنا هذه الألفاظ ، الحاسب الالكتروني ، الكمبيوتر والآلة الحاسبة ، جهاز الحسابات ، وكل لفظة من هذه الألفاظ لها دلالتها الخاصة بها .

ولو انتقلنا إلى لغة المساومة لوجدنا أن المساومـة مرتبطـة بالبـداوة أو بألـوان من البداوة وأنها تختلف باختلاف الأمم وحضارتها وتقدمها .

ونلاحظ أن المساومة هي عملية أساسية في البيع والشراء . ومن المساومة المزايدة . إذ يحضر عملية البيع والشراء أكثر من شخص فيزيد أحدهم على الآخر في سعر البضاعة

المعروضة وهنا تأخذ عملية البيع والشراء أسلوباً خاصاً وهو أن يدخل البائع والمشتري في علاقات عن طريق الكلام فيكتسب أحدهما من الآخر ألفاظاً جديدة ومعاني جديدة وخاصة إذا كان أحدهما من بيئة مغايرة للآخر أو مخالفة للآخر . وحيل البائعين والمشترين والوسطاء ، وخداعهم وأفانين غشهم كما تبدو في تعبيراتهم اللغوية ، كأن يتفق شخصان ضد شخص ثالث ويتفق الطرفان على كلمة معينة لإبهام الطرف الثالث ليدفع المزيد في السلعة.

أما الإعلان عن السلعة فلغته مجال واسع للباحث اللغوي ، كنداءات البائعين لجذب انتباه السامعين ، والتشويق والترغيب[1] .

ولغة الاعلان تخاطب فينا غرائز وحواس تختلف باختلاف الموضوع المعلن عنه ، فكلام الإعلان عن مأكول أو مشروب يوجه إلى حواس غير تلك التي يتجه إليها الكلام عن إعلان سيارة أو عن دواء ، وهو يثير غريزة غير تلك التي يثيرها هذا أو ذاك .

ويلاحظ في لغة الإعلان اختلاف باختلاف الوضع الحضاري للأمة . فنداءات البائعين الجائلين في الجماعات البدوية والقريبة منها يكثر اللجوء إلى المجاز والتشبيه وإلى السجع وغيره من ضروب الترصيع ، ويبرز فيها الإطالة في المناداة والتغني والتلذذ بالكلام . أما في المجتمعات المتحضرة فنداءات البائعين تقتصر على أوجز عبارة وأدلها .

وتختلف النداءات باختلاف البائعين أنفسهم من حيث الذكاء والحيوية ، فالجماعات المولعة بالكلام نجد فيها أمثلة رائعة على المناداة على السلع ، أما تلك المعروفة بالإنطواء على النفس والتزمت فهي قليلة الحظ من الابتكار في هذا المجال ، ومن النداءات المسموعة في الاسكندرية ، بالعامية والتي يتضح فيها اللجوء إلى التشبيه والمجاز والوصف بالجودة وصفاً أشبه بالتغزل ، المناداة على السمك البلطي بـ (يا غريم السلاطة يا بلطي) ، على العنب « يا بيض اليمام يا عنب) وعلى الفول المدمس (اللوز) وعلى الخيار (أصابيع البوبو يا خيار) وعلى التين (يا معسل ياتين) ويا (مهيطل ياتين) وعلى الشمام (من بره حلو ومن جوه شهد) . و(بناتي يا عنب) و(فيومي يا عنب) . و(يا معسلة بالاقوى يا بطاطا) .

وفي كثير من النداءات في مصر يخاطب العاطفة الدينية فيردد فيها : الصلاة على

(١) اللغة والمجتمع ص ٦٠.

النبي والتغني ببركته ، مثل (صلاة النبي عليك يا عنب) وصلاة النبي أحسن ، وصلي علي النبي ، وصلي علي الزين و ، (النبي حارسك يا مشمش) .

وهناك الإعلان المسموع في الراديو ، والإعلان المشاهد في التلفزيون والإعلانات المكتوبة .

فالإعلان المسموع في الراديو يعتمد على الحوار ويكون مصحوباً بالموسيقى ، وقد يظهر بصورة مونولوج أو أغنية ، كالإعلان عن (المسحوق رابسو) أو غيره من الإعلانات أما الإعلان في التلفزيون والسينما فيتوفر فيه السمع والنظر ، وهنا يستغلّ المعلن ما يمكن استغلاله من فن الكلام وفن التصوير والتمثيل والغناء ، والموسيقى والرقص ، كالإعلان عن شركة التأمين مثلاً .

أما الإعلانات المكتوبة فنلاحظ إختلافاً في نوع الخط المألوف واختلافاً في النقط كأن يكتب كلمة (بسم الله الرحمن الرحيم) على شكل هندسي يثير انتباه المارة ، وأن يستعمل الخط البارز في الكتابة ، أو أن يشكّل العبارة بأشكال ملفتة للإنتباه .

أما لغة الحياة الزراعية والصناعية فإنها تمثّل ألواناً من العلاقات بين اللغة والمجتمع ، وأن لكل فرع من هذين الميدانين مفرداته الخاصة به . ومن شواهد اختلاف لغة أصحاب الحرفة الواحدة باختلاف العصور . أنه عندما تكون الحرفة وقفاً على أسرة معينة يتوارثونها فإن لهجاتهم تكون أشد تميزاً لهم منها عندما يسمح المجتمع لمن يشاء بالإشتغال بالحرفة أو الصناعة التي يختارها .

وحديث الفلاح إلى بهيمته وآلته ، وغناؤه عند الحرث والري والحصد ، وكلام الحداد عند الطرق والنفخ في الكور ، وغناء العمال الذي يقوده رئيس لهم ، كل ذلك وأمثاله جزء من العمل معين على إتمامه .

ونجد هناك كثيراً من الألفاظ في مجال الزراعة ، مثل (المزارع ، المزرعة والجمعية الزراعية ومبيد الحشرات ، ودودة القطن ، ورش المبيد ، والتسويق الزراعي ، والري والصرف ، الملوحة في الأرض ، المنتوج الزراعي) ومن الآلات (تركتور ، جرافة ، منخل ، كباسة ، فرازة ، دارسة) وغيرها كثير من الكلمات .

ونجد في مجال الصناعة كلمات كثيرة من الفرنسية والإنجليزية والإيطالية مثل :

ديزل ، تنك ، دريكسيون ، ستبن ، جير ، فتيس ، بستن ، سيير ، بروفه وفي لهجة الخياطين : مزورا ، فودره ، فرساليا ، بروفه ، وغيرها الكثير من الكلمات المستعملة في هذا المجال .

الدين وأثره في تطوّر الألفاظ

عرفنا أن اللغة تأثرت مباشرة بالدين الإسلامي وعرفنا كيف تطوّرت معاني ألفاظ كثيرة من الجاهلية إلى الإسلام ، وذكرنا ذلك في حينه . والذي يهمّنا هنا هو إثبات أثر الدين على اللغة ومدى تأثير الأديان في تطوّر الألفاظ وتطوّر دلالتها .

إن لفظة الدين تكثر من استعمال الكلم الغامض الخفي ، وذلك كاستعمال الحروف المقطعة في أوائل بعض السور القرآنية : (يس ، طسم ، ألم ، ألر ، كهيعص) مما لا يعرف معناه على الحقيقة[1] .

ومما تتصف به لغة الدين الرمز والمجاز وكثير من ألفاظها لو أخذ على ظاهره الغريب لإوقع في الخلط ، أو لم يحدث الأثر المقصود[2] .

وإن لفظة الدين محافظة موغلة في المحافظة وذلك لأنها تتصف بالتقديس فلا يستطيع أحد مساسها من قريب أو من بعيد .

ومن تقديس الألفاظ الدينية أن الشعوب الإسلامية التي لا تتكلم العربية كالإيرانيين والهنود والأندونسيين ، والأتراك ، يردّدون بعض عبارات دينية باللغة العربية .

ومن جوانب استعمال الكلام في الشؤون الدينية في الإسلام لغة الآذان والأدعية ، والصلوات وخطب الجمعة ، والأذكار ، واللغة المستعملة في الحج في مراحله المختلفة ، كلغة السعي بين الصفا والمروة ولغة الطواف ، ولغة الرجم ، ولغة الدعاء ، ومن ذلك اللغة المتصلة بالموت كالصلاة على الميت والدعاء له ، والكلام الذي يقال أثناء تشييع

(١) اللغة والمجتمع د. السعران ص ٦٦ .
(٢) نفسه ص ٧٢ .

الجناز ، وما يقال عند دفنه وبعده ، وفي التعزية وفي الشكر عليها ، ومن العبارات المستعملة : ـ

(عظم الله أجركم) (شكر الله سعيكم) (البقية في حياتك) (البقية فى دين محمد) (البركة فيك) (لا أراكم الله مكروها) .

واللغة المستعملة في عقد القران ، كتلاوة القرآن ، وكلمة (المأذون) (وصيغة العقد) و(كلام المهنئين) مثل (مبروك ، مبارك) ، الله يبارك فيك (عقبال البكاري) (بالرفاء والبنين) عقبال عندكم .

ومن عبارات القسم (والله) (والله العظيم) (وربنا) (واللي خلقك) (والنبي) (وحياة النبي) (وشباك النبي) (والمصطفى)(والمصحف) (والمصحف الشريف) (والقرآن) (والقرآن الكريم) (والكعبة الشريفة) (والسيدة زينب) (وسيدنا الحسين) (والمرسي أبو العباس) .

ومن العبارات الشائعة على ألسنة المتكلمين بالعربية : (لا حول ولا قوة إلا بالله) و(أستغفر الله) و(أعوذ بالله) و(اتكل على الله) .

ولغة السائلين معظمها عبارات دينية وأشعار دينية منها في السؤال : (لله ، أعطنا مما أعطاك الله ، يا رب يا كريم ، يا كريم ، حسنة لله ، شيء لله يا سيدي ، شيء لله يا أسياد) .

والرد على السائلين عند عدم إعطائهم (على الله ، ربنا يديك ، وربنا يرزقك ربنا يسهلك) .

ومما يكثر استعماله على ألسنة الأمهات لأطفالهن (اسم النبي حارسك وصاينك، ربنا يحرسك ، ربنا يحميك ، اسم الله عليك ، ما شاء الله) .

وقد تنتقل كثير من العبارات الدينية إلى لغة الغزل والتعريض بالنساء ومن ذلك في العامية المصرية: (يا دين النبي، اسم الله يا جميل ، اسم الله عليك ، اسم الله عليها وعلى مشيتها ، يا جمال النبي) .

وفي لغة المواسم الدينية كالإحتفالات بمولد الرسولﷺ ويوم عاشوراء، وليلة القدر، وشهر رمضان المبارك ، والعيدين.

أقول أن للدين أثر كبير في اللغة وفي إحياء ألفاظ ودلالات وفي ظهور ألفاظ وعبارات جديدة ظهرت بظهور الدين ، فمثلاً في العصر الجاهلي لم يكن هناك صوم رمضان ، ولم يكن هناك إقامة الصلاة ، ولم يكن هناك إعطاء الزكاة ولم يكن هناك حج بيت الله الحرام ، فجاء الإسلام وشرع للناس ووضع القوانين والشرائع وأن هذه القوانين والشرائع لا بد من لغة تكتب بها . فكانت لغتنا العربية وفوق هذا كله كانت لغة القرآن الكريم وما جاء به من أحكام وأصول في الشريعة والفقه ، وما حدث من ظهور المذاهب الأربعة في الإسلام والإجتهادات المختلفة حول كل موضوع وقضية ، كان لهذا كله الأثر في اللغة العربية وكان له الأثر الكبير في نمو لغتنا وإثرائها .

وما الألفاظ والعبارات الدينية إلاّ خير شاهد على ذلك ولقد اكتسبت ألفاظ كانت مستعملة معانٍ جديدة أصبحت تدل عليها ، . كما بينا في مكان آخر ـ وضربنا أمثلة على ذلك ، فكلمة الصلاة أصبحت بمعنى العبادة المعروفة لنا ، والإيمان ، والحج ، والزكاة ، والصوم ، وجميع أنواع العبادات ، والصدق والأمانة والشهادتين ، والدعاء في الصلوات ، والركوع والسجود ، وسجود السهو والإيماء ، وكل ما يتعلق بديننا الحنيف من شعائر . وسوف يطول بنا المقام لو تعرضنا لها بالتفصيل ، وإنما الذي يهمنا هنا هو إثبات أن للدين أثر كبير في حياة اللغة وفي تطورها ، وهذا ليس مقصوراً على الدين الإسلامي فحسب ، مع العلم أن الدين الإسلامي هو خاتمة الأديان ، وأن الرسول الكريم هو خاتم الأنبياء والرسل ، ولكن لأن ديننا الإسلامي ولغة القرآن هي العربية لهذا كان جل اهتمامنا وتركيزنا على لغتنا وعلى ما أحدثه ديننا الكريم من تطور وإثراء لهذه اللغة الكريمة .

ومن أراد المزيد لدينا الكثير من كتب الفقه وأصول الشريعة التي عنيت بأصول الدين وشرائعه وقوانينه وفيها الكثير مما يدلّ على أن لغتنا كانت مسايرة ومتطورة مع ديننا الحنيف .

ولقد ظهرت كلمات وعبارات جديدة واكتسبت هذه الألفاظ دلالات جديدة لم تكن معروفة في عصر ما قبل الإسلام وإن كانت معروفة فكانت دلالتها مغايرة للدلالة الجديدة التي اكتسبتها في ظل الدين الإسلامي .

وجملة القول أن للأديان أثرها الكبير في تطور الألفاظ ودلالتها وذلك لأن الأديان تأتي بنواميس جديدة وشرائع ومعتقدات لم تكن موجودة قبل نزول الوحي أو التبشير

بالأديان والرسالات ، ولهذا لا بد من استعمال ألفاظ لم تكن مستعملة ولا بد من إعطاء ألفاظ ذات دلالات جديدة لم تكن معروفة بها من قبل لأن الدين الجديد جاء بكل جديد ولا بد لهذا الدين من لغة تكتب أحكامه وأصوله وشرائعه وعباداته ، وكانت لغتنا العربية وهي لغة القرآن الكريم مسايرة لهذا الدين فوسّعت كل ما جاء به وما زالت على الطريق تسير لأنها كديننا الحنيف صالحة لكل الأزمان .

وبعد : فإن اللغة ليست من الأمور التي يمكن أن يصنعها فرد واحد ، وإنما تخلقها طبيعة الإجتماع الإنساني وما يقتضيه هذا النسق من الحياة من تعبير عن الخواطر وتبادل الأفكار ، فهي بالتالي نظام اجتماعي تخضع لما يخضع له المجتمع من مؤثرات تتطور بتطوره وتنمو بنموه ، فإذا عرفنا مما يتكوّن المجتمع عرفنا بالتالي العوامل الإجتماعية التي تؤثر في التطور والتغيّر اللغوي .

نحن نعلم أن المجتمع الإنساني هو عبارة عن نسق مكوّن من العادات والتقاليد والأعراف والإجراءات المرسومة كالنظام الإقتصادي والسياسي والديني وما بهذا المجتمع من مدارس وجامعات ومعاهد وما بهذا المجتمع من مؤسسات فنية كدور العرض السينمائية والتلفزيون والإذاعة وغيرها من وسائل الإعلام كالصحافة والمجلات وعلى رأس كل هذا اللغة باعتبارها إحدى المكونات الأساسية للمجتمع لأنها الوسيلة الوحيدة للتفاهم والتعامل . كل هذه المكونات نطلق عليها في العصر الحديث اسم المجتمع .

ولأن اللغة من خلق الفكر وخلقت خصيصاً لتيسير التبادل المادي والفكري مع المجتمع ولأن المجتمع لا يثبت على حال بل يتغيّر ويتطوّر ، فلا بد للغة من مسايرة هذا التطور والتغير . وهي الصورة الصادقة المعبّرة عن حضارته ونظمه .

فالمعجم اللغوي لأمة ما ، هو في نفس الوقت صورة ملخصة لما تعرفه هذه الأمة في حياتها اليومية وكيانها الإقتصادي والسياسي والديني والأخلاقي ، وتقدمها العلمي والفني . فكل تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي نجد صداه يتردد في اللغة ، ولهذا تعدّ اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب .

ولقد وقفنا أمام هذه العوامل الإجتماعية التي تؤثر في اللغة وبينا ما تحدّثه هذه العوامل من تغير وتطوّر في اللغة فتدفعها نحو التطور والتغيّر والنمو مسايرة بذلك ركب التطور الحضاري المستمر . وأملنا بالله كبير بأن نكون قد وفقنا بعرض هذه العوامل وأن نكون قد وفيناها حقّها من الدرس والتحقيق ، وبالله التوفيق .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخاتمـــــة

تبيّن لنا مما ذكرناه عن أصول اللغة العربية فيما توالى عليها من العصور والأدوار في أثناء نموها وارتقائها من زمن الجاهلية إلى هذا اليوم ، أنها سارت في كل ذلك مسير الكائنات الحية بالدثور والتجدد المعبّر عنه بالنمو الحيوي .

فقد تولدت في العصر الإسلامي ألفاظ لم تكن في العصر الجاهلي وتولدت في العصور التالية ما لم يكن فيما قبلها ، وأخيراً تولدت في نهضتنا الأخيرة من الألفاظ ما لم يكن معهوداً من قبل ، فالوقوف في سبيل النمو مخالف للنواميس الطبيعية فضلاً عن أنه لا يجدي نفعاً .

فاللغة كائن حي نام خاضع لناموس الارتقاء ، ولا بد من توالي الدثور والتجدد فيها أراد أصحابها ذلك أم لم يريدوا .

تستحدث ألفاظ جديدة وتندثر ألفاظ قديمة على مقتضيات الأحوال لحكمة شملت سائر الموجودات ، وقد آن لنا أن نخلّص أقلامنا من قيود الجاهلية ونخرجها من سجن البداوة ، وإلا فلا نستطيع البقاء في هذا الوسط الجديد . فلا ينبغي لنا احتقار كل لفظ لم ينطق به أهل البادية منذ بضعة عشر قرناً . لأن لغة البراري والخيام لا تصلح للمدن والقصور إلا إذا ألبسناها لباس المدن فلا بأس من استعمال الألفاظ الجديدة التي لا يقوم مقامها لفظ جاهلي لأن معناها لم يكن معروفاً في الجاهلية ، أو التي كان لفظها وترك فأصبح غريباً مهجوراً . فاستعمال اللفظ الجديد خير من إحياء اللفظ الميت واستبقاء اللفظ الجديد أولى من إحياء الميت القديم .

وإذا عرض لنا تعبير أجنبي لم تستعمل العرب ما يقوم مقامه لا بأس من اقتباسه ، وفي اعتقادي أن إطلاق سراح الأقلام على هذه الصورة يكشف لنا عن جماعة كبيرة من

أرباب القرائح يقعدهم الإشتغال بالأدب خوفهم من الوقوع في خطأ لغوي أو بياني يؤاخذون عليه .

ومع ذلك فلا بد من المحافظة على سلامة اللغة العربية والإهتمام باستبقائها على بلاغتها وفصاحتها ، وخاصة بعد أن أخذت تنهض إلى أرقى ما بلغت إليه في إبان شبابها فلا يستحسن الإكثار من الدخيل والمولد وإنما يؤخذ منهما بقدر الحاجة ، على أن نعد ذلك الإقتباس نمواً وارتقاء لا فساداً وانحطاطاً .

وبعد، فهذا البحث هو محاولة لسد النقص في دراسة العوامل الخارجية المؤثرة في تطور الألفاظ وأثر ذلك على الدلالات وذلك في ضوء ما توصل إليه علم اللغة الحديث من نتائج وقوانين تحكم الصلة بين اللغة والمجتمع . ولما كان من العسير على باحث واحد أن يتتبع الجوانب المختلفة والظواهر المتعددة على مستويات الدرس اللغوي صوتاً ولفظاً وتركيباً ودلالة في إطار هذا التغيّر اللغوي الذي أصاب اللغة العربية منذ ظهور الإسلام ومن اليوم . لهذا اخترت العوامل الخارجية المؤثرة في تطور الألفاظ ودلالاتها لما لهذه العوامل من أثر مباشر على تطور وتغيّر الألفاظ من حيث علاقة اللفظ بالمعنى .

ومن ثم فإن هذا البحث قام على دراسة العوامل الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والبيئية والتقدم الحضاري والتقني وما لهذه العوامل من أثر مباشر في نمو اللغة وتطورها لفظاً ودلالة . ولقد بحثت أيضاً عاملاً هاماً من عوامل التوسع اللغوي وهو عامل الإشتقاق في اللغة وأوضحت أثر الإشتقاق المباشر في اللغة من حيث إثراء اللغة عن طريق الإشتقاق كسائر اللغات الحية .

ولقد كان للمجاز نصيب كبير في هذا البحث حيث أن المجاز من العوامل الخارجية الهامة في التوسع اللغوي حيث أن المجاز يعطي اللغة مرونة واتساعاً وهذا ما تمتاز به لغتنا العربية . ولقد أوضحت أثر المجاز في نمو اللغة وتطورها .

ولقد قمت بدراسة ظاهرة لغوية هامة وهي ظاهرة ما يسمّى بالتضخم اللغوي والتي تشمل الترادف والمشترك والأضداد في اللغة وخاصة إلى نتيجة هي أن لهذه الظاهرة أثراً كبيراً في اتّساع اللغة ونموّها فمثلا نجد لكلمة «القمح» مرادفاً وهو البر والحنطة ونجد أن كلمة العين تشترك في ثلاثة عشر معنى كالعين للجاسوس والعين المبصرة والعين المال الخ . ونجد أن لفظة السليم تطلق على الملدوغ . ولقد كان للهجات العربية نصيب في هذا البحث حيث أوضحت أثر اللهجات على تطور اللغة ونموها . وعرضت بإيجاز شديد

لجمع اللغة وأثر ذلك في إضافة ألفاظ جديدة ذات دلالات جديدة نتيجة لتصحيف أو تحريف طرأ على اللفظ.

وقمت بدراسة أثر اختلاف النظم السياسية والإقتصادية السائدة في المجتمع وأثر ذلك على تطور الألفاظ وتغيّرها وكذلك أوضحت أثر الدين في استعمال الألفاظ والعبارات المختلفة وأوضحت الأثر المباشر لهذه العوامل الخارجية كلها في نمو وتطوّر وإثراء لغتنا وما يصاحب هذا من نمو وتطور في المعاني مسايرة بذلك ركب التطور الحضاري المستمر.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(الإقتراحات)

أما النتائج العملية والتوصيات المقترحة فهي :

- ألا نترك لغتنا نهباً للتطور المرتجل وغير الضروري في حياتنا المعاصرة ، بل نخضعه لقوانين اللغة وقواعدها . فلا أمل في رقي الكلمة المرتجلة إلى مصاف غيرها من اللغة الفصحى ، وإذا تركنا الباب مفتوحاً على مصراعيه لهذا التطور فإن اللغة سوف تصاب بمرض التضخم اللغوي وهو مساوٍ في ضرره لتوقف اللغة عن النمو والثراء اللغوي.

- ألا يكون الإرتجال وحده طريقاً لإثراء اللغة ونموها ، بل يكون الإشتقاق والقياس والمجاز والنحت والتركيب طريقاً لذلك. ولغتنا العربية تمتاز بهذا الإتساع دون غيرها من اللغات.

- ومن ناحية الدخيل والمعرب أن لا نفتح الباب على مصراعيه لكل دخيل في اللغة دون رقابة ، لأن في هذا خطراً كبيراً على اللغة إذ مع مرور الزمن سنجد أن هذه الألفاظ الدخيلة قد أخذت مكان الكلمات العربية الأصلية وبهذا يكثر الدخيل في لغتنا وتكون عرضة لغزو اللغات الأخرى دون أن تجد اللغات الأجنبية أدنى محافظة من أهل اللغة على تراثهم اللغوي ، أقول يجب أن نخضع الدخيل لقواعد وأصول اللغة وأن نأخذ منه حسب الحاجة الملحة والضرورية .

- أما ما يختص بالنقل والتعريب الذي تقوم به مجامعنا اللغوية في العالم العربي خدمة للغة فأرجو أن يتوحد النقل في سائر أرجاء الوطن العربي وأن تحاول هذه المجامع مشتركة أن تجد خطة موحدة لتعريب الأسماء الأجنبية والمخترعات وأن تطلق عليها مسميات واحدة في العالم العربي كله .

- وفيما يختص بوسائل الإعلام من إذاعة وصحافة وتلفزيون فأرجو أن يكون هناك مراعاة

في استعمال اللغة الفصحى ، مع مراعاة ما تحدده المجامع اللغوية من ضوابط لغوية .

ولا شك أننا سنجد في نهاية هذا العمل « دراسة للعوامل المؤثرة في التطور اللغوي والتغير الدلالي » نستطيع أن نتبين منها أثر العوامل الخارجية في تطور اللغة وتغير دلالتها ونكون بذلك قد أسهمنا في إيضاح المتغيرات التي تؤثر في حياة لغتنا العربية ، وبذلك نستطيع أن نضع العلاج الناجع لكل ما تتعرض له هذه اللغة من عوامل خارجية فإذا عرف الداء يسهل علينا معرفة الدواء .

فإذا كان ثمة جديد في هذا البحث فإنني أستطيع القول أنه قد وضع العوامل الخارجية غير اللغوية المؤثرة في تطور اللغة وتغير دلالتها في إطارها الصحيح وأوضح كثيراً من الغموض والملابسات التي كانت تكتنف هذه العوامل المؤثرة في التطور اللغوي .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

« جدول الألفاظ المعربة والدخيلة »

أبرشية ، يوناني Aparchia
معناه ولاية الأسقف ورعيته .

ابريز ، يوناني Obryzon
معناه الذهب الخالص .

ابرسيم ، فارسي
«ابرشيم » معناه الحرير .

ابريق ، فارسي
(أبريز) معناه يصب الماء .

ابزيم ، فارسي
وهو فتحة مربعة في جوفها لسان تعلق بطرف الحزام .

إبليس ، يوناني Diabolos
معناه كذاب ونمام وهومن أسماء الشيطان .

أبنوس ، يوناني Ebenos
وهو خشب أسود شديد الصلابة شجره ينبت في الهند فيكون بالطبع اسمه هندي .

أثير ، يوناني Œither
من **aithe** احترق ولمع .

أثيل ،يوناني Esthios
معناه نزه الخلق وشريف .

أخور ، فارسي
«أخور » مرادفه مأوى الدواب .

أخيون ، يوناني Echin
مقطوع من **Echina** معناه أفعى وهو نبات وصنف منه له زهر أبيض .

أرجوان ، فينيقي
وفي العبرانية «أرجمان » وهو حيوان في جوف صدفة .

أرغن ، يوناني Organon
معناه عضو ، وآلة ، ومجاز آلة طرب .

أريكه ، يوناني Arikoite
معناه فراش وثير .

اسبانخ ، فارسي
«اسفانخ » وهو بقلة بستانية تشبه السلق .

أستاذ ، فارسي
(استاد) معناه معلم .

أساطير ، يوناني Istoria
معناه أخبار تاريخية وقد استعملها العرب بمعنى خرافات .

استبرق ، فارسي
معناه الديباج الغليظ .

اسطبل/ اصطبل ، لاتيني Stabulam
معناه مأوى الخيل والدواب

اسطرلاب ، يوناني
مركب من **astron** اي كوكب و**Lambauo** اخذ وكان الفلكيون القدماء يعرفون حركة الكواكب بهذه الآلة .

أسطول ، يوناني Stolos
معناه حملة حربية وطائفة سفن .

أسطوانة ، فارسي
(أستون) .

اسفنج ، يوناني Spoggos
معناه منعصر وهو حيوان بحري .

أسقف ، يوناني Episcopos
معناه في الأصل الملاحظ

اسكمله ، تركي
« اسكمله » معناه كرسي .

أطلس ، يوناني
مجموع خرائط **Atlas** » وهو اسم الجبار حامل الكرة الأرضية .

افريز ، فارسي
(افراز) معناه مرتفع عربيه طنف .

افندي ، تركي
«افندي » معناه السيد .

أفيون ، لاتيني Opiam
في اليونانية **opion** معناه جائع وهو عصارة الخشخاش

اكسجين ، يوناني
مركب من **oxys** اي حامض ومن **gannao** أي ولد .

ألماس ، يوناني Adamas
معناه غير مروض مرادفه السامور . حجر كريم .

أناضول ، يوناني Anatolé
معناه الشرق .

انجيل ، يوناني Evaggelion
معناه خبر بشاره وبشرى فرح

ايوان ، فارسي
«ايوان » يراد به قاعة الدار ومشارفها

بابا، لاتيني Papa
الأب .

بابوج، فارسي
(بايوش) معناه غطاء الرجل

بابور ، ايطالي Vapore
معناه بخار مرادفه باخرة

بابونج ، فارسي
«بابونه » وهي حشيشة ذات زهر أصفر يتداوى بها .

باذنجان ، فارسي
بادينجان .

بارجه ، ايطالي Fregato
وهو اسم طائر مائي سميت تلك السفينة باسمه.

بارنامج ، فارسي
مركب بار أي مرة وحمل من نامه أي كتاب ورسالة.

باره ، فارسي
(باره) معناه قطعة .

بارود ، تركي
(بساروت) وهو مأخوذ من **poudre** الافرنسية . أي غبار وقد أطلقوه على الغبار الفارسي ومنه البارودة يقذف منها الرصاص والخردق .

بارومتر ، يوناني
مركب من **baros** أي ثقل **Metron** أي قياس ، وهو يستعمل لمعرفة ثقل الهواء وحفظه .

باشا ، فارسي
(باشه) وهو طائر أصغر من العقاب.

باله ، ايطالي Balla
معناه كيس .

بالون ، ايطالي Pallone
معناه كرة كبيرة وعربيه منطاد.

باقة ، افرنسي Bouquet
معناه ضمة زهر

باميا ، من أمريكا الجنوبية
نبات له قرون تطبخ واسمه في امريكا **gombe** وعربوه باميا.

ببغاء ، هندي
أصل هذا الطائر من الهند .

بترول ، ايطالي Petrollo
معناه زيت الحجر والنفط يستخرج منه .

بخت ، فارسي
(بخت) معناه حظ .

برج، يوناني Pyrgos
معناه حصن .

برداية ، ايطالي Portiera
معناه ستر الباب ، أصله فارسي «برده».

بريد ، فارسي
من برديه أي حمل .

بردى ، مصرية
وهو نبات كالقصبة .

بردعه ، آراميه
(بردعنا) أي ثوب الدابة

برغي، تركي
(بورغو) عربية لولب .

برميل ، ايطالي Barlle
وهو وعاء مستدير من الخشب .

بز ، ارامية
(بزا) أي الثدي.

بشلك ، تركي
«بشلك » معناه خماسي .

بطاريه ، ايطالي Batteria
معناه ضاربة ويراد به عدة مدافع تطلق معا .

بغداد ، فارسي
مركب من باغ اي بستان وداد اي عدل .

بقدونس ، آرامي
(بقلادانش) معناه بقل الانسان وهو بقل حار يؤكل .

بلاط ، لاتيني Palatium
معناه قصر أي دار الملك وليس هو مأخوذ من البلاط الذي يفرش .

بلسم ، يونانية Balsamon
مأخوذة من الأرامية (بسما) اي عطر وطيب ومنه البلسان .

بلغم ، يوناني Plegma
معناه التهاب .

بنج ، تركي
(باشل اوتى) وهو نبات مسبت منوم .

بنطلون ، ايطالي Pantalone
معناه نسيج يبلغ الى العقب .

بنفسج ، فارسي
(بفنشه) وهو نبات زهره طيب الرائحة .

بنك ، ايطالي Banca
معناه في الأصل مقعد من الخشب مرادف مصرف .

بوق ، لاتيني Buccina
مرادفه الصور والناقور والنفير .

بندق ، فارسي
(فندق) وهو شجر .

بوغاز ، تركي
(بوغاز) معناه خليج ومضيق .

بوليس ، يوناني Pliitea
معناه تدبير المدينة مرادفه الشرطه .

بيدر ، آرامية
(بيت ادرا) بمعنى موضع تدرس فيه الحنطة .

تابوت ، عبراني
(تبه) وهو صندوق من خشب .

تبان ، فارسي
(تنبان) سروال صغير .

تبغ
مشتق من اسم جزيرة في المكسيك **Tapago** حيث منشأه فنقل الى التركية تنباكو وهو المعروف بالدخان وبعضهم يقول تتن من التركية وتوتون وعربه بعض الأطباء (طباق) .

تراخوما ، يوناني Trachoma
معناه خشونة مرادفة الرمد الذي يصيب العين .

ترمس ، يوناني Thermos
معناه حار وهو نبات له حب مر الطعم .

تلغراف ، يوناني
معناه الكتابة عن بعد وهو مركب من **telos** غاية ونهاية وحد و**grafo** كتب .

تلفون ، يوناني
معناه المخاطبة عن بعد وهو مركب من **fone,** **telos** أي صوت .

تلميذ ، عبراني
معناه متعلم وهو مشتق من (لمد) اي علم ومنه التلمود اي كتاب سنن اليهود وتعليمهم .

تنور ، عبراني
(تنور) وفي الأرامية (تنورا) وهو منحوت من (بيت نور) في الأرامية أي بيت النار .

توراة ، عبراني
(تورة) معناه عندهم عادة فتعليم فشريعة وتطلق على أسفار موسى الخمسة وهو مشتق من (بره) أي ألفي ووضح و(توره) في الفارسية معناه شريعة .

تياترو ، ايطالي Teatro
ومن اليوناني **Theatron** معناه مشهد ومنظر مرادفة محضر وملهى وملعب .

تيفوس ، يوناني Tyfos
يراد به الحمى المحرقة

جادة ، فارسي
(جادة) معناه الطريق العظيمة أي المفتوحة .

جان ، جن ، فارسي
(جان) وفي اللاتينية **Ganium** يراد به عند القدماء الأرواح السابحة في الهواء . وجان في الفارسية معناه روح ونفس وحياة .

جدث ، عبراني
معناه قبر (جديش) .

جرنال ، ايطالي Giornale
معناه يومي مرادفه جريدة .

جزمه ، تركي
(جزمة) وهو حذاء طويل الساق .

جص وجبس ، يوناني Gypsos
وفي اللاتينية **Hypsus** وهو سلفات الكلس الممتزج بالماء يطلى به .

جغرافية ، يوناني
مركب من **ge** اي أرض و **Grafo** أي كتب ووصف مرادفه تخطيط الأرض ووصفها .

جاموس ، ارامي
(جموشا) وفي الفارسية (كاومبش) مركب من كاو اي بقرة ومبش اي نعجة .

جمان ، لاتيني
لؤلؤ أما **Gemuna** اللاتينية فهو اسم جنس لكل حجر كريم .

جندرمة ، ايطالي Gendarme
معناه رجال السلاح مركب من **gente** أي ناس و **diarme** أي ذوو سلاح .

جنرال ، ايطالي Generale
معناه عام ويراد به قائد الجيش .

جوخ ، تركي
(جوخه) وفي الفارسية (جوخا) .

جوز ، فارسي
لأن منبت هذا الشجر بلاد فارس .

حباري ، فارسي
(أبره) وهو طائر .

حرش ، عبراني
(حرش) أي غابة وأجم .

خاتون ، تركي
معناه المرأة والسيدة .

خارصيني ، فارسي
معناه حجم صيني وهو ضرب من المعادن حار في الفارسية معناه حجر صلب .

خاقان ، تركي
معناه السلطان الأعظم .

خان ، ارامي
منزل تحريف حانوت الارامي وهو مشتق من (حنة) العبراني الذي معناه خبم اي نصب الخيام ومنه حانوت خمارة ودكان ومنزل .

خانة ، فارسي
(خانة) معناه بيت .

خام ، فارسي
(خام) معناه فج ويطلق على الرجل غير المجرب .

خرج ، فارسي
(خوره) وهو المزاده توضع على الدابة

خردة ، فارسي
(خرد) معناه صغير ودقيق ويستعمل في العامية الكويتية لتدل على قطع العملة الصغيرة .

خنجر ، فارسي
معناه في الأصل فاعل الدم مرادفه مدية

خوذة ، فارسي
(خوذ) وهو بيضة الحديد .

خيار ، فارسي
وهو نبات له ثمر كالقثاء.

خيزران ، هندي
شجر هندي لين القضبان .

دالية ، آرامي
(دليقا) أي شجرة العنب .

داما ، تركي
(داما) هي لعبة معروفة وهو مشتق من (دام) الفارسي الذي معناه حبائل وحيلة .

داية ، فارسي
«داية » معناه القابلة والمرضعة .

دجال ، ارامي
«دجالا » معناه كذاب .

درهم ، يوناني Drachmé
وهو نقد فضة .

دزينة ، عامية فرنسية Douzaine
معناه اثنا عشر من نوع واحد مرادفه اثنه عشرية .

دستور ، فارسي
مركب من « دست » اي يد و«ور» اي صاحب ويراد به قاعدة اساسية يرجع اليها . كدفتر اسماء الجند ومجموع قوانين الدولة .

دف ، ارامي
«دفا » معناه لوح .

دفتر ، فينيقية
(ديفتار) **Difthera** أي كتاب صغير وهو دفتر .

دكان ، فارسي
(دكا) وليس من **Dochein** اليوناني الذي معناه اناء ووعاء انما دكان معناه حانوت .

دلو ، عبراني
«دلى » وهو اسم بمعنى مدلاه مشتق من دلا يدلو العربي .

دمغة ، عامية تركي
«دامغة » وطمغة «تمغا » معناه السمة والوسم والعلامة .

دمية ، عبراني
«دموت » معناه مشابهة ثم صورة لأنها تشبه الأصل .

دوش ، عامي فرنسي Douche
معناه مزراب ، وميزاب مرادفه مضخة .

دوشك ، تركي
(دوشك) معناه فراش .

دينار ، لاتيني Denarium
معناه عشري وهو نقد روماني قديم يشمل على وحدات وكان الدينار عشرة دراهم عند العرب .

رز وأرز
في اليونانية لفظة صينية حيث منبت هذا الحب الأبيض .

رسن ، عبراني
(رهن) معناه الحبل وفي الفارسية (رسن) معناه الحبل .

رطل ، ارامية
(رطلا) يرادفه وقية .

رهوان ، تركي
(راهوان) مأخوذ من (رهوان) الفارسي وهو البغل السهل المشي و(روان) في الفارسية معناه الماشي السائر .

روزنامة ، فارسي
مركب من (روز) يوم و (نامه) اي كتاب .

ريال ، اسباني Real
معناه ملكي ويطلق على نوع العملة الفضية .

زئبق ، وزيبق ، فارسي
(زيوه) وهو سيال معدني لا يلصق بالزجاج

زاروب ، عامي ارامي
(زريبا) معناه ضيق مرادفه المأزم .

زبرجد ، فارسي
(زبرجد) وهو حجر كريم يشبه الزمرد .

زيون ، فارسي
(زيون) معناه ضعيف أبله .

زبون ، أرامي
مشتقة من زبن اي اشترى مرادفه المشتري

زرياب ، فارسي
مركب من (زر) أي ذهب وآب اي ماء .

زرنيخ ، يوناني Arsenikon
معناه وهو مذكر وهو مادة صلبة شبيهة بالمعدن .

زفت ، اسفلت ، يوناني Asfultos
وهو القار .

زلابية ، تركية
(زلوبية) وفي الأرامية (زلوبيا)

زمرد ، يوناني Smaragdos
وفي الفارسية (زمرد) وهو حجر كريم أخضر اللون .

زميل ، يوناني Smile
وهو المنحت .

زنار ، يوناني Zone
معناه منطقة ونطاق

زنبرك ، تركي
(زنبرك) وهو قوس من حديد للتحريك مرادفه النابض وهو شريط من فولاذ يلف على محور في الساعة ثم يمتد فيحرك دواليبها .

زنجبيل ، هندي
وهو في جميع اللغات بلفظ واحد - **Zinzi beri** عجرة حريفة الطعم وهو ينبت في البلاد الحارة .

سربال وسروال وستروال فارسي
(سربال) معناه فوق القامة وهو لباس معروف .

سردين
سمك صغير نسبة الى سردينيا **Sardine**

سكر ، هندي
في جميع اللغات بهذا اللفظ حيث منشأ قصب السكر بالهند .

سكرجه ، فارسي
(سكره) وهي الصفحة والقصة .

سلاح دار ، فارسي عربي
مركب من سلاح العربي ودار الفارسي معناه حامل .

سمنت ، ايطالي Cemento
وهو الشيد نفسه .

سماد ، يوناني Spodos
وهو الرماد .

سنجه ، فارسي
(سنجه) معناه عيار الميزان .

سنديان ، فارسي
(سنديان) وهو شجر يشبه شجر البلوط بلوطه مستدير وطعمه حلو .

سنكه ، تركي
(سونكي) معناه حربة وسنان أي نصل الرمح .

سوس ، يوناني Ses
وهو الغث وفي الأرامية (شوشا)

سوسن ، عبراني
(شوش) وفي الفارسية (سوسنه) وهو الزئبق زهره طيب الرائحة .

سيب ، فارسي
اسم التفاح .

سيبه ، فارسي
مركب من (سه) اي ثلاثة و(با) اي رجل . فيكون معناه ذو ثلاثة ارجل ، أي المطلع .

سيخ ، فارسي
وشيش تركي وهو الحربة والسقود .

سينما، عامي فرنسي
والأصح قينا بحسب الأصل اليوناني **Kinema** ومعناه حركة ، مرادفة الصور المتحركة .

شاش ، عبراني
(شيش) معناه نسيج رقيق من كتان ثم من قطن .

شاقول ، عبراني
اي ميزان البنائين مشتق من (شقل) العبراني اي وزن .

شاكوش ، فارسي
(اجكش) معناه مطرقة .

شال ، فارسي
(شال) وهو مطرف ينسج في كشمير الهند .

شاه ، فارسي
(شاه) معناه ملك .

شبابه ، عامي Symfonia
وهو المزمار وقصب وغيره .

شتله ، ارامي
(شتلتا) عربيه غرس وغراس

شرشف ، تركي
(جارشف) اصله فارسي (جادرشب) معناه ستر الليل مرادفه ملحفة ، ملاءة

شطرنج ، فارسي
لعبة اخترعها (حكيم هندي) فارسي معناه ستة الوان ويراد به قطعة وهي ، شاه اي ملك ، وفرزين (فرزان) اي الملكة ، وفيل ، اي الفيل ، (المجانين) واسب او سوار اي الفرس او الفارس ، ورخ اي الابراج ، وبيادكان (بيذق) اي الماشي راجلاً .

شنته ، تركي
(حافظه) معناه محفظة مرادفه حقيبة .

شوب ، ارامي
(شوبا) معناه حر .

شوال ، فارسي
(جوال) (وسوال) معناه كيس .

شهر ، ارامي
(شهرا) معناه القمر .

شيش ، عامي تركي
(شيش) معناه سفود .

شيشه ، عامي تركي فارسي
(شيشه) معناه قارورة وقنينة

شيطان ، عبراني
(ساطان) معناه خصم وعدو .

صابون ، لاتيني Sapo-onis
ذكره بلينيوس وكان خليطا من رماد وشحم في زماننا هو مركب من قلى وزيت ، وهو في جميع اللغات بهذا الاسم **Soal, Savon, Sapone** مرادفه الفاسول .

صاج ، تركي
(ساج) معناه لوح من حديد .

صالون وصالة ، ايطالي Sala
معناه القاعة والردهة والبهو

صلصا ، ايطالي Salse
وهو الرب يصنع من التوابل والابازير ودقاق السمك والبندورة .

صوص ، ارامي
اي فرخ مشتق من صوصي (اي صاص الفرخ) بمعنى صاح مرادفه قوب . وفي مصر يقولون كتكوت .

صولجان ، فارسي
(جوكان) وتركي (جوكن) وهو المحجن اي العصا .

صينية ، صيني
منسوبة الى الصين ويراد بها طبق .

صيوان ، فارسي
مركب من (سايه) اي ظل وربان أي ذو وبراديه خيمة

ضبان ، تركي
(طايان وتابان) وهو نعل الحذاء .

طابه ، عامي تركي
(طوب) معناه كرة مرادفه كجه .

طابور ، تركي
(طابور) معناه صف وفوج وكتيبة .

طاووس ، يوناني Taos
لغة هندية حيث نشأ الطائر العجيب الشكل .

طباشير ، تركي
(تباشير) مرادفه الجص والجير

طبنجة، تركي
(طابانجة) وهو الغدارة أي البارودة الصغيرة .

طربوش ، فارسي
مركب من (طر) أي رأس ، و(بوش) أي غطاء .

طقس ، يوناني
اي حالة الجو **Stoicheion** معناه عنصر .

طنجرة ، تركي
(تنجرة) معناه قدر يطبخ فيها .

طوب ، مصرية قديمة
آجر .

طوبجي، تركي
أي الذي يطلق المدفع وطوب معناه مدفع وهو مستعمل عند العامية.

عراب ، سرياني
معناه كفيل المعتمد .

عربة جمعها عربات، يوناني Arma
بقلب أولها عيناً وميمها باء كما قلبت ميم ككل بكه ، قد ادخل ابن بطوطة هذه اللفظة في العربية ومعناها عجلة ومركبة .

عسكر ، فارسي
(لشكر) معناه جيش .

عود ، عبراني
آلة طرب وهو يكون من ستة وعشرين وترا (عوجب) معناه محبوب .

عيسى ، عبراني
مصحف من يشوع الكلدانية) اي انهم نقلوا عين عجزه الى صدره وقلبوا ياء وشينه سينا وفي أصلـه العبرانـي (يشـوع) معنـاه الـرب المخلص .

عربجي ، تركية ـ عامية
سائق الخيل وفصيحه الحوذي وهو الطارد المستحث على السير .

غرام ، يوناني Gramma
وهو جزء من كيلوغرام أي من الف غرام .

غرش ، قرش ، ايطالي Grosso
معناه ضخم وهو نقد فضي ايطالي قديم كان يساوي ٢٥ سنتيما وقد سمي بالضخم بالنسبة الى أجزاء التي دونه فنقل الى التركية (غروش) وهو يساوي فيها ٤٠ بارة .

غاز Gaz
هذه اللفظة قد ارتجلها الـطبيب البلجيكي هلمومـط المتـوفى سنـة ١٦٧٧ لكي تدل على الجسـم الهوائـي الـذي لا يتغـير ولا يقبل الضغط .

فاتورة ، ايطالي Fattura
معناه أجرة العمل مرادفه قائمة الحساب .

فانوس ، يوناني Fanos
معناه منير مرادفه مصباح مشعل .

فراولي ، ايطالي Fragola
وفي الفرنساوية معنـاه عطـري ، وهـو نبـات بستاني وبري كالتوت احمر اللون وحلو الطعم وعطري الرائحة مرادفه الشماليل العطرية .

فسخ ، عبراني
(فخ) وفي الأرامية (فحا) نقـل الى اليونـانية **Page** وهو المصيدة .

فردوس ، فارسي Pairidaeza
فايريدازا معناه أحاط بالشيء وأحدق به فيكون معنى فردوس لغـويا حديقـة وجنـة وبسـتان وروضة .

فرسخ ، فارسي
(فرسنك) معناه وبعثة مسير ساعة على ظهر الخيل نحو ٨ كيلومترات.

فرشاية ، عامي فرنسي Brosse

فرعون، ارامي
(برعيا) معناه من ال الرعـاة اي من الملـوك الرعاة .

فرقاطه ، إيطالي Fragata
مرادفه خلية أي سفينة عظيمة .

فرماشيا ، يوناني Farmatcia
معناه بيت العقاقير مرادفه صيدلية .

فرمان ، فارسي
(فرمان) معناه أمر السلطان .

فرن ، لاتيني Furnas
معناه مخبز وهو مأخوذ من **fornix** وهو العقد أي بيت معقود سقفه بالحجارة أو بالقرميد

فرنيش ، إيطالي Vernice
معناه في الأصل صمغ مرادفه الطلاء .

فستان ، **فسطان** ، فارسي
مأخوذ من الفسطاط أي البيت من شعر فنقل إلى الإيطالية **tostagno** وكان ينسج في فسطاط مصر ومنها نقل إلى الفرنسية . **fustanelle**

فستق ، أرامي
(فستقا) لأن منشأ هذه الشجرة الشام فنقل إلى اليونانية **pistakion** ومنها إلى سائر لغات أوروبا .

فسقيه، إيطالي Vasce
من اللاتيني **Vasculum** معناه إناء كبير مرادفه حوض وبركة .

فسيفساء ، إيطالي Mosaico
نسبة إلى **Musa** اليونانية التي هي آلهة الشعر .

فصح ، ارامي
(فصحا) من العبراني (فسح) أي عبور وهو تذكار عبور اليهود البحر الأحمر .

فشك ، تركي
(فشنك) أي حشو البارود .

فقمة وبقمة، يوناني Otoke
في اللاتينية **Phoca** وفي الإيطالية **Foca** وهو عجل بحري **Obolos** وهو نقد نحاس يوناني كان يساوي سدس الدرهم .

فلسفة ، يوناني Filosofia
معناه حب الحكمة ومنه تفلسف وفيلسوف .

فلفل ، هندي
منشأ هذا النبات الذي حبه شديد الحراقة ه فليفلة تصغيره وهو نبات آخر له قرون وفي اليونانية **Peperi** وهو في جميع اللغات بهذا الاسم .

فلين ، يوناني Fellos
وهو شجر يشبه البلوط قشره ضخم سميك لين يصنع منه السداد والصمام .

فنار ، يوناني
تصحيف منار ويراد به المنارة والمشعل فوقها وفي اليونانية **Favos** وفي الإيطالية **Faro** وهو منارة السفن في المرافىء ومنارة الإسكندرية كانت مركوزة في (فارس) وهي جزيرة قرب الإسكندرية .

فندق ، يوناني Pandochaion
معناه يقبل الجميع وهو مركب من **Pas** أي كل و **Dochonai** أي قبل وأخذ مرادفه نزل ومنزل .

فهرس ، فارسي
(فهرست) وهو جدول مواد الكتاب .

فوطة ، تركي
(فوته) بمعنى مئزر.

فول ، فارسي
(فول) في اللاتينية **Faba** وفي الإيطالية **Fava** وأصل نبات الفول بلاد الفرس وافريقيا .

فولاذ ، عبراني
(فلذة) من الفارس القديم (بولاد) وفي الآرامية (فلدا) والعبرية (ترزل) والآرامية (فرزلا) مرادف الفولاذ اليلب .

قادوس ، يوناني Kados
وفي اللاتينية **Cadus** معناه برميل وهو مأخوذ من العبراني (كد) ومعناه دلو .

قبان ، فارسي
(كبان) وهو ميزان للأحمال الثقيلة و**Caban** في الإسبانية هو معيار للسوائل .

قبط ، مصري قديم
تعريب **Aigyplos** وهو اسم مصر في اليونانية .

قبطان ، إيطالي Capitano
معناه في الأصل رئيس مرادفه ربان السفينة .

قدوم ، عبراني
(قردوم) فأدغمت الراء بالدال فصار (قدوم) .

قراسيا ، يوناني Kerasos
وهو نوع من الخوخ ثمره يشبه حب العنب الأسود إلا أن في لبه عجمة واحدة .

قرصان ، إيطالي Corsari
معناه غازون ويراد به لصوص البحر .

قرطاس ، يوناني Chartes
معناه ما يرسم به مرادفه ورقة .

قرط ، يوناني Keration
معناه قرن صغير يطلق على حلى الأذن .

قرن ، يوناني
يدل على الزمان **Chronos** حمونس ، ومعناه عندهم زمان ووقت ومدة وسنون ويدل أيضاً على الزمان مرادفه دهر أي مائة سنة .

قرنفل ، يوناني Karyofyllon
وهو شجر قرونه أفضل الأقاويد ويطلق أيضاً على نبات بستاني زهره طيب الرائحة .
وقد ينبت في جزائر الأنطيل .

قز وخز ، فارسي
يراد به الحرير .

قس وقسيس ، آرامي
(قشيشا) معناه شيخ وقد يلقب به الكاهن عندنا احتراماً .

قصدير ، يوناني Kassiteros
وهو معدن لين يطلى به

قفة ، يوناني Kofinos
معناه زنبيل

قفطان ، تركي
(قفتان) وهو القباء .

قلقاس ، يوناني Goggylos
معناه مستدير ويطلق عندهم على اللفت على أنه مستدير .

قلم ، يوناني Kalamos
معناه قصبة

إقليم ، يوناني Klima
يراد به منطقة مرادفه صقع وبقعة ومصر .

قلنسوة ، يوناني Kalyptra
معناه في الأصل غطاء رأس المرأة .

قماش ، فارسي
(كماش) معناه نسيج من قطن خشن .

قميص ، إيطالي Camicia
وفي اللاتينية الدكيلة **Camlsia** وفي البيزنطية **Kamasos** فهي منقولة من اللاتينية إلى العربية وإلى السريانية أيضاً .

قنبلة ، تركي
(قومبارة) وهي كرة تقذف من المدفع مرادفها قذيفة .

قنديل ، لاتيني Candela
معناه شمعة يستضاء بها مرادفه مصباح .

قنصل ، لاتيني Consul
معناه مستشار ويراد به ممثل الدولة .

قنطار ، لاتيني Centenarium
معناه مئوي .

قنال ، لاتيني Canalis
معناه مجرى الماء مرادفه قناة وترعة .

قومندان ، إيطالي Commandante.
معناه في الأصل آمر أي من يأمر الجنود ويدير

السفينة مرادفه أمير وإمام وقائد وربان .

قيثار، يوناني Kithara
وهو آلة طرب ذات ستة أوتار توافق (كنارة) في العبرية .

قيراط ، يوناني Karation
ومعناه قرن صغير ويطلق على قرن الخرنوب وعلى حبة الخربوب أيضاً وكان الأقدمون يزنون الذهب بحبة الخرنوبة وكل ٢٤ حبة تساوي أوقية .

كابلا ، إيطالي Cappella
معناه معبد أي كنيسة صغيرة .

كاتدرائية ، يوناني Kathedra
الذي معناه مقعد وكرسي ويراد به كنبة كرسي المطران لأن كرسي المطران أي عرشه ينصب لها عادة .

كاثوليك ، يوناني Katholikos
معناه جامع شامل عام

كاغد، فارسي
(كاغد) معناه ورق وصفحة .

كافور، يوناني Kafoura
وهو صمغ شجرة تنبت في الهند والصين واليابان أبيض لماع شفاف قابل الاحتراق طيب الرائحة مر الطعم .

كاهن ، عبراني
(كهين) معناه خادم الأب .

كرباج ، تركي
(قرباج) وهو السوط .

كربون ، إيطالي Carbonio
وهو عنصر الفحم في علم الكيمياء ومنه كربونات وهو المركب من الحامض الفحمي مع جسم آخر .

كرتون ، إيطالي Cartone
معناه ورق صفيق ومقوى .

كرز ، يوناني Kerasos
وهو شجر سمي بالكرز من كراسون وهي مدينة في آسيا الصغرى على ساحل البحر الأسود

كرفس ، آرامي
(كرافسا) نبات يستعمل في مصر في الطعام (.

كرنب
(كربا) نبات يسمى في فلسطين ملفوف لشكله المدور .

كرنتينا ، إيطالي Quarantena
معناه أربعون يوماً مرادفه المحجر الصحي .

كستنه ، لاتيني Castanea
وهو شجر وفي اليونانية **Kastanon.** سمي باسم مدينة في بلاد اليونان بهذا الإسم .

كشتبان ، فارسي
(إنكشتانه) معناه إصبعي مرادفه قمع الخياط .

كشكول ، آرامي
(كنش كل) معناه جامع كل شيء .

كعك ، فارسي
(كاك) .

كلسات ، لاتيني Calcea
معناه غطاء عقب الرجل وجورب ج جوارب فارسي معناه فبر الرجل مرادفه لفافة الرجل .

كمبياله ، إيطالي Cambiale
معناه ورقة تبدل بنقود مرادفه سند الأمر .

كمبيو ، إيطالي Cambio
معناه بدل النقود وصرفها .

كمرك ، فارسي
(كمرك) وكذلك في التركية مرادفه دار المكس أو المكوس .

كمنجة ، فارسي
(كمانجة) وهي آلة طرب ذات أوتار تشبه الربابة .

كناره كناري
عصفور أصفر اللون غريد منسوب إلى جزائر كناريا في غرب إفريقية .

كيس ، يوناني Kiss-is
بمعنى سؤال خرج .

كنيسة ، آرامي
(كنوشتا) معناه المجمع والجماعة .

كهرباء ، فارسي
مركب من (كاه) أي تبن ومن (ربا) أي جاذب ويطلق في زماننا على خواص الأجسام التي إذا حكمت جذبت الأجسام الخفيفة وبعثت النور وحركت الأعصاب .

كوز ، آرامي
تصحيف (كوس) العبرانية ومنها الكأس وتأتي بمعنى الكأس والقدح والمشربة

كوفيه، إيطالي **Cuffia**
معناه غطاء الرأس **Kefale** في اليونانية معناه رأس .

كولونل ، إيطالي Colounello
معناه قائد فيلق وهو رتبة ولقب في قيادة الجنود .

كيلوغرام ، يوناني Chilol- gramma
معناه الف غرام .

كيميا ، يوناني Kymeia
معناه اختلاط وامتزاج وهو الاكسير عند القدماء كانوا يحولون به المعادن إلى الذهب والفضة .

كينا ، اسباني Quina
وهو اسم شجرة قشرها مر الطعم يطرد الحمى ومنشأها في بلاد بيرو في امريكا .

لازورد ، فارسي
(لازورد ولاجورد) وهو حجر كريم ازرق اللون .

الـلات ، اشوري
صنم وهي سرياني (حلمو) معنى الـلات في الأشورية الالهة .

لغم ، تركي
(لغم) معناه قناة ومجرى **Orygma** في اليونانية معناه حفرة ، المراد به حشوة بارود تدس في ثقب الصخور فتنسفها .

لمبا ، يوناني Lambas
معناه لامع والمراد به السراج والمصباح .

لتر ، يوناني Lytron
مشتق من **Lyo** وهو الأصل في كيل المائعات .

ليمون ، فارسي
(ليمو) واصل هذه الشجرة من الهند فيكون اسمها هندي .

ليموناضة ، ايطالي Limonata
معناه به ليمون وهو عبارة عن ماء بارد يعصر به ليمون ويذر عليه سكر مراد في شربة ليمون .

مادليا ، ايطالي Madaglia
معناه فرصة معدن صغيرة جداً مرادفه النوط .

مالاريا ، ايطالي Malaria
معناه هواء رديء مرادفه الحمى الخبيثة .

متر، يوناني Metron
معناه قياسي وهو الأصل في قياس المساحة .

مرمر ، يوناني Marmaron
معناه لامع أبيض ويراد به الرخام المعروف .

مسطرة ، ايطالي Mostra
معناه عرض البضاعة مرادفه مثال .

مكروب ، يوناني
منحوت من **mikros** اي صغير و lious أي حي وهو كائن حي لا يرى بالعين المجردة يعيش في الماء والدم والهواء .

مكرسكوب ، يوناني
مركب من **mikros** اي صغير و **skopéo** راقب ورصد مرادفه مجهر .

ملاك ، عبراني
أحد الأرواح السماوية (ملاك) وفي الأرامية (ملاكا) وفي العربية (ملاك) ومعناه ابلغ الرسالة .
ثم قالوا . ملك وملاك فخفف (ملاك) والأصل مألك ، اي رسالة ، قلت مألك مصدر ميمي استعملوه بمعنى المعقول مشتقا من ألك العربية فيكون معنى الملاك مرسل يرسله الله الى البشر لتبليغ ارادته .

ملوخيا ، يوناني Malache

مليون ، ايطالي Millone
معناه حرفيا الف كبير اي المراد به الف الف .

موز ، هندي
شجر أصله من بلاد الهند واسمه هندي .

موسيقى ، يوناني Mousiketechaé
معناه صناعة الغناء والألحان والترنم .

موميا ، تركي
(موميا) وفي الفارسية (موم) الذي معناه شمع والمراد به الأجساد المحنطة وقد عم التحنيط في مصر في عهد الدولة السادسة .

ميل ، يوناني Mêlé
وهو الملمول والمرودة والمكحال .

ميل ، لاتيني Milla passcum
معناه الف قدم وقد يختلف طوله باختلاف البلدان .

مليار ، فرنسي Millard
معناه الف مليون .

ميناء ، يوناني Ilmen
وفي الأرامية (لمانا) معناه في اللغتين مرفأ ومرسى **Marina** الايطالية معناها ساحل البحر .

نارجيل ، فارسي
(ناركيل) وهو الجوز الهندي ومنه النار كيله لتدخين التنبك الفارسي .

ناقوس ، أرامي
(ناقوشا) معناه مصوت ، مشتق من نقشي أي ضرب وقرع ودق وهو اسم لخشبة ثم لحديدة ثم لطاسي من نحاس يقرع لأوقات الصلاة في الكنائس .

ناموس ، يوناني Nomos
معناه عادة وشريعة وسنة .

ناي ، فارسي
(ناي) وهو الزمارة .

نبراس ، ارامي
(نبرشا) معناه اللهب والضياء مرادفه المصباح .

نجاش ، حبشي
(نيجوس) معناه ملك ج ناجاس ملوك .

نرجس ، فارسي
(نركس) وفي اليونانية **Narhissos** وهو جنس من الرياحين زهره أصفر وله ستون نوعا منها نوع زهره ابيض جميل .

نرد ، فارسي
(بزر) وهو لعبة اخترعها ارد شير ملك الفرس وتعرف عند العامة بلعبة الطاولة .

نشا ، فارسي
(نشاسته) وهو مادة بيضاء تستخرج من نقيع الأرز والقمح والشعير والبطاطا .

نشادر ، فارسي
(نوشادر) يراد به ملح الأمونيا .

نمرة ، إيطالي Numero
معناه عدد ورقم .

نيشان ، فارسي
(نيشان) معناه علامة ، مرادفه وسام .

نيلي ، فارسي
(نيلي) معناه ازرق اللون يصبغ بعصارته ومنقوعه ويقال له بالعربية عظلم .

هاون ، فارسي
(هاون) وهو جرن صغير من نحاس ، يدق فيه الذرور دقا ناعما .

هرطقة ، يوناني Airesis
معناه بدعة وشيعة .

هميان ، فارسي
(هميان) معناه كيس الدراهم وكان الناس قديما يتمنطقون به .

هندباء ، ايطالي Indivia
وهي اللعاعة .

هندام ، فارسي
(اندام) معناه قامة ، منه هندم .

هيكل ، عبراني
(هيكل) وفي الأصل الأشوري (اكلوا) معناه بيت كبير وقصر الملك و(أو) في التركية معناه بيت و **Oikos** في اليونانية معناه بيت فاستعمله اليهود لبيت الرب .

واح ، واحة ، مصري قديم
تعريب **Uit** معناه محطة .

وجاق ، تركي
(اوجاق) معناه موقد وكانون .

ياسمين، فارسي
(ياسمين) نقله بحارة البرتغال الى اوروبا سنة ١٥٦٠ . وهو مستعمل بهذا الاسم في جميع اللغات وهو **Lasme** في اليونانية . وقيل أصله مصري وهو نبات يلتوي على الشجر زهره ابيض طيب الرائحة .

ياقوت ، يوناني Yakithos
وفي اللاتينية **Hyacithos** وهو حجر كريم لونه احمر .

يانسون ، يوناني
Anison وهو نبات زهره ابيض طيب الرائحة ويستقطرون العرق من نقيعه

يرقان ، يوناني Ikteros
معناه مرض الصفراء وهو يسبب اصفرار الجلد .

دراقن، سراني
من أصل يوناني **Dorakion** ومعناه ذلك الذي يشبه المشمش ونواه كبيرة الحجم .

فدان ، سرياني
(فدنو) بمعنى زوج من البهائم ، ثيران أو بقر لجر المحراث لحرث الأرض .

قصدير ، يوناني Kassiter-on

نافورة، يوناني Anaphoria

ترعة ، سرياني
(ترعتو)

طراز ، فارسي Teraz
بمعنى نمط

خندق، فارسي Khande

سرداب ، فارسي Sardab
مركب من **sard** بمعنى يارد و**ab** بمعنى ماء ومعناها مستودع الجليد وتطلق على أي مستودع الان .

طربوش ، فارسي Sarbouch
بمعنى (الملبس) .

فنجان ، فارسي Pengan
وعاء القهوة او الشاي

Mem Berecht	**برشت** ، فارسي نص سواء .
Sâmid	**سميط** ، فارسي خبز أبيض .
Oktopodhus	**اخطبوط** ، يوناني ذو الثمانية أرجل .
Tathi	**تخت** ، فارسي أي سرير او عرش الملك .
Cappotto	**كبود** ، ايطالي
Mobeliu	**موبليا** ، ايطـــالي اثاث
Conratto	**كونتراتو** ، ايطالي بمعنى تعاقد ، او عقد
Khan	**خوان** ، فارسي مائدة .
Bazar	**بازار** ، فارسي بمعنى سوق .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مراجع خاصة بالجدول

(١) كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها: القس طوبيا العنسي الحلبي اللبناني.
عني بنشره وتصحيحه وتعليق حواشيه الشيخ يوسف توما البستاني، مكتبة العرب بالفجالة مصر/ طبعة ثانية سنة ١٩٣٢.

(٢) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل: شهاب الدين أحمد الخفاجي، م. ط السعادة.

(٣) المخصص جـ ٤
لأبي الحسن اسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، م. ط الأميرية لأبي الحسن ببولاق سنة ١٣٢٠ هجرية.

(٤) الإشتقاق والتعريب سنة ١٩٤٧.
عبد القادر مصطفى المغربي القاهرة م. ط لجنة التأليف والنشر.

(٥) المعرب من الكلام الأعجمي.
لأبي منصور الجواليقي تحقيق وشرح أحمد شاكر، م. ط دار الكتب سنة ١٩٦٩.

(٦) نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها.
الأب انستاس ماري الكرملي ـ المطبعة العصرية سنة ١٩٣٨.

(٧) غرائب اللغة العربية.
الأب رفائيل نخله اليسوعي ـ المطبعة الكاثوليكية، بيروت سنة ١٩٦٠.

(٨) المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية، حسن حسين فهمي. مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦١.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المراجع

د. ابراهيم أنيس:

ـ دلالة الألفاظ ط٢، القاهرة، الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣م.

ـ في اللهجات العربية ط٣، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٦٥.

ـ من أسرار اللغة، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.

ابن الاثير: ضياء الدين، أبو الفتح نصرالله بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني:

ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانه ـ القاهرة مطبعة نهضة مصر، سنة ١٩٦١.

أحمد الحملاوي:

ـ شذا العرف في فن الصرف، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٦٩.

أحمد أمين.

ـ ضحى الإسلام ط٧، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤.

ـ فجر الإسلام ط٩، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤.

د. أحمد مختار:

ـ البحث اللغوي عند العرب، القاهرة، مطابع سجل العرب، سنة ١٩٧١م.

ـ البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، بيروت دار الثقافة ١٩٧٢.

الأشموني:

ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك مع حاشية الصبان، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية. ابن الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد:

ـ أسرار العربية ، ليدن ، مطبعة بريل .
ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، القاهرة ١٢٩٤هـ .

ابن الأنباري : محمد بن القاسم بن بشار :
ـ الأضداد في اللغة ، نشره المستشرق هوتسما ، ثم أعيد طبعه في القاهرة ١٣٢٥ هـ .

أولمان :
دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د. كمال محمد بشر، القاهرة ، دار الطباعة القومية ١٩٦٢ .

الباقلاني : أبو بكر محمد بن الطيب:
ـ إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٣ القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٢ .

بروكلمان، كارل :
ـ تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أحمد فارس ، ومنير البعلبكي ، بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٥٣م.

البستاني ، بطرس:
ـ محيط المحيط، بيروت، المجلد الأول ١٨٦٧ والثاني ١٨٧٠م.

البعلبكي، منير :
ـ المورد ـ قاموس انجليزي عربي ـ بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٧١م.

د. تمام حسان :
ـ اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، الهيئة المصرية العامة.
ـ اللغة بين المعيارية والوصفية ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٨م.
ـ مناهج البحث في اللغة، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٥ .

الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل :
ـ فقه اللغة وسر العربية ط١ مصر، المطبعة الأدبية ١٣٢٧هـ . جبر ضومط، فلسفة اللغة العربية وتطورها، مصر، مطبعة المقتطف والمقطم. ١٩٢٩م.

الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن :
ـ أسرار البلاغة ـ علق على حواشيه أحمد مصطفى المراغي ط١ القاهرة، مطبعة الاستقامة ١٣٦٧ هـ .

ـ دلائل الإعجاز في علم المعاني، نشر السيد محمد رشيد رضا، ط٢ مطبعة المنار ١٣٣١هـ .

جورجي زيدان :
ـ تاريخ آداب اللغة العربية ، القاهرة مطبعة الهلال ١٩١١م.
ـ اللغة العربية كائن حي، مراجعة د. مراد كامل، القاهرة. دار الهلال

ابن جني: أبو الفتح عثمان:
ـ الخصائص، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية.

الجواليقي ، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد:
ـ المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق أحمد محمد شاكر ـ القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١هـ .

حسن حسين فهمي :
ـ المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٦١م.

د. حسن ظاظا:

ـ الساميون ولغاتهم، الاسكندرية، مطبعة المصري، دار المعارف ١٩٧١م.
ـ اللسان والانسان، الاسكندرية، مطبعة المصري ، دار المعارف ١٩٧١م.
ـ كلام العرب ، الاسكندرية، مطبعة المصري ، دار المعارف ١٩٧١م.

د. حسين نصار:
ـ المعجم العربي نشأته وتطوره ، مصر ، دار الكتاب العربي ١٩٥٦م.

الحلبي : أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي:
ـ الأضداد في كلام العرب، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق ١٩٦٣ .

د. حلمي السيد خليل:
ـ المولد في اللغة، رسالة دكتوراه ١٩٧٥ .

حمزه بن حسن : الأصفهاني،

ـ التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين، مكتبة النهضة ـ بغداد ١٩٦٧م.

ابن دريد، أبو بكر ، محمد بن الحسن :
ـ الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة مؤسسة الخانجي ١٩٥٨ .

رفائيل نخلة اليسوعي:
ـ غرائب اللغة العربية ، ط٢ بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٩ .

د. رمضان عبد التواب:
ـ لحن العامة والتطور اللغوي، ط١ القاهرة دار المعارف ١٩٦٧ .

السامرائي ، ابراهيم :

ـ الاب انستاس ماري الكرملي وآراؤه اللغوية ، القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة المعرفة ١٩٦٩م.

ـ تنمية اللغة العربية في العصر الحديث ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الجبلاوي ١٩٧٣م.

السعران، د. محمود:
ـ علم اللغة ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٢م.
ـ اللغة والمجتمع ، ط٢ الاسكندرية دار المعارف ١٩٦٢م.

ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي:
ـ طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، القاهرة دار المعارف ١٩٥٢م.

السيد أحمد خليل:

ـ دراسات في القرآن، القاهرة دار المعارف ١٩٧٢م.

د. السيد يعقوب بكر:
ـ دراسات مقارنة في المعجم العربي. بيروت، جامعة بيروت العربية ١٩٧٠م.

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:
ـ الاتقان في علوم القرآن ، ط٢ القاهرة مطبعة المعاهد ١٣٥٤هـ .
ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح محمد أبي الفضل ابراهيم وآخرين القاهرة . دار إحياء الكتب العربية.

د. صبحي الصالح:
ـ دراسات في فقه اللغة ، دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠م.

طوبيا العنسي :
ـ تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية ، ط١ القاهرة مكتبة العرب ١٩٣٢م.

د. عبد الحميد الشلقاني.
ـ رواية اللغة، مصر، دار المعارف ١٩٧٠م.

د. عبده الراجحي:
ـ التطبيق الصرفي ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٤م.
ـ اللهجات العربية في القراءات القرآنية، القاهرة دار المعارف ١٩٦٨م.
ـ فقه اللغة في الكتب العربية ، بيروت ، دار النهضة للطباعة والنشر ١٩٧٤م.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي:
ـ مجاز القرآن : تحقيق محمود فؤاد سزكين، ط١ القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٥٤م.

العسكري، أبو هلال:
ـ الفروق اللغوية ، القاهرة، مكتبة القدس ١٣٥٣هـ .

ابن عقيل، عبدالله بن أحمد:
ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط٥ القاهرة دار الطباعة المحمدية.

الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد:
ـ المستصفى في علم الأصول، مصر مطبعة بولاق ١٣٢٢هـ .

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا:
ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامه ، تحقيق مصطفى الشويمي ـ بيروت مؤسسة بدران للطباعة ١٩٦٣ م.

ـ معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون، ط١ القاهرة دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٦هـ .

فليش، هنري:
ـ العربية الفصحى، تعريب د . عبد الصبور شاهين ، ط١ بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٦.

فندريس ، جورج:
ـ اللغة ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٠.

الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:
ـ القاموس المحيط ، القاهرة، ط١ المطبعة الحسينية ١٣٣٠هـ .

الكرملي، الأب انستاس ماري :
ـ أغلاط اللغويين الأقدمين ، بغداد ، مطبعة الأيتام ١٩٣٣م.
ـ نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها، القاهرة المطبعة العصرية ١٩٣٨م.

د. كمال محمد بشر:
ـ دراسات في علم اللغة، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٩م.

كمال يوسف الحاج:
ـ في فلسفة اللغة ، بيروت ، دار النهار سنة ١٩٦٧م.

د. محمد أحمد أبو الفرج :
ـ المعاجم اللغوية بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٦٦ .
ـ مقدمة لدراسة فقه اللغة، بيروت، دار النهضة العربية ١٩٦٦ .

د. محمد بدري عبد الجليل:
ـ المجاز وأثره في البحث اللغوي ١٩٧٥ .

د. محمد المبارك:
ـ فقه اللغة وخصائص العربية ، بيروت دار الكتب ١٩٦٨م.

محمود فهمي حجازي:
ـ علم اللغة العربية، الكويت ، وكالة المطبوعات ١٩٧٣ .

معلوف، لويس:
ـ المنجد في اللغة العربية ، بيروت ، ط١٢ المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٥ .

المغربي، عبد القادر:
ـ الاشتقاق والتعريب، ط٢ القاهرة مطبعة لجنة التأليف والنشر ١٩٤٧ .

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم :
ـ لسان العرب ، القاهرة: بولاق المطبعة الاميرية سنة ١٣٠٠هـ .

ابن النديم ، محمد بن اسحق ،
ـ الفهرست ، القاهرة المطبعة التجارية الكبرى ١٣٤٨هـ .

ابن هشام ، أبو حمد عبدالله جمال الدين بن يوسف:
ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب .
ـ مغني اللبيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

د. وافي ، علي عبد الواحد:
ـ علم اللغة، القاهرة ط٤ نهضة مصر ١٩٥٧ .
ـ فقه اللغة ، القاهرة ط٦ دار نهضة مصر.
ـ اللغة والمجتمع ، ط٢ القاهرة دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٠م.

اليازجي، ابراهيم:
ـ نجمة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، ط٢ بيروت مطبعة القديس بولس ١٩١٣م.

يوهان فك :
ـ العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب.
تعريب الدكتور عبد الحليم النجار القاهرة مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥١ .

دوريات

مجلة مجمع اللغة العربية الملكي سنة ١٩٣٥ .

مراجع أجنبية

1 — Darmester, Arsene. La vie des mots, Etudiée dans leurs significations. Paris, Librairie delagraee, 1932.
2 — Bloomfield (Leonard) Language London 1950.
3 — Jersperson (Otto). Language its nature, development and origin, London, 1964.
4 — Sapir (Edward). Language, New York 1921.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

محتويات الكتاب

المقدمة ٧

الباب الأول : التوسع اللغوي ١٣ - ١٠٦

الفصل الأول : التوسع في المعنى ١٧

١ ـ التوسع الاشتقاقي، ٢ ـ الإبدال والقلب،
٣ ـ النحت والتركيب ، ٤ ـ التوسع المجازي ،
٥ ـ قوانين التجوز ، ٦ ـ أثر المجاز في اللغة .

الفصل الثاني : ٥٩

١ ـ اتساع اللفظ بالنسبة للمعنى «الترادف»
٢ ـ اتساع المعنى بالنسبة للفظ
٣ ـ الأضداد

الفصل الثالث : المستعار من اللغات الأخرى ٨٥

١ ـ المعرب والدخيل ، ٢ ـ شروط التعريب.

الباب الثاني : أثر العوامل الخارجية في تحديد الدلالة اللغوية ١٠٧ - ١٦٠

الفصل الأول: ١٠٩

١ ـ علم الدلالة ونشأته، ٢ ـ العوامل المؤثرة في تغير المعنى،
٣ ـ العوامل الاجتماعية ، ٤ ـ قوانين التغير الدلالي

الفصل الثاني : ١٣٥

١ ـ أنواع التغير التي تصيب معاني الكلمات،
٢ ـ أثر البيئة في التغير الدلالي،
٣ ـ أثر الحضارة في تغير لغة الفرد،
٤ ـ التغير الدلالي والعلاقة بين اللفظ والمعنى،

٥ ـ أهمية البحث في دلالة الألفاظ،
٦ ـ دلالة اللفظ في المعجم.

الباب الثالث : عوامل التطور والتغير في الألفاظ ١٦١ ـ ٢٠٣
الفصل الأول:
١ ـ اختلاف لهجات القبائل، ٢ ـ جمع اللغة والتصحيف.
الفصل الثاني:
١ ـ اختلاف النظم والعلاقات الاجتماعية ،
٢ ـ اللغة ونشاط الجماعة السياسي ،
٣ ـ تطور الحياة الاقتصادية وأثره في تطور اللغة ،
٤ ـ الدين وأثره في تطوّر الألفاظ.

الخاتمة ٢٠٥
الاقتراحات ٢٠٨
جدول الألفاظ المعربة والدخيلة ٢١١
المصادر والمراجع ٢٢٩

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عوامل التطور اللغوي

اللغة كائن حي نام خاضع لناموس الارتقاء . ولا بد من توالي الدثور والتجدد فيها ، أراد أصحابها ذلك أم لم يريدوا . هذا الكتاب محاولة لسد النقص في دراسة العوامل الخارجية المؤثرة في تطور الألفاظ وأثر ذلك على الدلالات وذلك في ضوء ما توصل إليه علم اللغة الحديث من نتائج وقوانين تحكم الصلة بين اللغة والمجتمع .

تصميم الغلاف
حسن عاصي

دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع